

الوشى المرقوم في حل المنظوم

ضياء الدين بن الأثير

تحقيق

الدكتور جميل سعيد

الأستاذ بكلية الآداب بجامعة بغداد
عضو المجمع العلمي العراقي

الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

في ابن الأثير

وكتابه

الوشى المرقوم في حل المنظوم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيّنا سيد المرسلين ،
وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد .

فقد عنيت البلاغة العربية بالناحية النظرية ، التي يتوسّل بها الى ذوق
النصوص الأدبية ، وادراك ما فيها من جمال فني . وبرزت فيها ناحيتان بيّتان :

أولاهما — تتعلّق بغاية هذه الدراسة ، وهدفها ؛ وهي ادراك ما في
القرآن الكريم من إعجاز أدبيّ أو فنيّ . وبلغت العناية بهذا ، الى الحدّ الذي
ذهب بعض كتّابهم ، الى انه الغاية الأولى من تأليف كتبهم (١) في البلاغة . بل
ذهب بعضهم الى أن ادراكه يكون مكملًا للإيمان (٢) .

وثانيتهما — واسطة هذه الدراسة او وسيلتها ؛ وبها عمّدوا الى الشعر ،
وعكفوا على نصوصه يشرحونها ، ويحلّلونها ليُظهروا ما بها من جمال
يرقون به بذوق القارئ ، مؤمّلين ان يصلوا به الى الحدّ الذي يُدرك به
سرّ الإعجاز ، الذي هو غايتهم ، وسحره .

-
- (١) مقدمة كتاب الصناعتين ، للعسكري ط الحلبي ، بالقاهرة ، ص : ٢ .
(٢) مقدمة كتاب الصناعتين ، للعسكري . وكتاب دلائل الإعجاز ، للرجاني ،
المقدمة ؛ ص : ٨ ط : المنار بالقاهرة .

وكتاب ابن الأثير هذا ، يكاد يكون مخالفاً لكتبهم كلها ؛ إذ يتجه به صاحبه غير وجهتهم هذه . وربما استطعت ان تقول : إنه درجة تأني وراء تلك الدرجات . إنه يعتمد به الى الناحية العملية ، التي يرمى من ورائها الى تأليف النصوص النثرية ، لا الى قراءتها وذوقها . وهو يتخذ الشعر والنثر وسيلة لهذا . ولكنه حين يتخذ الشعر ، لا ينظر اليه كما نظروه . إنه لا يلتفت إلى "جانب الفني" فيه ، بل يعتمد الى هذا الضرب الذي طغت عليه المعاني منه ، فيحلّله ، ويعيد صياغته صياغة نثرية ، ممزوجة بزيادة يرمى من ورائها الى تعليم الكتابة ، لا الى ذوق النصوص .

ومن هنا رأينا لزماً ان تقدم بين يدي كتابه هذا بكلمة وجيزة ، عنه وعن أهمية الكتابة التي جعلته يتجه هذا الإتجاه بكتابه هذا .

وابن الأثير : هو ابو الفتح ، نصر الله بن محمد الشيباني الجزري . والأثير لقب غلب على اسم ابيه ؛ لأنه كان أثيراً (٣) عند الوزير جمال الدين ؛ (في القرن السادس) وزير عماد الدين زنكي ؛ ملك الموصل ، ووزير ابنه سيف الدين وقطب الدين ، بعده .. ويظهر ان الجزري لقب غلب على اسم ابن الأثير هذا ، في أيامه ، فصاحب « مرآة الزمان » يشير اليه باسم « الجزري » .

والجزري ؛ نسبة الى جزيرة ابن عمر ، وهي بلدة فوق الموصل . ذكرها ياقوت وقال : « ... ويُنسب اليها بنو الأثير العلماء الأدباء ؛ محمد الدين المبارك ، وضياء الدين نصر الله ، وعز الدين ابو الحسن علي ، بنو محمد بن عبدالكريم الجزري . كل منهم إمام » (٤) وفي شهرة الأخوين من أبناء الأثير ما يغنيننا عن الحديث عنهما في كلامنا هذا .

(٣) انظر الحديث عن هذا ، في مقدمتنا لكتابه : « الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور » ط المجمع العلمي العراقي ببغداد .

(٤) معجم البلدان ١٣٨/٢ ط : بيروت .

هذه اسرةُ ابن الأثير : أبٌ أثيرٌ عند الوزير ، وإخوانٌ من أهل الفضل
كلٌ منهم إمام !

وتتقف ابنُ الأثير نصرُ الله في بيته ، بيتِ الفضل والجاه والعلم ، ثم
انتقل الى الموصل . واكتملت معارفه الثقافية ، فقصد صلاح الدين الأيوبي ،
والتحق بخدمته سنة ٥٨٧ هـ . قالوا : أوصله القاضي الفاضل ، وهو من
هو شهرةٌ في الكتابة الى صلاح الدين .

وكان الفاضل هذا ، على ما يبدو ، يعطف على أهل الأدب ، ويرى
الاستعانة بهم في عمل السلطان . وهو الذي أوصى العماد الكاتب ،
صاحب الخريدة الى صلاح الدين ايضاً . ويظهر ان الرجل ، كان له من
الثقة بقدرته بفنّه الكتابي ، ومن مكانته عند صلاح الدين ، ما جعله
لا يرى في الكتاب يستعين بهم ، خطراً على منزلته وحظوته في الدولة .

وبقي ابن الأثير مع صلاح الدين ، حتى طلبه منه ابنه نور الدين عليّ ،
الملقب بالملك الأفضل ، فخيرَه صلاحُ الدين بين الإقامة عنده ، وبين الانتقال
الى ابنه ، فاختار الانتقال .

ولعل من اسباب اختياره لابن دون الأب ، أنه رأى ان صلاح الدين ،
قد استولى على قلبه في الكتابة القاضي الفاضل ، ومعه العماد الكاتب صاحب
الخريدة ، ثم هو في اوج قوته حنكةً وسيطرةً وانتصاراً ، وشهرةً ،
ولا مطمع لابن الأثير ، وهو شابٌ دون الثلاثين من العمر في ان يكون عند
سلطان هذه حاله ، وهؤلاء كتابه .

والتحق ابن الأثير بالملك الشاب نور الدين ، وكانت سنة اثنتين وعشرين
سنة . وسرعان ما استولى ابن الأثير على قلبه ، وصار يُصدرُ الأمور برأيه .

ولم تطل الحياة بصلاح الدين . جاء مجاهداً يحارب الصليبيين في جهات
الشام ، وابنه نور الدين ، وهو وليُّ عهده واكبرُ اولاده ، بصحبته فمرض

ثلاثة ايام ، ووافاه اجله بدمشق (٥) سنة ٥٨٩ هـ . واستقل ابنه الملك الأفضل بمملكة دمشق . اما مصر فاستقل بها اخوه الملك العزيز عماد الدين .

وعلا نجم ابن الأثير ، فصار المتصرف بشؤون الملك . ورأى ان الأمور قد لا تستقيم له بوجود رجال صلاح الدين ؛ وهم اهل الحنكة والتدبير في الإدارة والسياسة والحرب ، فزین للملك الشاب ابعادهم واستبدال غيرهم بهم . وسار هؤلاء الى مصر ، الى اخيه الملك العزيز عثمان ، فأحسن استقبالهم واكرم مئوهم ، وولاهم امور دولته ، يدبرون له امورها .

وتجافى الأخوان ... ولم يعمل ابن الأثير ، وهو الوزير المسيطر ، على اصلاح الحال ، وتصفية الأمور بينهما بالود . بل سار بالشوط الى نهايته ، وكانت نهايته وبالاً عليه .

وغلب الملك الأفضل ، وأمر بالانتقال الى صرخد (٦) اما ابن الأثير فقالوا عنه : « فأخرج وزيره الجزري في جملة الصناديق خوفاً من القتل » وقالوا : « فأخذ امولاً عظيمة وهرب الى بلاده »

ومات العزيز بمصر سنة ٥٩٥ هـ ، ورأى رجال دولته ان يكون الأفضل أخوه وصياً على ابنه ، فالتحق الأفضل بمصر ، ولحقه ابن الأثير الى هناك . ولم يطل امرهما فيها ، اذ انتزعا الملك العادل ، عمه ، (٧) من يده .

وخرج الملك الأفضل من مصر ، ولم يخرج ابن الأثير معه . قالوا : « لأنه خاف على نفسه من جماعة كانوا يريدون الفتك به ، فخرج منها مستتراً » .

واستقر الأفضل بسُمَيْسَاط (٨) ، وعاد ابن الأثير الى خدمته ، وظل معه الى سنة ٦٠٧ هـ ، اذ فارقه متصلاً بأخيه الملك الظاهر غازي ، صاحب

(٥) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، لسبط ابن الجوزي ؛ ٤٣٠/٨ ط . حيدر آباد - الدكن - بالهند .

(٦) المصدر نفسه ٤٦١/٨ . (٧) المصدر نفسه ٤٧٣/٨ .

(٨) مدينة على شاطئ الفرات ، في طرف بلاد الروم - معجم البلدان ؛ ٢٥٨/٣

حلب ، ولم يطل مقامه معه ايضاً ؛ اذ خرج عنه مغاضباً وعاد الى بلده الموصل . ثم فارقتها الى اربل سنة ٦١١ هـ ، ومالبت ان فارقتها الى سنجار ، ولم تستقر بها نفسه ايضاً ، فرجع عائدا الى الموصل ، وكأنه صمّم على الإقامة بها ؛ اذ صار كاتب الإنشاء للملكها القاهر ؛ عزّ الدين مسعود الثاني ، ثم لابنه ناصر الدين محمود ، ولأتابكه بدر الدين لؤلؤ ، وذلك في سنة ٦١٨ ، وظلّ كاتب الإنشاء حتى وافاه اجله سنة ٦٣٧ ببغداد ، وكان قد توجه اليها رسولاً ، من صاحب الموصل .

هذا هو الجانب السياسي من حياة ابن الأثير ، عرضنا له بإيجاز يكاد يكون مخلّلاً ، على حدّ تعبير اهل البلاغة . وما كنّا لنعرض له ، لولا مساهمته بحياته الكتابية أو الفنية .

اما الجانب الفني ، فلا نريد الإفاضة فيه (٩) ، وهو متسع متشعب ، وقد شهر به ابن الأثير شهرة غطت على شهرته السياسية . ويكفيّنا ان نتحدث عن ناحية واحدة من حياته الفنية ، هي هذه الناحية المتعلقة بكتابه : « الوشى المرقوم في حلّ المنظوم » .

ولعل هذا الكتاب الصقّ كتب ابن الأثير ، وهي كثيرة ، بحياته العملية ، او حياته السياسية . إنه كتاب يعلمُ فيه الكتّاب كيف يكتبون رسائلهم ، لا سيّما هؤلاء الكتّاب او الوزراء ، الذين يكتبون لرجال الدولة بامور يُطلب بها اليهم انشاؤها .

ونرى ، والكتاب يعلم الكتابة ، ولاسيما لخولاء الوزراء او الكتّاب في الدولة ، ان نشير بكلمة الى اهمية الكتابة ، والى اهمية الوزير ومقامه قبل ان نبدأ بالحديث عن الكتاب .

(٩) انظر ابن الأثير وجهوده في النقد الادبي — للدكتور محمد زغلول سلام ط : مطبعة الرسالة — بالقاهرة .

اهمية الكتابة

كان الخلفاء الراشدون ، والخلفاء الأمويون وولاتهم ، يتخذون الكتبة ، وكانوا يعملون على الكاتب ما يكتبه ، حتى ظهر عبد الحميد الكاتب ، كاتب الخليفة الأموي مروان بن محمد ، فصار هذا يكتب للعمال برغبات الخليفة ، ولكنه يكتب بالفاظه واسلوبه هو . وعلمت أهمية الكتابة ، حين ذاع فيما بعد ، أنه كتب لأبي مسلم الخراساني كتاباً أرسله اليه ، وأنه منى مروان بن محمد بأن ابا مسلم ربما عدل عن رأيه في الحرب اذا هو قرأ كتابه هذا وقالوا : إن ابا مسلم ، خاف ان يثنيه كتاب عبد الحميد عن رأيه اذا هو قرأه . قالوا : فلما ورد عليه الكتاب دعا بنار فطرحه فيها ... وقال :

عما السيفُ اسطارَ البلاغة وانتحى
ليوث الوغى يقدمُ من كل جانبٍ

فإن يقدموا نعمل سيوفاً شحيذة
يهسون عليها العتبُ من كل عائب

وشهر ابن المقفع ، صديق عبد الحميد ، بالكتابة ، وقالوا : إنها من اسباب قتله ، لأن المنصور حنق عليه لشدة احتياظه في الأمان الذي كتبه لعم المنصور عبدالله ، وكان عبد الله هذا نائراً على المنصور .

وعظمت أهمية الكتابة في الدولة العباسية ، حتى صار القلم والسيف ، لا يدرى أيهما فوق الآخر . وقد عد الشاعر أبو تمام ، نصر المعتصم في وقعة عمورية ، نصراً للسيف على القلم ، واستهل قصيدته بقوله :

السيفُ اصدقُ انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح ، لا سود الصفائح في
متونهن جلاء الشك والرئيس

ورجحت كفة الكتابة ؛ لأن الوزير ، ولا يكون في الغالب إلا كاتباً ، هو الذي صار يدبر أمور الدولة . وكانت شخصيته تأتي بعد شخصية الخليفة ، أو بعد شخصية الأمير ؛ بعد أن سيطر الأمراء على الخلفاء . بل كثيراً ما تسلط الوزير على الأمير أو الخليفة ، وساس المملكة برأيه وإدارته .

ومع أن الدولة الإسلامية من القرن الثالث الهجري ، قد صبغت بالصبغة الحربية ، وكان الأمراء من الأتراك أو الفرس — وهم رجالُ حرب في الغالب — يسيطرون عليها . مع هذا فقد بقيت للوزير هيئته ومكائنه ، وظل قائد الجيش يشعر أن الوزير فوقه . يقولون : إن مؤنس المظفر حين عاد إلى بغداد سنة ٣١٢ هـ ركب الوزير طياره للسلام عليه وتهنئته بمقدمه ، وهذا ما لم تجر به عادة الوزير ، وما لم يفعله وزير مثله من قبل . وكبر فعله هذا « حتى أن الوزير لما خرج لينصرف ، خرج معه مؤنس إلى أن نزل في طياره وقبلَ يده ... » (١٠)

وكان الشعراء ينظرون إلى حال الوزراء وإلى حال القواد ، ويوازنون بينَ الحالين ويرون أن الوزراء ، وإن كان بعضهم قد جمع السيف إلى القلم — إلا أنهم أربابُ أقلام في الغالب ، ومن هنا قالوا : إن القلم فوق السيف ؛ لأن الوزير هو الذي يوجه القائد ، يقول ابن الرومي :

كذا قضى الله للأقلام مذ بُرِيتْ
أن السيوف لها مذ أرهفت خدامُ

ويقول :

لعمرك ما السيفُ سيفُ الكميـ
سَيِّءٌ بأخوفَ من قلم الكاتب
أداةُ المنية في جانبيـ
هـ فمن مثله رَهَبُ الواهبِ

(١٠) كتاب الوزراء — ص : ٥٥ .

ويقول ابو دُلْف العجليّ (١١) :

قومٌ اذا خافوا عداوةً حاسد
سفكوا الدماءَ بأسنّة الأَقلام
ولضربة من كاتبٍ بمداة
أمضى وانفذ من غرار حُسام

ويقول ابنُ المعتز ، في القاسم بن عبيدالله (١٢) :

قلمٌ ما أراه أم فلكٌ يجـ ري بما شاء قاسمٌ ويسيرُ
كم عطايا وكم منايا وكم عيـ شٍ وحتفٍ تضم تلك السطورُ

ويقول ابو الفتح البستي (١٣) :

إن سلَّ اقلامه يوماً لِيَعْمَلَهَا
انساك كلَّ كميّ هزَّ عامِله

وظلَّت قيمة الكتابة تعظمُ ويزداد اثرُها ، في تصريف امور الدولة ،
وشؤونها ، حتى صار ابو اسحاق الصابي ، وهو الكاتب الذي تعلّق
ابن الأثير به ، وراح يعارضه برسائله ، ويفنّد اراءه في البيان ، كلّمًا وجد الى
ذلك سبيلا (١٤) ، وكأنه يرى نفسه فوقه في فنّه وقلمه ، صار يقول :

وقد علم السلطانُ أنني لسانه
وكاتبه الكافي السديدُ الموفقُ
فَيُمْناي يمناه وَلَفْظي لفظه
وعيني له عينٌ بها الدهرَ يرمقُ
ولي فقرٌ تضحي الملوكُ فقيرةً
إليها لدى أحداثها حينَ تَطْرُق

(١١) نشر النظم وحل العقد - للشعالبي ص : ٤ ط : دار صعب - بيروت سنة ١٩٧٢ مطبوع مع رسائل الشعالي .

(١٢) المصدر نفسه ص : ٨ . (١٣) المصدر نفسه ص : ٥ .

(١٤) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ؛ ١٠٨/٣ .

والثعالبي يقدم نفسه ، بقوله : « مولانا الملكُ السيدُ وليُّ النعم »
خوارزمشاه « ويقول : « وقد جمعتُ بحمد الله آلات الخدمة (١٥) الملوكية »
ويأخذ بتعداد ما عنده من اوصافها ، فيجعل الكتابة ، هي المقدمة ، ويقول :
« فيدي في الكتابة كالبرق ، وقلمي قلدكي (١٦) الجري » ويقول :
« معاداةُ الكتاب ليست من أفعال ذوي الألباب ، وإن مماراتهم ندامة ،
ومسألتهم سلامة » ويقول : « وما ظنك بقوم يملكون ازمةُ المني
والمنايا بحسن كلامهم ! ؟ ويخطبون على منابر الفضل باللسنة أقلامهم ،
ويريقون دماء الأعداء بأسنة أقلامهم . وقديماً اغنت كتبهم عن الكتاب ،
ونابت آثارُ ايديهم عن القواضب » (١٧) .

وهذا صلاح الدين الأيوبي ، وهو الذي التحق ابنُ الأثير بخدمته ، وكان
وسيلة اتصاله به كاتبه عبد الرحيم بن علي اليبساني ، المعروف بالقاضي
الفاضل ، يرى هذا الرأي في الكتابة ، ويقول لرجاله : رجال الحرب : « لا
تظنوا أنني ملكتُ البلادَ بسيفكم ، بل بقلم الفاضل » . وفي مرآة الزمان
يكتب المؤرخ سبطُ ابنِ الجوزي عن صلاح الدين عنواناً (١٨) بـ : « ذكر
قضاته ووزرائه وكتابه » وبعد ان يعددهم ، يقول : « وكان الفاضلُ
حاكماً على الجميع ... لا يصدرُ السلطان إلا عن رأيه ، ولا يمضي
في الأمور الا بمضائه » .

وهكذا كان هذا الكاتب اثراً عند صلاح الدين ، بحيث كان
يُعمضي الامور برأيه .

ويبدو ان الفاضل هذا كان ينظر الى صلاح الدين واسرته وابنائهم نظره
الى أسرته وابنائهم هو . وحسبك منه ان يكون هو الذي يبعث الأكفان

(١٥) نشر النظم وحل العقد ، ص : ٥٥ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص : ١٣ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص : ٥ .

(١٨) مرآة الزمان ؛ ٤٣٤/٨ .

والحنوطَ لصلاح الدين حين مات ، وان يكتبَ التعازي لأبنائه بموته . وتراه يقف في رسائله موقف الناصح منهم ، لا موقف المستجدي او المترجّي لفضلهم ونِعَمِهِمْ . يذكر سبطُ ابن الجوزي تعزيته ، ثم يقول (١٩) : « وفي آخر الكتاب : فإن اتفقتُم ما عدِمتم الا شخصه ، وإن اختلفتم فالمصائبُ المستقبلُ هو لها عظيم » .

هذا شأن صلاح الدين مع القاضي الفاضل كاتبه .

اما ابن الأثير ، فيقول العمادُ الكاتب عنه (٢٠) : « ولما انفصلت العساكرُ عن دمشق » ؛ يريدُ بعد موت صلاح الدين « شرَعَ الأفضلُ في اللهو ، واحتجبَ عن الرعيّة وفوض الأمر الى وزيره الجزريّ » .

وتفاهم الخلاف بين ابني صلاح الدين ؛ الملكِ الأفضلِ بالشام ، والملك العزيز بمصر ، وعاون العادلُ عمُّهُما العزيزَ ، قالوا : « فاتفق العادلُ والعزيزُ على النزول الى دمشق ، وسارا الى الشام ، فاستشار الأفضلُ اصحابه ، فكلُّ اشارة عليه ان يلتقى عمّه واخاه ولا يخالفهما ، إلا الجزري فإنه اشارة عليه بالعصيان ، فاستعدَّ للحصار وغلب (٢١) » وهكذا ترى رأي ابن الأثير الكاتبِ الوزيرِ قد غلب الآراء كلّها ، واليه وحده رُدَّتْ الأمور .

وهكذا ترى امرَ هذين الكاتبين ؛ الفاضل وابن الأثير ، واثريهما ومقامهما في الدولة . وبهما ترى اهميّة الكتابة في عصر ابن الأثير هذا .

الكتابة تشارك الشعر في موضوعاته

وكان عصرُ ابن الأثير عصرًا مضطربًا من الناحية السياسية . إنه عصرُ كثرت فيه الحروب ؛ حروبٌ بين الأمراء المسلمين والصليبيين ، وحروبٌ

(١٩) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ؛ ٤٣٢/٨ ط : حيدر آباد - الدكن - بالهند

١٣٧٠هـ - ١٩٥١م .

(٢٠) المصدر نفسه ٤٣٦/٨ . (٢١) المصدر نفسه ٤٤٢/٨ .

بين الأمراء انفسهم يتسع مداها مرةً ويضيق اخرى ، حتى كانت بين الإخوة من ابناء صلاح الدين .

وقديما كان يكثر الشعرُ حيثُ تكثر الحروب ، حتى توهّم ابنُ سلام ان الأقوام التي نقلَ حروبُها يقلّ شعرها . وعزا قلّة الشعر عند قریش ؛ في الجاهلية ؛ واهل الطائف واهل عمان ، الى قلّة حروبهم (٢٢) ، نقسول : كان يكثر الشعر حيثُ تكثر الحروب ، والآن في عصر ابنِ الأثير هذا نرى الكتابة عدّت على الشعر ، وشاركته في موضوعاته ، التي اختصّ بها قديماً وحده .

كان الشعرُ يقال في الحرب فيكون حماسياً يدعو المقاتلين الى التفاني والهاب المشاعر ، فعدتُ الكتابة عليه في هذا ، وصار الناسُ يستعيضون عنه بالنثر ؛ يكون خطباً تدعو الى الحماسة ، والى التفاني في الجهاد . وقد شُهرتُ خطبُ ابنِ نُبّاتة في هذا العصر ، ولاسيما خطبه في الحثّ على الجهاد . وكان الناس يحفظون شعر الشعراء ، فصاروا يحفظون النثرُ خطباً ورسائلَ . يقول ابن الأثير في كتابه هذا ، وكأنه يريد ان يبيّن انه ليس كغيره من اهل فن الكتابة : « ولقد حظرت على نفسي ، ان احفظ شيئاً من رسائل الناس وخطبهم » ويتمّ قوله ، وكأنه يبالغ في نفى هذا عنه : « حتى أني حظرت على نفسي حفظ شيء من مقامات الحريري ، وخطب ابنِ نُبّاتة ، وهما عكّاز اهل الزمان من متعاطي هذه الصناعة » .

وكان الشعر يقال في الحروب ووصفها ، وقد اكثّر الجاهليون الحديث فيه عن معاركهم وایامهم ، وظلّ الشعراء في العصور الإسلامية ينهجون نهجهم في هذا . وكثر الحديث في شعر ابي تمام وفي شعر البحتري ، وفي شعر المتنبي عن الحروب ، حتى اذا جئنا الى عصر ابن الأثير هذا ، رأيناه ينشئ الرسائل في وصف الحروب (٢٣) .

(٢٢) طبقات الشعراء ، ص : ٦٥ - ٦٦ ط دار النهضة - بيروت .

(٢٣) المثل السائر ؛ ١/١٤١ ، ١/١٨٥ . ط : نهضة مصر - القاهرة .

وكان الشعر يقال في وصف عُدَدِ الحرب من خيل وسلاح ، فصارَ
النثرُ يقال في هذا ، وابنُ الأثير له رسائلٌ في وصف الخيل ، وله رسائل
في الحديث عن المنجنيق (٢٤) وغيره من آلات الحرب .

وكما شارك النثرُ الشعرَ في هذا ، شاركه في غيره من الموضوعات
الاجتماعية الأخرى . كان الشعر يقال في الصيد (٢٥) والطرْد ، وقد شُهرَ
الجاهليون بالحديث عن هذا . وشهر ابو نواس — في اول العصر العباسي —
في طَردياته ، ثم رأينا السريَّ الرفاء يتحدث بشعره عن صيد السمك (٢٦) ،
وعن الشباك يُصطاد بها . ونرى ابنَ الأثير يكتب (٢٧) الرسائل في هذا ،
وينشؤها في وصف صيد السمك .

وشهر ابنُ المعتز بحديثه عن الفهود (٢٨) ، ووصفها في الصيد شعراً ،
وابنُ الأثير يكتب الرسائل في الفهود وصيدِها (٢٩) ، وفي كلاب
الصيد (٣٠) .

وكان الشعر قديماً هو الذي يختص بالحديث الوجداني العاطفي ، وقد
امتلاً بالغزل وبالحديث عن الشيب واثره في النفس ، وقلَّ ان تجد شاعراً
لا يتعرض لهذا ، فصار النثر تُكتبُ (٣١) به الرسائل عن هذا ، ولابن الأثير
رسائل في العشق والمعشوق (٣٢) ، وله رسائلٌ في الشيب (٣٣) .

-
- (٢٤) المثل السائر ؛ ٢٠٧/١ ، ١٧/٢ . ط : نهضة مصر — القاهرة .
(٢٥) انظر النويري — نهاية الأرب ؛ ٢٤٧/٩ .
(٢٦) ديوان السري الرفاء ، ص : ١٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ط القدسي — بالقاهرة .
(٢٧) رسائل ابن الاثير — ص ١٩٥ . ط : دار العلم للملايين — بيروت سنة
١٩٥٩ .
(٢٨) انظر الوصف في شعر العراق ، ص : ٢٠٩ للدكتور جميل سعيد ، ط :
مطبعة الهلال ببيداد سنة ١٩٤٨ م .
(٢٩) رسائل ابن الاثير ؛ ص ٩٧ ، ١٠٠ .
(٣٠) رسائل ابن الاثير ؛ ص : ١٠٣ . (٣١) رسائل ابن الاثير ؛ ص : ١٠٦ .
(٣٢) رسائل ابن الاثير ؛ ص : ٢١٩ ، ٢٢١ .
(٣٣) المثل السائر ؛ ١٣٩/١ ، ٣٣/٢ .

وكان الشعرُ يقال في الخمر ومجالسها ، فصار النثرُ يقال في هذا ، وابنُ الأثير يتحدث في رسالة له عن الخمر (٣٤) ومجالسها ، ثم يعتذر عن هذا ويرى انما قاله مجازاً لغيره من اهل الصناعة الثرية ؛ شأن (٣٥) الشعراء يقولون في الخمر وليسوا من اهلها ، ويقولون في العشق وليسوا بعاشقين .

وهكذا ترى النثر في عصر ابن الأثير هذا عدداً على الشعر وشاركه في موضوعاته ، بل فاته وتعداه في ميدان القول .

ويضاف الى هذا ان حدث بين النثر والنثر ، او الكاتب والكاتب ما كان يحدث بين الشاعر والشاعر . كان الشاعر يُهاجي الشاعرَ بأن يُسبّه في نسبه او عشيرته او شخصه ، كالذي نجدهُ بين جرير والفرزدق ، او بين جرير والأخطل مثلاً . ثم تعدّى الأمرُ هذا الى ان يتجه الشاعر في هجاء الشاعر الى أن يتناول شعره بهجته ويذمه ، ويتخذ من هذا وسيلة لدمّ قائله ، فابن الرومي مثلاً يهجو البحتري بقوله :

قبحاً لأشياء يأتي البحتريُّ بها
في شعره الغث بعد الكدِّ والتَّعب
كأنها حين يصغى السامعون لها
ممن يُميّز بين النبع والغرب
رقى العقارب او هذرُ البناة اذا
أضحوا على شُعيب الجدران في صخب
وقد يجيء بخلط فالنحاس له
وللأوائل ما فيه من الذهب

والبحتريُّ يقول :

ما تجزع الشاة اذا شطحت
من السم الذبح ولا السليخ

(٣٤) رسائل ابن الأثير ، ص ٧٢ والمثل السائر ؛ ٣٨٦/١ ، ط : نهضة مصر .
ط : القاهرة .

(٣٥) رسائل ابن الأثير ؛ ص : ١١٧ .

لكنها تجزع من خلّة
تقدح في الأحشاء بالمرخ
تشفق ان يُكتب في جلدها
شعرك يا ذا القرن والكشخ

وابن الرومي يفزع اكثر ما يفزع من هؤلاء الذين يعيبون شعره ، وقد
يتسامح مع هؤلاء الذين يمدحهم فيحرمونه العطاء ، ولكنه لا يتسامح
في امر هؤلاء الذين يهجتون شعره ؛ يقول :

مدحت أبا العباس اطلب رِفده
فخيتني معروفة وهجا شعري
فهني قد اعفيتُ من مثوبي
أبغضى له شعري على مَضض الوتر
سبّريه شعري حسيما كان راشه
ولا خير في شعري يریش ولا يبّري

هذه حال الشعراء !

اما الكتاب فنراهم يتجهون للنيل من بعضهم البعض ، في ذمّ
رسائلهم ، ولابن الأثير رسائل في ذم (٣٦) بعض الكتاب ينحو بها هذا
النحو ، ويملؤها بالقذع من المعاني والألفاظ .

وحين نرى هذا كلّهُ ، لا نعجب ان نرى ابن الأثير يعمد في كتابه
هذا الى تعليم النثر والكتابة بدلاً من أن يأخذ به في الحديث عن الشعر
وفنونه ، بل نراه فيه يعمد الى الشعر فيأخذ معانيه ؛ بصيرها ثراً ، ويجعله
ركناً من اركان كتابه هذا .

(٣٦) رسائل ابن الاثير ، ص ١٨٤ ، ط بيروت سنة ١٩٥٩ .
والمثل السائر ، ٣٤/٢ . ط : نهضة مصر .

وأقام ابن الأثير كتابه هذا ، علاوة على حلّ الشعر ، على حلّ آيات من « القرآن الكريم » وحلّ بعض اخبار الرسول الكريم .

ومعلوم ان القرآن الكريم ، هو المثلّ الأعلى للبيان العربي ، يضاف الى هذا قدسيّة آيه ومعانيه في نفوس المسلمين . وعصرُ ابن الأثير كان عصرَ جهاد مع الصليبيين ، فكان التذكير بمعاني القرآن مما يشدّ نفوسَ المجاهدين ، ويحمّسُهم ويدفعُهم الى الجهاد . يضاف الى هذا أن الأمراء في هذه الحقبة عُرِفوا بتمسكهم بالدين واسبابه ، وكان للحروب بين المسلمين والصليبيين ، ثم بين المسلمين المتنازعين لاختلافهم في المذاهب الإسلامية اكبر الأثر في هذا .

كان صلاحُ الدين الأيوبي ، وهو الذي ازال الدولة الفاطميّة ، وشهر بحرب الصليبيين ، معروفاً بتمسكه الشديد باسباب الدين الإسلامي . قال العماد عنه : (٣٧) « كان محافظاً على الصلاة في اوقاتها وما رأيته يصلّي الا في جماعة ، ولم يؤخر صلاته من ساعة الى ساعة ، و .. واذا عزم توكلّ على الله » .

وذكره القاضي ابنُ شدّاد ، فقال (٣٨) : « ... كان حسنَ العقيدة ، كثيرَ الذكر لله تعالى ، واذا جاء وقتُ الصلاة وهو راكبٌ ، نزل فصلّي ، وما تركها الا في مرضه الذي مات فيه : ثلاثة ايام اختلط فيها ذهنه وكان يحبّ سماع القرآن واجتاز يوماً على صبيّ صغير بين يدي ابيه ، وهو يقرأ القرآن ، فاستحسن قراءته ، فوقف عليه وعلى ابيه مزرعة » هذا شأنه في تعلقه بالصلاة وبالقرآن !

اما الحديث ، فقالوا عنه (٣٩) : « إنه كان شديد الرغبة في سماع الحديث . واذا بلغه عن شيخ رواية عالية : وكان ممن يُحضّرُ عنده ، استحضره

(٣٧) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ؛ ٤٢٦/٨ . ط : حيدرآباد - الدكن - بالهند سنة ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م .
(٣٨) نفس المصدر ؛ ٤٢٧/٨ . (٣٩) المصدر نفسه ؛ ٤٢٦/٨ .

وسمع عليه ، وأسمع اولاده ومماليكه . وإن لم يكن ممن يُحضرَ عنده ، ولا يَطْرُق ابواب الملوك سعى اليه ، وسمع منه ، وروى عنه ، وتردّد اليه ... » قالوا : « ومضى الى الاسكندرية ، وسمع الحديث الكثير من الحافظ السلفي ومن ... » .

نقول : لعلّ حالة بعض رجال الدولة ، ممن كانوا على شاكلة صلاح الدين في هذا مما زاد في عناية ابن الأثير ، وتعلّقه بحلّ بعض آيات القرآن ، وحلّ بعض الأخبار النبويّة ، وجعلهما عمودين او ركنين من اركان كتابه هذا .

وما كنّا لنقول هذا ، لولا أنّنا رأينا رجال البلاغة الأوائل ، وحتى الذين جعلوا غاية البلاغة عندهم ادراك إعجاز القرآن الكريم ، يكثر استشهادهم بالشعر ، ويقلّ استشهادهم بالقرآن الكريم . اما حديث الرسول الكريم ، فلانراه يدور في كتبهم ، الا نادراً ، بل نادراً جداً .

أمّا ابن الأثير فيتحدث عن عدّة الكاتب ، الذي يريده ان يسلك طريقه هذا ، فيقول : « وجدت خلاصة ما يحتاج اليه الكاتب ثلاثة اشياء :

الأول : حفظ القرآن الكريم .

الثاني : حفظ ما ينبغي له حفظه من الأخبار النبوية .

الثالث : حفظ الأشعار الكثيرة »

وابن الأثير ليس هو الأول في حلّ الشعر ، وأخذ معانيه ونثرها . أمّا بحث السرقات الشعرية (٤٠) ، والكلام فيها ، فقد دار عليه حديث نقّاد الشعر عند العرب من أيامهم الأولى . ولا تكاد تجد متحدثاً منهم عن شاعر ينقّده ، إلّا ويشير أنّ هذا المعنى قد أخذ من فلان او من فلان .

(٤٠) انظر « السرقات الادبية » للدكتور بدوى طبانة ط : نهضة مصر - القاهرة

وقد اكدوا الحديث عن المعاني وتداولها . حتى ان الجاحظ ، وقد رأى كثرة المعاني المتداولة ، واخذ الناس بعضهم من بعض ، اعتبر الصياغة او الألفاظ ، هي التي يحسن أن يُدار عليها امرُ المفاضلة في الفن القولي . بل ذهب الى أن المعاني مطروحة في الطريق .. وتابَعه العسكري ، ابو هلال ، في هذا .

وربما كان لهذا صلة بإعجاز القرآن فيما يتصل بمعانيه . إن بعض المعاني جاءت في الكتب السماوية التي سبقت القرآن الكريم ، كالحديث عن بعض قصص الأنبياء . وبعضها جاءت في كلام العرب قبله ، ومما يدور في كتب البلاغة ويتناقله بعضهم عن بعض ، المفاضلة بين قوله تعالى : « ولكم في القصص حياة » وقولهم (٤١) القتلُ انفى للقتل .

نقول : إن الحديث عن المعاني وتداولها او سرقتها ، كما سمّوه ، قديمٌ يقول الجرجاني (٤٢) : « والسَّرَقُ - أَيْدَكَ الله - داءٌ قديمٌ ، وعَيْبٌ عتيق وقد ادّعى جريرٌ على الفرزدق السَّرَق ، فقال :

ستعلم مَنْ يكون ابوه قيناً
ومن عُرِفَ قصائدُهُ اجتلاباً

وادّعى الفرزدق على جرير ، فقال :

إن استراقك يا جرير قصائدي
مثلُ ادّعاك سوى ابيك تنقلُ

وكتبَ النقادُ في سرقات الشعراء من بعضهم ، وعُنوا بهذا عناية كبيرة وكتأب ابن الأثير هذا الذي نتحدث عنه ، يمتُّ بأوثق الصلة الى هذه الناحية .

(٤١) الوساطة بين المتنّى وخصومه ، ص : ٢١٤ ط : الحلبي بالقاهرة سنة

١٣٧٠هـ = سنة ١٩٥١م .

(٤٢) الوساطة ، ص : ٢١٤ .

هذا شأن السرقات الأدبية والحديث عنها عند نقاد الأدب قبل عهد ابن الأثير ، وقد عَظُمَ أمرُها في الحديث عندهم ، حتى رأى علماء البلاغة ومؤلفوها أن يجعلوها باباً من أبواب كتبهم (٤٣) .

* * *

والمؤلفون في البلاغة العربية لم يروا بأساً في أخذ الشاعر المعنى من الشاعر ، شريطة أن يعرضه بمعرض حسن ، وألا ينزل به في تعبيره عن صاحبه الذي أخذته منه . يقول العسكري أبو هلال (٤٤) : « ليس لأحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدّمهم ، والصبّ على قوالب من سبقهم ، ولكن عليهم - إذا أخذوها - أن يكسوها الفاظاً من عندهم ... ويزيدوها في حسن تأليفها ، وجودة تركيبها ، وكمال حليتها ومعرضها ، فإذا فعلوا ذلك ، فهم أحقُّ بها ممن سبق إليها » .

وذهب مذهب ابن رشيق في كتابه (٤٥) « العمدة » ورأى أن الشعراء لا مندوحة للاحتقار عن الأخذ من سابقهم ، وذكر قول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « لولا أن الكلام يُعاد لتنفد » وعقب عليه بقوله : « فليس احداً أحقّ بالكلام من أحد ، وانما السبق والشرف معاً في المعاني على شرائط تأتي بها فيما بعد من هذا الكتاب إن شاء الله » .

وتحدّث ابن الأثير عن هذا ، وأفاض فيه كلّ الإفاضة (٤٦) ، وعنده ، انه : « لا يستغنى الآخر عن الاستعارة من الأوّل . لكن لا ينبغي لك ان تعجّل في سبك اللفظ على المعنى المسروق ، فتنادي على نفسك بالسرقة .. » وقال : « والأصل المعتمد عليه في هذا الباب التورية والإخفاء » .

(٤٣) الباب السادس من كتاب الصناعتين ، عنوانه : « في حسن الأخذ وحلّ المنظوم » ص ١٩٦ ط : الحلبي بالقاهرة .

(٤٤) الصناعتين ، ص : ١٦١ .

(٤٥) العمدة : ٩١/١ ط : مطبعة السعادة ، بمصر .

(٤٦) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، ص ٦٨ ، والمثل السائر ؛ ٢١٨/٣ - ٢٩٢ ، ١٢-١/٤ .

وقد شَعَبَ الحديث في السرقة ، وأفاض في الحديث عن الشعراء ، في أخذ بعضهم عن بعض ، وعنده أن الشر يُباح له الأخذ من الشعر ، ولكن بشروطٍ بينها في كتابه هذا الذي نتحدث عنه .

ولم يكن ابنُ الأثير أول من جعل من حلِّ النظم كتاباً . لقد سبقه الثعالبيُّ الى هذا ، وسمى كتابه : « نثر النظم وحلِّ العقد » .

والعسكريُّ ، ابو هلال ، جعل هذا فصلاً من كتابه « الصناعتين » سمّاه : « في حسن الأخذ وحلِّ المنظوم » . ويظهر أن هذه الصناعة الم بها الكتاب ، والى بعضهم أشار الصاحبُ بن عباد ، في قوله (٤٧) :

ألا إنَّ حلَّ الشعر رتبةٌ كاتب
ولكنَّ منهم من يحلُّ فيعقِدُ

وابنُ الأثير ، على عادته حين يكتب ويرى نفسه فوق الكاتبين قبله ، يشير الى هذا في اول كتابه بقوله : « ولئن سبقني الى حلِّ الشعر سابق وطرق ورَدَه قبلي طارق ، فإنّه ركب اليه هجيناً لا هجاناً . وظنَّ خواطره فيه سميرةً بصيرةً ، وكانت صُمّاً وعُمياناً . وليس كلُّ بيضاء شحمة ، ولا كلُّ بيان بحكمة . وما مثَلُ من سبقني في هذا الفن ومثلي ، إلا كما قال ابو تمام :

مثلُ العجوز التي ولّتْ بشاشتُها
وبان عنها شبابٌ كان يحظيها

لُرّت بها ضرةٌ زهراء واضحة
كالشمس احسن منها عند رآئِها »

ويقول في « المثل السائر » في حديثه عن حلِّ الأبيات الشعرية (٤٨) :
وقد سلك هذا المسلك بعضُ العراقيين ، فجاء مستهجنّاً لا مُستحسنّاً ، كقوله في حلِّ بعض ابيات الحماسة :

(٤٧) نثر النظم ص : ٤ .

(٤٨) المثل السائر ؛ ١/ ١٢٩ .

والدَّ ذِي حَنَقٍ عَلَيَّ كَأَنَّمَا
تَغْلِي عِدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ
أَرْجِيئِهِ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ
وَكُوَيْتُهُ فَوْقَ النَّوَظِرِ مِنْ عِلٍّ
فَقَالَ فِي نَشْرِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فَلَمْ يَزِدْ هَذَا النَّاثِرَ عَلَى أَنْ أَزَالَ رَوْنَقَ
الْوِزْنِ وَطَلَاوَةَ النِّظْمِ ، لَا غَيْرَ » .

* * *

والحقّ أن الفرق كبيرٌ بين كتاب الثعالبي ، وكتاب ابن الأثير هذا .
لقد اختار الثعالبي أبياتاً من الشعر مختلفة المعاني ، ونشرها ، وبَيَّن أنه إنما
فعل هذا برغبة « وليّ النّعم أبي العباس خوارزمشاه » وراح يتقرب بنشره
لوليّ النّعم هذا ؛ فهو حين ينشر قول ابن الرومي (٤٩) :

جُعِلَتْ فِدَاكَ لَمْ أَسْأَلْ لَكَ ذَاكَ الثَّوْبَ لِلْكَفَنِ
يقول : « جعلني الله فداك يا مولاي وأطال بقاءك ، الى متى هذا المطل
الشديد بالثوب الجديد ... »

وينشر بيت البحتري (٥٠) :

سحابٌ خطاني جودُهُ وهو مُسْبِلٌ

وبحرٌ عدائي فيضُهُ وهو منعمٌ
فيقول : « سيّدنا الأَمِيرُ ، أطال الله بقاءه ، سحابٌ كلّه الغيث ،
ودأبه الغوث . ولكنّه لم يحي أرضي بمطرة ، ولم يبلل لهاقي بقطرة ...
وهو — اعزّ الله نصرته — بحرٌ مفعمٌ ، فيضُهُ نَعَمٌ ، ولكنّي عطشان في
جواره »

(٤٩) نشر النظم وحل العقد — للثعالبي ص : ٣٥ .
(٥٠) المصدر نفسه ؛ ص : ٤٧ .

ويقول في قول القائل : (٥١)

ولما كان برُّك فوق شكري

وكان الشكر من حقّ الوفيّ

وأنّ الله قد أعطاك ملكاً

مُبيناً للعدوّ وللوليّ

مولانا الملكُ السيّدُ وليُّ النعم خوارزمشاه . اطال الله بقاءه ، قد أطال
في أمري عِنانَ التطوّل ، وأفاض عليّ سَحَابَ التفضّل ، وممد اليّ
يدَ الإنعام ... »

وهكذا يسير في نثره ... ينثر الحديثَ عن الشجاعة فيجعلُه له ، وينثر
الحديثَ عن الوفاء فيجعلُه له ، وهكذا فيما ينثره من معان كثيرة .

والفرق كبير بينه وبين ابن الأثير في كتابه هذا . هذا ينثر الشعر او
يَحُلُّه ، وهذا يُعلِّمك كيف تنثر الشعرَ وكيف تحلُّه . وشتانَ بين مَنْ
يؤلّف خطبةً بليغةً ، وبين مَنْ يعلِّمك كيف تؤلّف خطبةً بليغةً . كتابُ ابن
الأثير كتابُ تعليم ؛ نظر فيه فيما يحسنُ ان يُحلَّ من الشعر ، وأراك وحدّثك
عن الطريقة المُثلى في حلّه . وعلّمك ايّ الألفاظ يحقّ لك ان تُبقيها في
حلّه ، وأيها يحقّ لك ان تستبدلَ بها غيرها ، وبيّن السبب في هذا وفي هذا .

وهو في مواضع من كتابه ، يأتي بالحلّ في صورة ، ولا يريد ان يشعّب
او يكثر في الأمثلة ، فيقول (٥٢) : « ... ولكنّ هذا القدر كافٍ في
هذا الموضع ؛ لأنه كتابُ تعليم لا كتابُ تكثير وتطويل . »

والثعالبي قصر كتابه على حلّ الشعر وحدّه ، وابنُ الأثير اضاف

(٥١) نثر النظم وحلّ العقد ؛ ص : ٥٥ .

(٥٢) المخطوطة ٢ ص : ٣٨ .

حلّ الشعر ، حلّ الأخبار النبوية ، وحلّ آيات القرآن الكريم . وهو يقول (٥٣) : « ... وأما حلّ آيات القرآن العزيز فليس كنثر المعاني الشعرية ؛ لأنّ الفاظه ينبغي ان يُحافظ عليها ، لمكان فصاحتها ... » وبيّن أنّ الطريق التي سلكها ، لم يسلكها قبله سالك ، يقول : « وقد سلكتُ في ذلك طريقاً ، اخترعتها ، وكنت انا ابنُ عذرتها ، وعند تأمل ما اورده منها في هذا الكتاب ، تظهر للمتأمل صحة دعائى » .

وابنُ الأثير لا يشير الى السنة التي ألّف فيها كتابه هذا . والقارىء له يراهُ يشير الى كتابه « المثل السائر » فيه فيظنُّ أنه ألّفه بعده ، يقول (٥٤) : « ولما ألّفْتُ كتابَ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، قصّرتُ فصلاً منه على ذكر هذه الطريق ؛ إذ اتيت فيه بالمعاني الجليلة ، التي تحتاج الى الفهم الدقيق » . يقرأ القارىء هذا فيظنُّه ألّفه بعد المثل السائر ، وأنه فصل هنا ما كان أوجزَ هناك . ولكن ابنُ الأثير ما يلبث ان يتمم عبارته بقوله : « غير اني أحلّْتُ في مواضع منه على هذا الكتاب ، وجعلت لذلك رمز الإختصار ، ولهذا مكاشفة الإسهاب » ويقول في المثل السائر (٥٥) : « ومن سبيل المتصدّي لهذا الفن ان يأخذ المعنى من الشعر ، فيجعله مُثلاً للإكسير في صناعة الكيمياء ... وقد بسطتُ القول في هذا الموضوع ، وكشفتُ دفائنه في الكتاب الذي وسمته : الوشى المرقوم في حلّ المنظوم ؛ وهو كتاب مفردٌ لهذا الفن خاصة » .

يقول هذا ، فيشعر القارىء ان كتاب الوشى المرقوم قد سبّق في تأليفه كتاب المثل السائر .

ويبدو لنا ان الرجل كتب هذه الكتب ، وامتدَّ به العمر بعد كتابتها ، ومعلوم أنه عاش نحو الثمانين سنة ، وانه كتب فيما يُحسُّ به الشيخ يتوكأ

(٥٣) المثل السائر : ١/١٧١ .

(٥٤) المخطوط : ص : ٣ .

(٥٥) المثل السائر ؛ ١/١٦١ .

على عصاه ، وقد اشار الى هذا في رسالة له كتبها عن العصا (٥٦) ، يبدو لنا أنه اتيح له ان ينظر في كتبه التي ألفها ، وأن يزيد في هذا ، وفي هذا منها على النحو الذي يريده ، ولم ير داعية الى ان يشير الى ايها قد كتبه قبل الآخر . ونحن الآن لا نرى ضرورة لاستقصاء البحث في هذا الموضع ؛ لان هذا الكتاب لا ينقصه ولا يزيد فيه ان يكون كتبه قبل « المثل السائر » او بعده .

على ان الناظر في كتابه هذا ، قد يتساءل حين يراه يبدأ بحل الشعر قبل حل القرآن والحديث . يتساءل عن السبب وعندنا انه سلك به هذا المسلك لناحية تعليمية او منهجية في التأليف . وهي : أنه رأى أن البداية بحل الشعر أسهل على المتعلم من البداية بحل آيات القرآن الكريم ، ولذلك رأى من باب السهولة في التدريب أن يبدأ بحل الشعر أولاً . يضاف إلى هذا أن الألفاظ في الشعر ليس لها ما لها حين تكون في آيات القرآن الكريم .

واهمية الكتاب تأتيه من أنه الكتاب الذي اتجه به صاحبه هذه الوجهة العملية في تعليم الكتابة ، وأن صاحبه قد مارس الكتابة بنفسه ، ومارس التدريب عليها ، فهو حين يتحدث به ، يضرب الأمثلة لما لاقاه من هذه التجربة بنفسه ، يقول بعد حديثه عن الناحية التعليمية في كتابه : « فخذ من ذلك ما قتلته التجربة علماً ، لا ما نقلته الألسنة اخباراً » ويقول : « وقد دلتك ايها المترشح لهذه الصناعة على ما دلت عليه نفسي ، وهذا من أدب ذوي الأديان ، وبه وصف رسول الله حقيقة الإيمان » .

يضاف الى هذا ، أن الرجل كان حافظاً للأدب مطلعاً عليه ، يقول : وكنت حفظت من الأشعار القديمة والمحدثة ما لا احصيه كثرة ، ثم اقتصررت بعد ذلك على شعر الطائيين ؛ حبيب بن أوس وابي عبادة البحتري ، وشعر ابي الطيب المتنبي ، فحفظت هذه الدواوين الثلاثة ، وكنت اكرر عليها

(٥٦) رسائل ابن الاثير - ص : ١٢٢ .

بالدرس مدة سنين ، حتى تمكنت من صوغ المعاني ، وصار الإدمانُ لي خُلُقاً وطبعاً .

ويبين لِمَ اقتصرَ على هؤلاء الثلاثة ، دون غيرهم ، فيقول (٥٧) : « إني قلبتُ الأشعارَ تقليب السماسرة للمتاع ، ووزنتُها بالقيراط وكلنتها بالمدِّ والصَّاع ، وما عدلتُ الى الطائين إلا عن نظر وذلك : أن الغرضَ انما هو معرفة المعاني والألفاظ ، ولم يشتمل شعر احد من الشعراء المفلقين ، قديماً وحديثاً ، على المعاني التي يشتمل عليها شعرُ ابي تمام ، وأبي الطيّب ؛ فإنهما غوّصا المعاني ، واما الألفاظ في سبكها وديباجتها فلم اجد احداً يُسامي ابا عبادَةَ البحتري فيها .

ويقول عن القرآن الكريم ، وحلّ آياته (٥٨) : « هذا الأمرُ قد لا يسته ومارسته ، ودارسته ، فوجدته يحتاج الى تلاوة دائمة ، ومواظبة لازمة ، وكنتُ إذا مررتُ بسورةٍ من السُّور يسنح لي في حلِّ معاني منها ما رُبُّ وأوطارُ ، واظن أنني قد استوفيتُ ما اريده منها ، ثم اتلوها بعد ذلك فتسنح لي معاني غير تلك الأول . وكذلك كلما تجددتُ التلاوةُ تجددت معاني بعد معاني ... » .

اما الحديث والإطلاع عليه ، فيجعلهُ الشرطَ الثالثَ ، لمن نصب نفسه لصناعة الكتابة ، وعليه كما يرى : « حِفْظ ما ينبغي له حفظه من الأخبار النبويّة » ويفصّل في هذا ويقول : « على أن الأخبار النبويّة ، لا يمكن الإحاطة بحفظها كما يمكن الإحاطة بحفظ القرآن ، وانما يؤخذ منها ما يدخل في هذه الصناعة . وهذا يحتاج الى فضل معرفة وثاقب نظر » ويقول عن نفسه وعن اطلاعه في الحديث : « وكنت أتعبتُ نفسي زماناً في ذلك حتى جمعتُ فيه كتاباً يشتمل على اكثر من ثلاثة آلاف خبر من الأخبار النبوية ، كلّها يُحتاج اليها في اسباب الكتابة . وكنت الزِّم نفسي مطالعة ذلك الكتاب لزوم

(٥٧) المخطوط ؛ ص : ١٦ . (٥٨) المخطوط ، ص : ١٣٩ .

المحتفل ، ولا أزال في مطالعته كالحال المرتحل ، حتى صار لديّ منضودا
وفي لسان قلبي معقودا ، وكذلك ينبغي للمترشح لهذه الصناعة » .

هذه حال ابن الأثير في حفظه للقرآن والحديث والشعر ، ويضاف الى
هذا كله ، قوله : « وقد تتبعت أقوال الناس في محاوراتهم ، فاستفدتُ
بذلك فوائد كثيرة » ، حتى من أكتار وفلاح ، واعجمي من الأعجام الأغنام .

ومن يجري مجراهم . وقد تصدر الكلمةُ الحكيمة من الجاهل بمكانها ،
وربّ رمية من غير رام . وعلى كل حال ! فإن صاحب هذه الصناعة ينبغي
له ان يعلم ما نقوله النادية في المأتم ، وما نقوله الماشطة عند جلوة العروس ،
وما يقوله المنادي على السلعة . فدع ما وراء ذلك » .

هذا شأنه فيما يحفظه وما يسمعه .

واذا اضفت اليه تجاربه في الحياة ، رأيتَه مرّة ، وهو الوزير الكاتبُ
الذي يصرف أمور الدولة ويسيطرُ على رجالها ، ومرّة يُخفي نفسه بصندوق
ليهرب مخافة القتل ، واخرى يكون مع الجيش المحارب ضدّ الصليبيين .
ويتنقلُ في حالاته هذه من بلد الى بلد ، ومن مكان الى مكان ، اذا رأيت
هذا علمت ايّ رجل كان في حفظه للأدب ، وفي انتباهه لأُمور الحياة من
حوله ، وفي تجاربه واسفاره الكثيرة المتغيرة !

وقد تعذّره بعض العُذر حين تراه يفخر بنفسه في كلّ مناسبة ،
ويدّعي ان كتابه هذا جديدٌ ، حتى يقول فيه : « ان الله منحني فيه ادباً
لا يحصل بأدب الدرس وهذه هي درجةُ الإجتهد لا درجة التقليد ،
وهي التي لا يتمكن الجديدان من إخلاق ردائها الجديد » .

ووراء هذا كله ! أنّ الرجل ذواقٌ ، مشهودٌ له بالذوق الحسن ،
وحسبك منه كتابه : « المثلُ السائر في ادب الكاتب والشاعر » الذي لا تجد
لقارئ نقد الأدب العربيّ في ايامنا هذه سبيلاً للاستغناء عنه . ويراها الدارسون

في جامعاتنا العربية في ايامنا هذه ، افضل الكتب التي كتبت في البيان العربي نقداً وبلاغةً ، وهو الكتابُ الذي بأيدي طلابنا في ايامنا هذه .

* * *

وبعدُ ، فقد أفضنا في الحديث عن ابن الأثير وكتابه هذا إطراءً ، وعندنا أن الرجل جديرٌ بهذا ، وبأكثر منه .

على ان الكتاب فيه ناحيتان يراهما القارئ ، وبودّه لو أن الرجل اقتصدَ فيهما بعض الإقتصاد .

اولاهما — أنه لم يورد في حلّ النصوص إلّا من رسائله وكتبه . وبودّنا لو أنّه وجدَ السبيل الى ايرادها محلولةً او مقتبسةً من غيره ، فالقارئ يحسّ ان الرجل في كتابه هذا ، وهو كتابُ تعليم كما قال ، يُريد ان يجعل منه سبيلاً للإعلان عن نفسه وعن فنّه .

وثانيتهما — أنه اعتاد ان يستحسن هذه النصوص التي حلّ بها الشعر او القرآن او الحديث . وتراه في غير ما موطن يُسرف في الثناء عليها . ولا شك في أنّ القارئ يقف من كلامه هذا موقف المرتاب ، غير المطمئن ، لما يقوله ؛ لأن الرجل يمتدح نفسه ويُثني على عمله . وكان الأولى به ان يترك هذا للقارئ ، او ان يختار النصوص من نثر غيره ، ويقول فيها ما شاء .

نسخ الكتاب ونشره

والكتابُ سبق له ان طُبِعَ بمطبعة ثمرات الفنون ، سنة ١٢٩٨ هـ . ومن بعيد جداً نفدتُ نسخهً ، واصبح من غير الميسور الحصول على نسخة منها .

وطبعته هذه لم يتفضل ناشرُها بذكر اسمه ، ولا بذكر الأصل الذي اعتمده في النشر ، كما انها خاليةٌ من الفهارس ، بل هي خاليةٌ حتى من فهرسٍ لموضوعات الكتاب . وناشرُها لم يأخذ نفسه بشرح ما عساه بحاجة الى الشرح منها .

وأهمُّ من هذا كلّهُ ، ان الذي نُشر إنّما هو بعضُ الكتاب . وليتَ

الناشر الكريم في نشر هذا البعض عمد الى التلخيص او الإختصار ، ولكنه تجنب هذا الى شيء لا نرى امانة العلم ترتضيه ؛ وهو : ان ينظر في النص تكون فيه لفظة غير واضحة الخط ، او غير واضحة المعنى فيطرحها ، وقد يطرحُ الجملة كلها بسببها . وقد يرى نصاً فيه بعض الصعوبة فيطرحه كله ايضاً . وسار هذه السيرة في نصوص الكتاب .

وعاونه على سيرته هذه أن الكتاب لم يكن نصوصاً شعيرية فيلتفت القارئ الى الكلمة حذفت من الشعر واختل بسببها الوزن . ولكنه مجموعة من الأمثلة ينشرها الكاتب ، ويُعلق عليها في نشره ، فاذا طرح النص وطرح التعليق او بعض التعليق عليه ، صعب على القارئ التنبه الى حذف او اطراح .

ووراء هذا كله ، أن الناشر لم يُشر الى شيء مما حذفه ، لا صراحة ولا ضمناً .

ومع هذا كله ، فله الفضل علينا في سبقه الى نشره ، وقد يماً قيل : « وكان الفضل للمتقدم » .

وحين اردنا اعادة نشر الكتاب ، عمَدنا الى استحضار مخطوطاته القديمة ، فصورناها ، وحالفنا الحظ او التوفيق فحصلنا على نسخ ثلاث ، كلها جيدة الكتابة جميلة الخط ، وكلها ترجع في القدم الى عصر المؤلف .

احداها - وهي التي اتخذناها أصلاً ، كُتِبَ في آخرها ، بخط الناسخ : « تم كتابُ الوشي المرقوم في حلّ المنظوم » ووافق فراغه بكرة السبت ثالث ذي الحجة من سنة احدى وخمسين وستمائة هجرية .

وكتب بخط مغاير للخط السابق « بلغ مقابلته بنسخة عليها خط المصنف رحمه الله ، وصُحِّح بقدر الامكان في اول ربيع الأول سنة تسع وخمسين وستمائة ... » وهذه النسخة قد صورت لمكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب ،

بجامعة بغداد ؛ صوّرت لها عن نسخةٍ من دار الكتب المصرية برقم ٤٦٣
ادب تيمور .

وهي نسخة جيدة جداً فيها بياضٌ بموضعين اكملناهما من النسختين
الآخرين .

والنسخة الثانية — هي نسخة مكتبة نور عثمانية ، وقد رمزنا اليها بالحرف
« ن » في هوامش النسخة السابقة . وتأريخ نسخها سنة ٦٣٤ هـ ، اي قبل وفاة
المؤلف بثلاث سنوات . وكتب بآخرها أنها قوبلت على الأصل المقروء على
المصنف بالموصل .

وهذه النسخة جيدة الخط ايضاً . ولكنها ، وإن كانت اقدم من الأولى
إلا ان الأولى اوضح منها خطأً .

والنسخة الثالثة ، وقد رمزنا اليها بالحرف « ع » نسخة جيدة الخط ايضاً ،
وهي نسخة « احمد عارف حكمة الله بن عصمة الله الحسيني في مدينة الرسول
الكريم عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والتسليم » وكتب في آخرها أنها كتبت
سنة ثلاث ستمائة ، وقد بدا لنا ان لفظة « أوحرفاً ، سقط من الناسخ ،
بين الثلاث والستمائة .

وقد تفضل صديقنا الفاضل الاستاذ الدكتور احمد محمد الضبيبي عميد
المكتبات بجامعة الرياض بالملكة العربية السعودية (١) ، فصورها وبعثها لنا .
فله الفضل والشكر ، ولازال متفضلاً على اهل العلم مشكوراً منهم .

(١) كان هذه الكتاب ، ومعه مقدمته هذه ، في مطبعة المجمع العلمي منذ
اكثر من عشر سنوات . وقد تأخرت طباعته لسفري خارج العراق ،
وللكتب حظوظ — في طباعتها ونشرها — كحظوظ الناس . وصديقنا الان
هو نائب الرئيس لجامعة الملك سعود بالرياض ، ويسرني ان اذكره
بالفضل والشكر ، وان اجدّد له التحية ، وارجو له الخير الدائم والتوفيق
الدائم .

هذه هي النسخ .

اما عملي فيها :

١ - اخذت بتثبيت ما بينها من خلاف . والخلافات التي فيها طفيفة في الغالب . وما بها من سهو النسخ قليل ايضاً . واكثرها على ما يبدو لي - أنها نقلت عن نسخ للمؤلف ، وأنه نفسه - رحمه الله - بدا له ان يضع لفظة مكان لفظة يراها انسب منها في مكانها ، او يحذف حرف عطف ، أو يضع فاء العطف بدلاً من الواو أو ما الى هذا من امور طفيفة قد لا يحسها غيره . ولا يفوتك ان الرجل اديب ذواقة وقد كتب فصلاً في كتابه « المثل السائر » عن الحروف العاطفة والجارّة ، وقال فيه : « ولست اعني بايراده ما يذكره النحويون ... بل امراً وراء ذلك » .

نقول هذا لظننا أن الرجل امتدّ به العمر ، وأنه كان يبدّل بعض عبارات في كتبه ، فيزيد فيها او ينقص منها ، وهذا ما اشرنا اليه بحديثنا عن زمن تأليفه لكتابه هذا .

٢ - اشرت الى مواقع الأبيات الشعرية التي أشار اليها ، او حاثها ، والى مطالع القصائد ، وإلى المناسبة التي قيات فيها ؛ اذ ربّما كان في هذا مما يزيد في إدراك القارئ لهذه الأبيات .

٣ - شرحت الألفاظ او العبارات التي رأيت القارئ غير المتخصص قد يخفى عليه شيء منها .

٤ - راجعت النصوص التي اوردها في كتابه هذا ، وكلّها من تأليفه ، على ما وجدت منها في رسائله ، وفي كتابه المثل السائر . وبدا لي أن الرجل بدّل بعض النصوص حين اختارها من رسائله لتنسجم مع ما اراده لها في كتابه هذا .

٥ - دلت على مواقع الآيات القرآنية في سور القرآن الكريم ، وكان المؤلف قد اشار - في الغالب - الى سورها .

٦ - اشرت الى بعض ما اورده من الأخبار النبوية في اماكنها من كُتُبِ الصحاح . ورأيْتُها تُروى بروايات مختلفة في اسلوبها ، وإن كانت متفقةً في معانيها الإجمالية . وقد هممتُ ان أثبتَ هذه الخلافات ، ولكني رأيت اثباتها بصورها المختلفة مما يُثقل الكتاب . يضاف الى هذا أن حديث الرسول الكريم ، قد رُوي بعضه بمعناه ، ولذلك قلَّ اعتماد اهل النحو خاصةً على الاستشهاد به . يُضاف الى هذا أيضاً أن المؤلف نفسه ، يبيّن أنه إنما يعتمد هذه الأخبار التي تُنسب للرسول الكريم من جهة معانيها ، ولا يدقق في صحة نسبتها للرسول الكريم ؛ يقول في الأخبار النبوية (٥٩) : « وينبغي لصاحب هذه الصناعة ، ألا يقتصر على حفظ الصحيح منها الذي ثبتت صحته ، بل يحفظ الصحيح وغير الصحيح طلباً للاستكثار من المعاني التي تقتضيها الحوادث الطارئة ، والوقائع المتجددة . وقد اُكثرت الوصية في هذا فيما تقدّم » .

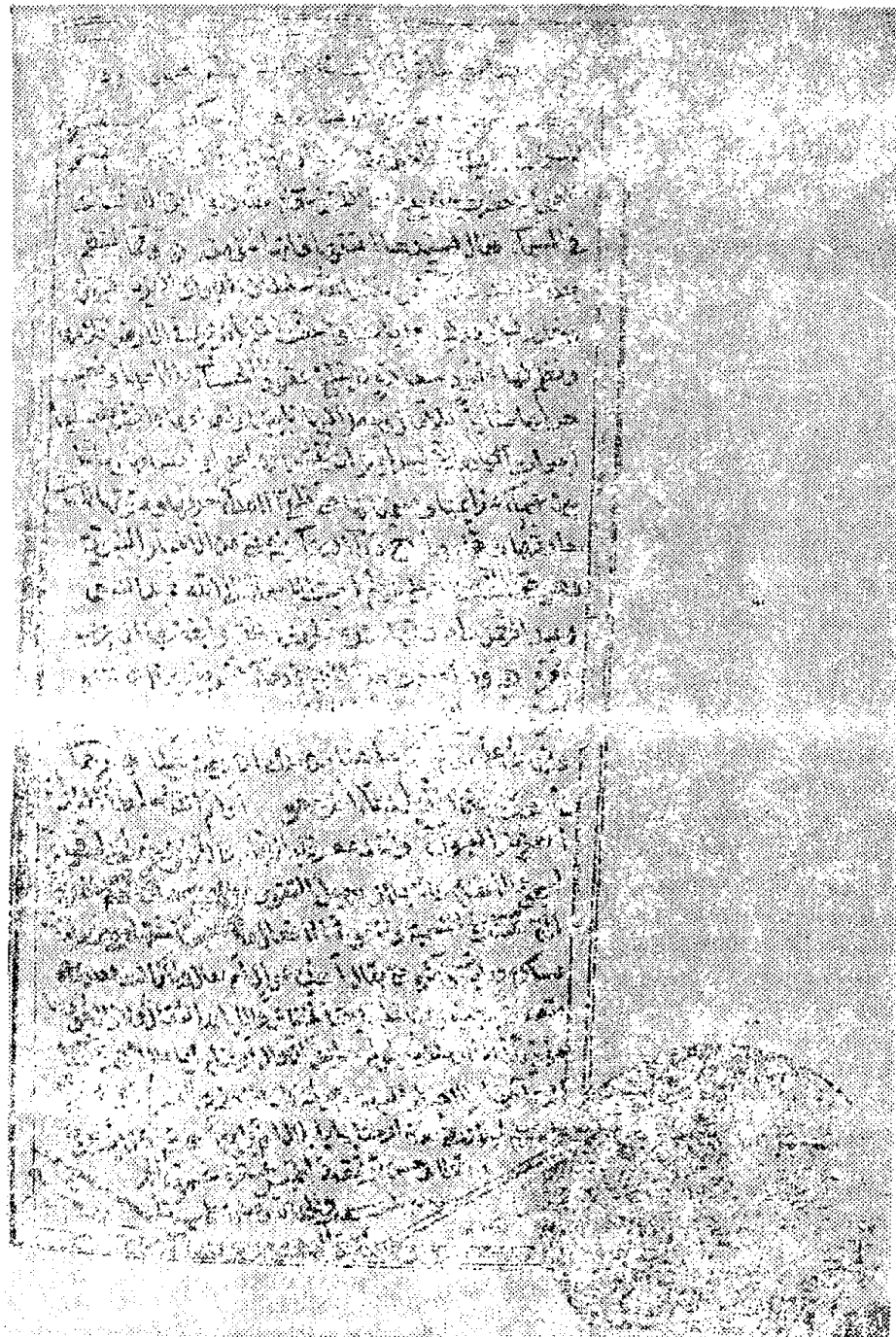
وبعد فهذا كتاب « الوشي المرقوم في حل المنظوم » لابن الأثير ، اقدمه للقارئ ، وقد بذلت الجهد في تيسير الإفادة به . واسأله - سبحانه - الهداية ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

الدكتور جميل سعيد

المنصور - بغداد

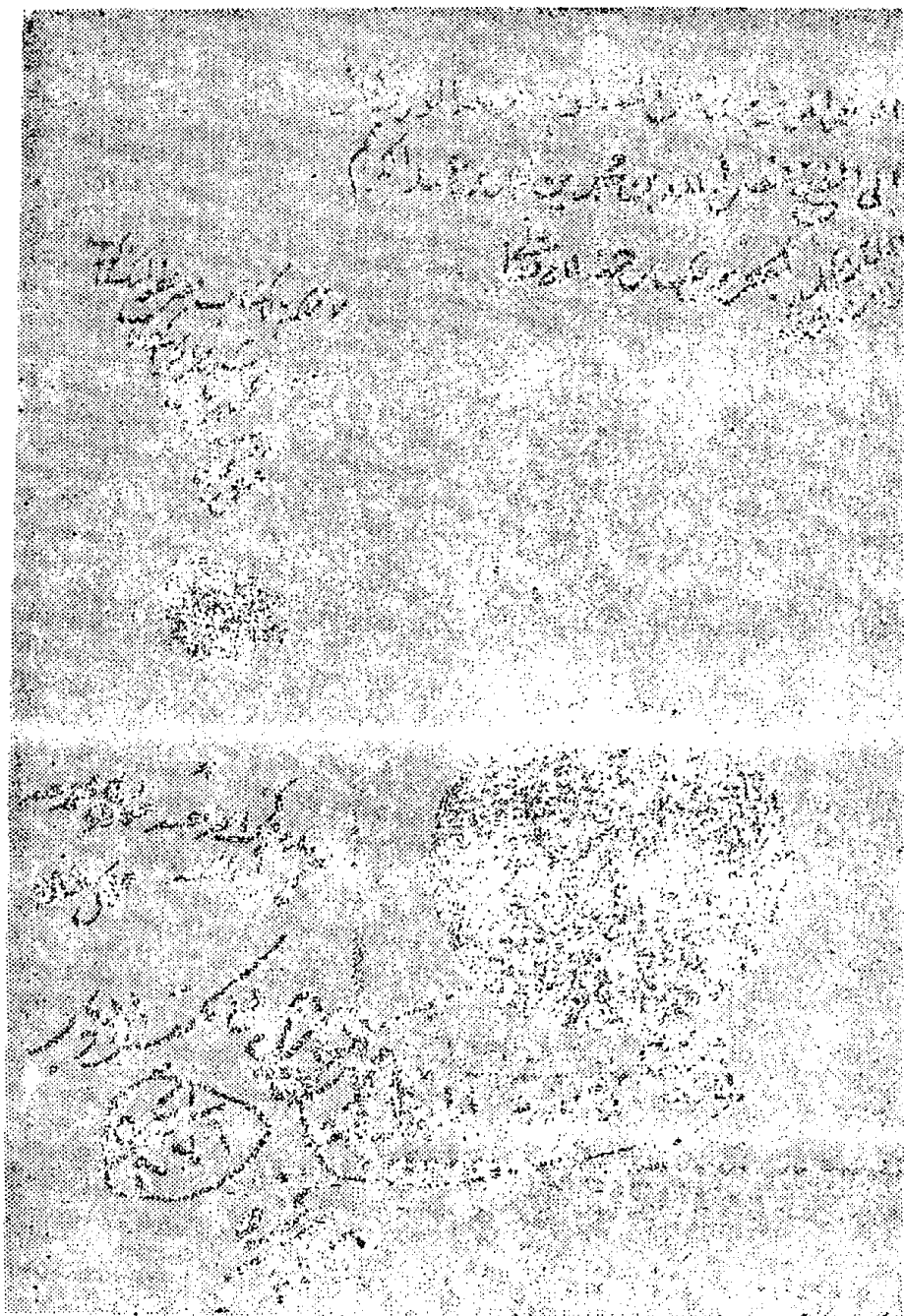
٢٩ صفر ١٤٠٩ هـ

الموافق ١٠/١٠/١٩٨٨ م

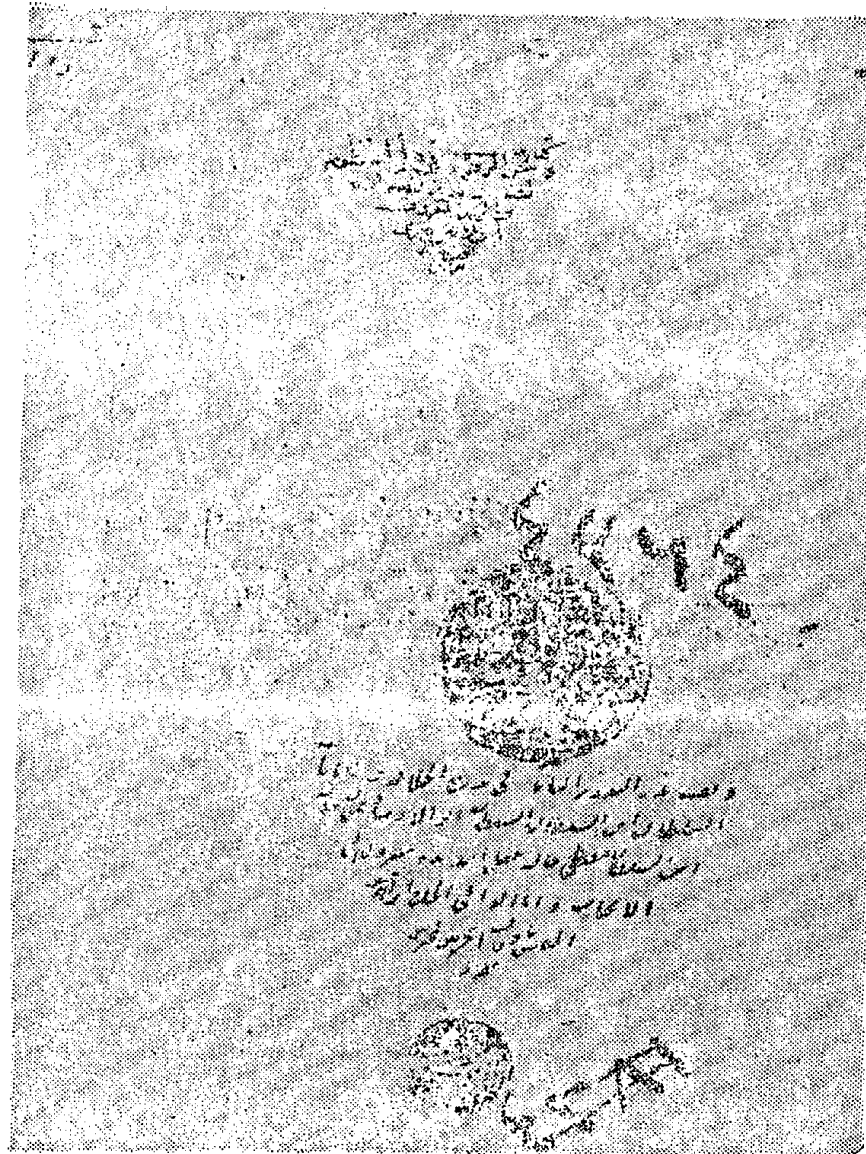


الصفحة الأخيرة من :

نسخة احمد عارف حكمة الله بن عصمة الله الحسيني
بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم



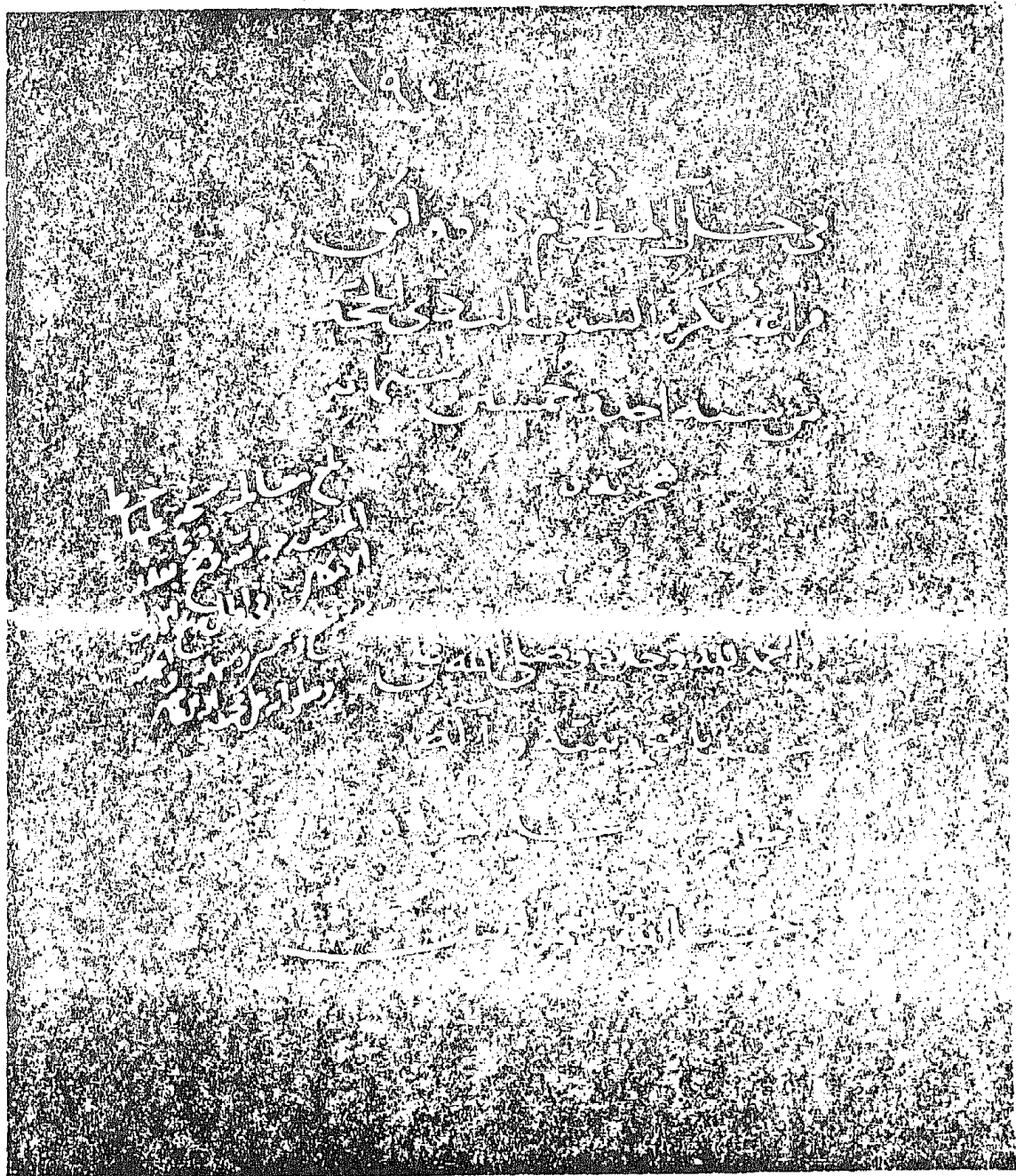
الصفحة الأولى من
نسخة أحمد عارف حكمة الله
ابن عصمة الله الحسيني بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم



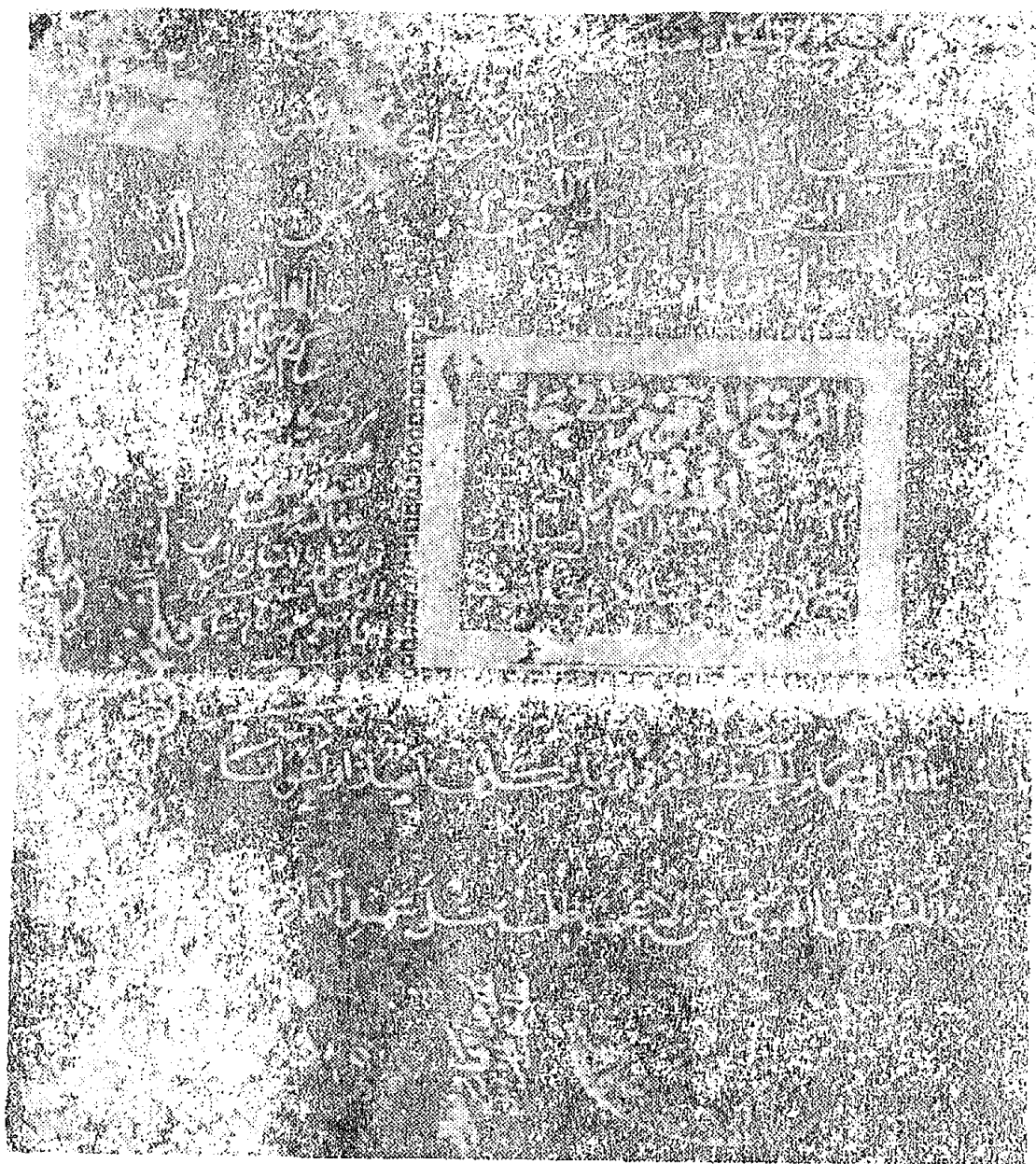
الصفحة الأولى من نسخة :
نور عثمانية ، وقد تم نسخها بمدينة دمشق المحروسة

ولم أذكر ما هنا من تلك الأدعية فكان دورها في
 على هذا القول بعد ما ذكره من الأدعية فكان دورها في
 العرب السويح وجوهه ما لا يكتمه القلم واليد
 فلهذا لم يكن في الأدعية من ذلك ما لا يكتمه القلم واليد
 من الأسماء المبرأة إلى جانب الأسماء المبرأة
 الأصابع وقاسم في الأدعية ما لا يكتمه القلم واليد
 ما من شيء في الأدعية من ذلك ما لا يكتمه القلم واليد
 تصدق من الأدعية من ذلك ما لا يكتمه القلم واليد
 المكان وحاج وهو مودع في الأدعية من ذلك ما لا يكتمه القلم واليد
 لأننا نعلم ما لا نعلم من الأدعية من ذلك ما لا يكتمه القلم واليد
 السوتة وهو أنه كان في الأدعية من ذلك ما لا يكتمه القلم واليد
 لئلا يرضى الله عنه أن يكون في الأدعية من ذلك ما لا يكتمه القلم واليد
 عكازي في الأدعية من ذلك ما لا يكتمه القلم واليد

الصفحة قبل الأخيرة ، من نسخة :
 دار الكتب المصرية ، برقم ٦٣ أدب تيمور



الصفحة الأخيرة من نسخة
دار الكتب المصرية ، برقم ٤٦٣ ادب تيمور



الصفحة الاولى من نسخة
دار الكتب المصرية ، برقم ٤٦٣ ادب تيمور

الوشي المرقوم في حل المنظوم

تأليف

الوزير العالم الكامل

ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم

رحمة الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم
وما توفيقي إلا بالله (١)

أحمد (٢) الله على فضيلة النطق وبيانه ، واعلم ان الإحسان به من كرم
أحسانه . واصلتي على نبيّه محمد ، الذي فضّله على الأنبياء بمعجزة قرآنه ،
وقرّان النصر بحدّ سيفه وغرب سنانة . وعلى آله وصحبه الذين منهم من
سبق بإيمانه (٣) . ومنهم من فرق بين الحق والباطل (٤) بفرقانه . ومنهم
من رضيّ عنه بمغيبه عن بيعة (٥) رضوانه . ومنهم من ختم آخر زمن الخلافة

١ - في ن « رب يسر واعن »

وفي ع : « وبه ثقتي وعليه توكلت »

٢ - في ن : « الحمد لله »

٣ - عدد من الصحابة الكرام : الخلفاء الراشدين الأربعة مرتين حسب
تسلسلهم في الخلافة . فأبو بكر الصديق هو السابق بإسلامه .

وفي الكامل لابن الأثير ط : الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٩هـ بالقاهرة -
بتصحيح ، الشيخ عبد الوهاب النجار : « ... وقيل : أول من أسلم أبو بكر
رضي الله عنه . قال الشعبي : سألت ابن عباس عن أول من أسلم ، فقال :
أما سمعت قول حسان بن ثابت « ؟ ويروى إبياتا ثلاثة لحسان ، يذكر فيها بأنه :
وأول الناس قدما صدق الرسلا .

ويقول : « كان أبو ذر يقول : لقد رأيتني رابع الاسلام . لم يسلم قبلي
إلا النبي وأبو بكر وبلال » ٣٨/٢ .

٤ - يشير الى ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب . ويروون ان الرسول
هو الذي لقبه « بالفاروق » لأنه فرق بين الحق والباطل . سيرة
عمر بن الخطاب لابن الجوزي ، ص : ٨ .

(٥) قالوا : « تغيب عثمان عن بدر ، وتغيب عن بيعة الرضوان ولم يشهدها »
وقالوا : « أما تغيبه عن بدر فانه كان تحته رقية بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وكانت مريضة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : اقم
معها ولك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه . وأما تغيبه عن بيعة الرضوان
فلو كان احد بطن مكة اعز من عثمان لبعثه مكانه . فبعث - صلى الله
عليه وسلم - عثمان رضي الله عنه الى مكة وكانت بيعة الرضوان بعد
ما ذهب عثمان - فمال صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى على اليسرى
وقال : هذه لعثمان . وكانت يسرى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
خيرا من إيمانهم لهم » تيسير الوصول الى جامع الاصول من احاديث
الرسول - للشيباني : ٢٧٠/٣ .

بآخر (٦) زمانه .

اما بعدُ ، فإن لكتابة الإنشاء لباً وقشراً ، وبطنا وظهراً . ووجدت الناس فيها على طريق قد سمَّجَ غابرها ، وطُرقتُ حتى استوى في المعرفة (٧) بها جاهلها وخابرها . وكانوا في ذلك كمن عدل عن اصول الشيء الى فروعه ، وورد شُعَب الماء دون ينبوعه .

ولما عُنيتُ بهذا الفن لا مسته فوجدته خشن اللَّمس ، إلا ان الله منحني فيه ادباً لا يُحصَل بأدب الدرس . وجعل غدي فيه افضل من اليوم ، ويومي افضل من الأمس . واصبحت في (٨) معرفته كالذي قال : وجهت وجهي لله ، بعد انتقاله عن الكواكب (٩) الى القمر الى الشمس . وهذه هي درجة الإجتهد لا درجة التقليد ، وهي التي لا يتمكن الجديدان (١٠) من إخلاق ردائها الجديد . وعمدة الأمر فيها ان تصرف المهمة الى حلّ الشعر ، وآيات القرآن ، والأخبار النبوية ؛ فإن ذلك هو زُبدة مَخْضُضها ، وخلاصة محضها ، ونجوم سمائها وجبال ارضها .

ولئن سبقني الى حلّ الشعر سابق ، وطرق ورده قبلي طارق ، فإنه ركب اليه هجيناً (١١) لا هجاناً ، وظنّ خواطره فيه سميرة بصيرة وكانت

(٦) يريد بذلك الامام على بن ابي طالب - رضى الله عنه .

(٧) في ع : « في المعرفة بها » زيادة يقتضيها السياق .

(٨) في ع : سقطت عبارة : « واصبحت في معرفته » .

(٩) في ق : « الكوكب » .

ينظر في هذا الى قوله تعالى : « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ، قال : هذا ربي فلما افل قال : لا احب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا ، قال : هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين » سورة الانعام ، الايات : ٧٤ وما بعدها .

(١٠) الجديدان والأجدان : الليل والنهار . ولا يفردان ، فلا يقال للواحد منهما : الجديد أو الاجد .

(١١) الهجان من كل شيء : خياره وخاصه . ومن الابل : البيض الكرام . وهجين : غير عتيق . والهجين من الخيل المولود من برذونة وحصان .

صُمَّاً وَعُمِيَانَا . وليس كلُّ بيضاء شحمه ، ولا كل بيان بحكمة . وما
مَثَلُ مَنْ سَبَقَنِي فِي هَذَا الْفَنِّ وَمَثَلِي ، إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

مثل العجوز التي وَلَّتْ بِشَاشَتِهَا
وبان عنها شبابٌ كان يُحْظِيهَا
لُزَّتْ بِهَا ضِرَّةٌ زَهْرَاءُ وَاضِحَةٌ

كالشمس احسن منها عند رائيها (١٢)

على ان كُلاًّ من الناس باستحسان ما يقوله مُغَرِّى . ولا يزال المرء في
امان من عقله حتى يُوَلَّفَ كتاباً او يقول شَيْعِراً (١٤) . وهذا هو مِيعَارُ
الأفكار ، والمضمارُ الذي لا يسلم فيه الجِيَادُ مِنَ الْعِثَارِ .

ولما لَفَّتْ كتاب « المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر (١٥) » قصرتُ
فصلاً (١٦) منه على ذكر هذه الطريق ، واتيت فيه بالمعاني الجليلة التي
تفتقر الى الفهم الدقيق . غير انِّي احلت في مواضع (١٧) منه على هذا الكتاب ،
وجعلت لذلك رمز الاختصار ، ولذا مكاشفة الإسهاب . وقد وسمتهُ

(١٢) في الديوان ، ط : المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٨٨٩ ، ص : ٤٦٢

..... ولت شببيتها

وبان منها جمال

..... وهزاء واضحة

.....

والوهازة : مشية الخفريات من النساء . والوهزاء : الحسنة المشية .

وفي شرح التبريزي : ٤٣٨/٤ : « وبان عنها كمال » .

والبيتان من ابیات يقولها في ذم بغداد ، ومدح سر من رأى ، اولها :

لقد اقام على بغداد ناعيتها

فليبكها لخراب الدهر باكيها

(١٤) هذه اشارة الجاحظ ، في قوله : « ولذلك تجد فتنة الرجل بشعره ،

وفتنته بكلامه وكتبه ، فوق فتنته بجميع نعمته » الحيوان ، ٨٩/١ .

ط : الحلبي تحقيق : عبد السلام هارون .

(١٥) المثل السائر : اشهر كتبه ، في النقد الادبي والبلاغة ، ولشهرة الكتاب

صار المؤلف يعرف به .

(١٦) هو الفصل العاشر ، وعنوانه : « في الطريق الى تعلم الكتابة » .

(١٧) المثل السائر : ١٠٧/١ ط الحلبي و ١٦١/١ ط نهضة مصر .

« بالوشى المرقوم في حلّ المنظوم (١٧) » وبنيته على مقدمة وثلاثة فصول .

الفصل الاول : في حلّ الشعر

الفصل الثاني : في حلّ آيات القرآن

الفصل الثالث : في حلّ الأخبار النبوية

فمن منحه الله طبعاً سليماً ، ورام ان يأتي بالحكمة في بيانه ، حتى يُعدّ قلمه (١٨) حكيماً ، فليقبس (١٩) من نوره وليطلب الهداية من جانب طوره (٢٠) . وليدمنّ النظر في خفايا (٢١) رموزه ، وليعلم ان الغناء من هذا الفن في ثروة كنوزه . واول ما ابدأ به مقدمة الكتاب ، فأقول :

اعلم ان الكاتب يحتاج الى التشبث بكلّ فنّ ، والنظر في كلّ علم ، وارصاد السمع لمحاورات الناس ، فانه لا يعدم من ذلك فائدة ؛ فإنّ الكلمة (٢٢) الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو احق بها . وقد تتبع أقوال الناس في محاوراتهم ، فاستفدت فوائد كثيرة ، حتى من اكار (٢٣) وفلاح ،

(١٧) الوشي المرقوم : في اساس البلاغة : « كتاب مرقوم : مسطور بين الكتابة . ورقم الثوب وغيره : وشاه . وفلان يلبس الرقم : وهو الوشي . ويبدو انه نظر في تسميته الى قوله تعالى : « ان كتاب الابرار لفي عليين ، وما ادراك ما عليون ، كتاب مرقوم يشهده المقربون » سورة المطففين ؛ الايات : ١٨ - ٢٠ .

(١٨) في ع : « حتى يعد حكيماً » بسقوط « قلمه » .

(١٩) في ع و ن : « فليقبس » .

(٢٠) نظر في هذا الى قوله تعالى : « وهل اتاك حديث موسى ، اذ رأى نارا ، فقال لاهله : امكثوا انى آنست نارا لعلى اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى » سورة طه ؛ الآية : ٩ - ١٠ والى قوله تعالى : « وناديناه من جانب الطور الايمن ، وقربناه نجيا » الهاء يعود الى موسى عليه السلام . سورة مريم (الآية ٥٢ . والطور : الجبل .

(٢١) في ن : « في حل رموزه » .

(٢٢) هذا خبر نبوى ، للرسول الكريم ، وقد جعله الفصل السادس من كتابه : « المثل السائر » بعنوان : « في الحكمة التي هي ضالة المؤمن » .

(٢٣) الاكار : الحراث ، من اكر الارض اكرا : حفرها وحرثها .

وعجمي من الأعجام الأغثام (٢٤) ، ومن يجري مجراهم . وقد تصدر الكلمة الحكمة من الجاهل بمكانها ، ورب رمية من غير رام . وعلى كل حال (٢٥) [فإن] صاحب هذه الصناعة ينبغي ان يعلم ماتقوله النادرة في المآثم (٢٦) ، وما تقوله الماشطة عند جلوة (٢٧) العروس ، وما يقوله المنادي في السوق على السلعة ، فدع ما وراء ذلك .

وليس فن الكتابة كغيره من فنون (٢٨) العلم ، فإن كل علم له حاصر وضابط ، ويرجع صاحبه فيه الى المسطور ؛ فترى الفقيه المذهبي او الجدلّي اما ان ينقل مسألة يُستفتى فيها ، واما ان يجادل في مسألة . فعليه ان يُتقن نقل المسطور إن كان مذهبياً ، وأن يُجيد في المجادلة بتحسين الكلام إن كان جدلياً . وكذلك ترى النحوي فيما يدرسه من علوم العربية . وكذلك الحاسب والطبيب وغيرهما .

واما الكاتب فإنه لا حاصر له فيما يحتاج اليه في الكتابة (٢٩) ؛ لأنه مكلف أن يأتي بما يقوله من ذات خاطره . والمعاني المستخرجة من الخواطر كعدد الرمل اكثراً والقطر ادراراً ، فينبغي له على ذلك ان يطالع في هذه العلوم جميعها . ولا اريد بذلك ان يكون (٣٠) عالماً بها ، فإن هذا غير ممكن . وانما ينبغي له ان يشم رائحة كل علم ، ويتشبت منه بشيء يدخل (٣١) في صناعته . والخطب في هذا كبير . لكن وجدت خلاصة ما يحتاج اليه الكاتب ثلاثة اشياء : الأول ؛ حفظ القرآن الكريم . الثاني : حفظ ما ينبغي له حفظه من الأخبار النبوية .

(٢٤) الفتحة : العجمة . والاغتم : من لا يفصح شيئاً (القاموس) .

(٢٥) في ن : « فان صاحب هذه الصناعة » واثباتها انسب .

(٢٦) في ع : « في المآثم » .

(٢٧) جلى البصر بالكحل : روقه . واجلى العروس : عرضها على زوجها مجلوة .

(٢٨) في ع : « من فنون العلوم » .

(٢٩) في ع و ن : « في فن الكتابة » وهو الانسب ، وفي الاصل : « من الكتابة »

(٣٠) في ع : سقطت : « يكون » وبها من : « عالماً بها » واثبات « بها » انسب .

(٣١) في ن : « مدخل به » .

على ان الأخبار لا يمكن الإحاطة بحفظها ، كما يمكن الإحاطة بحفظ القرآن ،
وانما يوجد منها ما يدخل في هذه الصناعة . وهذا يحتاج الى فضل معرفة
وثاقب نظر ، حتى يأخذ منه ما يؤخذ ، ويترك منه ما يُترك . وكنتُ اتعبتُ
نفسي زماناً في ذلك حتى جمعت فيه كتاباً يشتمل على اكثر من
ثلاثة آلاف خبر (٣٢) من الأخبار النبوية ، كلها يحتاج اليها (٣٣)
في اسباب الكتابة . وكنت الزم مطالعة ذلك الكتاب لزوم المحتفل (٣٤) ،
ولا ازال في مطالعته كالحال المرتحل ، حتى صار لديّ منضودا وفي لسان قلبي
معقودا . وكذلك ينبغي للمترشح لهذه الصناعة .

الثالث : حفظ الأشعار الكثيرة التي لا يحصرها (٣٥) عدد ، مما يكون
كل بيت منه في الجودة بمنزلة قصيدة (٣٦) من غيره .

ومن الناس من ذهب الى الإكثار من حفظ الخطب والرسائل لمن
تقدمه . وانا لا ارى ذلك ، لأمرين : احدهما : الاّ يعلق بالخاطر شيء مما
سبق اليه غيره من ارباب الكلام المنشور . الآخر : ان المعنى في الكلام المنشور
اذا نقل الى معنى في كلام منشور فربما يبقى شيء من الفاظ المعنى الأول فيما
يصوغه الآخر من الفاظه . ولقد حظرتُ على نفسي ان احفظ شيئاً من
رسائل الناس ، وخطبهم ، حتى اني حظرت على نفسي حفظ شيء من
مقامات الحريري ، وخطب (٣٧) ابن نباتة ؛ وهما عكاز اهل الزمان من

(٣٢) في ن : « حديث » .

(٣٣) في نوع : « يحتاج اليه » . وقد تحدث عن كتابه هذا في : « المثل السائر »

ج ١ / ١٢٨ ط الحلبي . (٣٤) احتفل بالامر : احسن القيام به .

(٣٥) في ع : « لا يحصى لها » . (٣٦) في ع و ن : « قصيد » .

(٣٧) ابن نباتة الخطيب : عبدالرحيم بن محمد بن اسماعيل بن نباتة ...

صاحب الخطب المنبرية . كان مقدما في علوم الادب . واجمعوا على ان

خطبه لم يعمل مثلها في موضوعها . ولد في « ميافارقين » بديار بكر ،

ونسب اليها . وسكن حلب فكان خطيبها . واجتمع بالمتنبي في خدمة

سيف الدولة الحمداني . وكان سيف الدولة كثير الغزوات فأكثر ابن

نباتة من خطب الجهاد والحث عليه . توفي بحلب سنة ٣٧٤ هـ وله ديوان

خطب مطبوع - الاعلام - للزركلي . وابن خلكان ؛ ١ / ٢٨٣ .

مُتَعاطِي هذه الصناعة . وكلُّ هذا فعلته فِراراً ان يعلق بخاطري شيء من تلك الألفاظ والمعاني . فإن قيل : لمَ منعتَ من حفظ الكلام المنشور ، وحشت على حفظ الأشعار ، والذي فعلتَ ذلك من اجله في احد الطرفين يلزمك مثله في الطرف الآخر ! ؟ فالجواب عن ذلك (٣٨) أن اقول :

اما الشعر فإنه اكثر من الكلام المنشور بأضعاف مضاعفة . وليس نسبة احدهما الى الآخر نسبة قليل الى كثير فضلاً عن نسبة كثير الى كثير ، بل هو بالنسبة اليه كالرقمة في ذراع الدابة (٣٩) أو كالشامة في جنب البعير . والكلام المنظوم هو الذي كان ديوان (٤٠) الفصاحة في الزمن القديم . واذا عددت منهم مائة شاعر ، لا يمكنك ان تعدّ خطيباً واحداً ، ثم استمر الأمر على هذه الصورة الى زماننا هذا ، فاستغرق الكلام المنظوم جميع المعاني ، فكان الأخذ منه اولى . وهو الذي وصف الله اهله بأنهم يهيمون في كلِّ واد (٤١) .

والذي بعثني على الإكباب على حفظ الشعر ، دون الخطب والرسائل انني [اذا (٤٢)] اخذت معنى من معاني الشعر ، واودعته رسائلي ، كنت قد نقلت من ضدِّ الى ضدِّ ؛ وهو اخفى واستر ، ولو فعلت ذلك في الكلام المنشور لكان نقل مثل الى مثل ، وذلك اشهر (٤٣) واعظم . فباعثني اذاً

(٣٨) في ع و ن : « اني » .

(٣٩) في ع : « في ذراع الدابة » وهو من خطأ الناسخ .

ودابة مرقومة ؛ والرقمتان : هنتان شبه ظفرين في قوائم الدابة ، او ما اكتنف جاعرتي الحمار من النار . او لحيمة تليان باطن ذراعي الفرس ، لاشعر عليهما (القاموس المحيط) .

(٤٠) في ع و ن : « ديوان اهل الفصاحة » .

(٤١) يشير الى اية الشعراء ، في قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الفارون . ألم تر انهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون » سورة الشعراء ؛ الايتان ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٤٢) في ع : « اني اذا اخذت . . . » .

(٤٣) في ع و ن : « اشهر واظهر » وهو انسب ليلائم السجعة .

على حفظ الأشعار دون الكلام المنشور كثرةُ الشعر واستغراقه للمعاني ،
ولأن الأخذ منه استر وانفى .

وقد دلتك ايها المترشح لهذه الصناعة على ما دلت عليه نفسي ، وهذا من
ادب (٤٤) ذوي الأديان ، وبه وصف رسولُ الله حقيقة الإيمان .

واعلم انّ ما هنا باعناً على ما نصصت عليه ، وهو اقوى من الباعثين
الأولين ؛ وذلك ان مرادي من صناعة الكتابة انما هو طريق الإجتهد لا طريق
التقليد . واذا قصرت (٤٥) نظري في مكاتبات من تقدّم ، فكانما اكون قد
حذوت حذوهم [و] هذا ليس من شأني ولا اربي . وانما الأرب كاته في
طريقة عذراء لم تُفترّع ، ومذهب غريب لم يُبتدع . وقد قلبتُ هذا
الفنّ ظهراً لبطن فلم اجد السلوك الى هذه الطريق الا بتحصيل هذه الأسباب
الثلاثة ، وهي : حفظ القرآن الكريم ، وحفظ ما يقارب حجمه من الأخبار
التبويّة التي تدنل في باب الإستعمال ، واهلُ مكّة (٤٦) اخبرُ بشعابها ،
وحفظ الأشعار الكثيرة على ما تقدّم ذكره . فإذا حصلت هذه الأسباب
الثلاثة ، وأتقن تحصيلها ، اخذ صاحبها في فنّ الكتابة ، فصار يهبُ
ويركد ، ويقوم ويقعد ، ويصدر ويوردُ . ويخلط الصحيح بالسقيم ،
ويمشي مكبّاً على وجهه ، ثم سويّاً على صراط مستقيم .

وفي أوّل الأمر لا يرى إلّا صعوبة ووعورة ، وطريقاً مشكلة لمذاهب
كثيرة الشعاب ، فإذا اكره خاطره على سلوكها ، وشجّعهُ على (٤٧)
توردها فما تمضي له الا هنيهة حتى تستمرّ به الطريق وتتضح لديه . وأخلقُ
بتلك الطريق ان تكون بديعةً غريبة ، لا تشبه شيئاً من طرق (٤٨) المتقدمين .
وهكذا فعلت انا في فنّ الكتابة .

(٤٤) في ع و ن : « من داب » .

(٤٥) في ع و ن : « قصرت نظري على النظر » وبه يستقيم الكلام .

(٤٦) في ن : « واهل مكة اعراف » . (٤٧) في ع : « على تواردها » ؟ .

(٤٨) في ن : « شيئاً من طريق المتقدمين » .

وربّما سلك هذه الطريق قوم بعد تحصيل ما اشرت اليه من حفظ القرآن ، والأخبار ، والأشعار ، ثم تُظلم في وجوههم في مبدأ الأمر فيعودون عنها . ولا بدّ دون الحلاوة من مرارة ، والتعب على منال (٤٩) العلماء امارة .

ولست اريد بحلّ معاني (٥٠) القرآن ، والأخبار النبويّة ، والأشعار ان يكون الكاتب مرتبطاً بها ، بحيث لا ينطق الا عنها ، ولا يأخذ إلا منها ، لأنّه لو فعل ذلك ، لما كان يفرغ من (٥١) كتاب واحدٍ إلاّ في زمان طويل ، وانّما اردت ان تحصل له الملكة ، وتكثر لديه المعاني ، ويطلع على الدقائق والدقائق ، ويستنتج من خاطره اشياء يستعين عليها بهذه الأسباب الثلاثة . ومن (٥٢) حصلت له الملكة ، وتمكن من خاطره جاءته المعاني من غير ان يتعب في طلبها كلّ التعب .



-
- (٤٩) في ع : « والتعب على منازل العلماء امارة » .
(٥٠) في ع و ن : « بحل القرآن » بحذف كلمة « معاني » .
(٥١) في ع : « من كل كتاب » .
(٥٢) في ن : « والتي » .

الفصل الأول في حل الشعر

قد قدمنا القول في ان صاحب هذه الصناعة ، يحتاج الى دواوين كثيرة لفحول الشعراء ، فإذا فعل ذلك فليُدمن في حلّ الأبيات الشعرية زماناً طويلاً ، حتى تحصل له الملكة ، ليكون إذا كتب كتاباً ، او خطب خطبة جاءته المعاني سائحةً وبارحةً ، وواتته (١) السرعة فيما ينشئه من ذلك ، ولا يحول بينه وبينه الإبطاء . وهذا شيء حصل لي بالتجربة . فخذ من (٢) ذلك ما قتلتته التجربة عِلماً ، لا ما نقلته الألسنة اخباراً .

وحدثني عبد الرحيم (٣) بن عليّ البيسانّي — رحمه الله — بمدينة دمشق ، في سنة ثمان وثمانين وخمس مائة ، وكان اذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية (٤) ، فقال : كان فنّ الكتابة ، بمصر في زمن الدولة العلوية

(١) في ن : « واته السرعة » بغير واو العطف

(٢) في ن و ع : « فخذ في ذلك »

(٣) عبد الرحيم بن عليّ البيسانّي ، وهو المعروف بالقاضي الفاضل ، ولد بمسقلان سنة ٥٢٩ وانتقل الى الاسكندرية ثم الى القاهرة ، وفيها توفي سنة ٥٩٦ . كان من وزراء صلاح الدين ومن مقريه ، وكان يقول عنه للناس : « لا تظنوا اني ملكت البلاد بسيوفكم ، بل بقلم الفاضل » . كان كثير الرسائل ، حتى قالوا : « لو ان رسائله وتعليقاته جمعت لم تقصر من مئة مجلد » ، كان ابوه يلي قضاء بيسان في فلسطين فنسب اليها .

ويظهر ان صلته كانت وثيقة بابن الأثير هذا . وفي رسائل ابن الأثير بتحقيق الأستاذ أنيس المقدسي ، ثلاث رسائل كتبها إليه : في الصفحات : ١٩٣ ، ١٩٧ ، ١٩٩ .

(٤) الدولة الصلاحية : نسبة لصلاح الدين الأيوبي

غَصّاً طَرِيّاً . وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من رأس (٦) يرأس مكاناً وبيناً ، و يقيم لسلطانه بقلمه سُلطاناً . وكان من العادة انّ كلاً من ارباب الدواوين ، اذا نشأ له ولدٌ ، وشدا (٧) شيئاً من علم الأدب احضره الى ديوان المكاتبات ، ليتعلّم فنّ الكتابة ، ويتدرب ويرى ويسمع . قال (٨) : فأرسلني والذي — وكان إذ ذاك قاضياً بئغر عَسْقَلان(٩) — الى الديار المصرية ، في ايام الحافظ ، وهو احد خلفائها ، وامرني بالمصير الى ديوان المكاتبات . وكان الذي يرأس به في تلك الأيام رجل يقال له : ابن الخلال . فلما حضرت الديوان ومثلتُ بين يديه ، وعَرَفْتُهُ مَنْ انا ، وما طلبتي رحب بي وسهّل ، ثم قال : ما الذي اعددت لفنّ الكتابة من الآلات ؟ فقلتُ : ليس عندي شيء سوى اتّي احفظ القرآن الكريم ، وكتاب الحماسة (١٠) . فقال : في هذا بلاغٌ ! ثم امرني بملازمته . فلما ترددت اليه ، وتدرّبت بين يديه ، امرني بعد ذلك ان احلّ شعر الحماسة ، فحللته [من اوله الى آخره ، ثم امرني بأن (١١) احله مرة ثانيةً فحللته] .

واعلم ايّها الطالب لهذا الفنّ ، ان هذه الحكاية تحقّق عندك ما اشترط اليك به .

-
- (٦) في ن : « من » رئيس » (٧) في ع : « وشد » وهو سهو من الناسخ
 (٨) في ع : سقطت : « قال »
 (٩) ثغر عسقلان : مدينة بساحل الشام من اعمال فلسطين ، على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ، ويقال لها عروس الشام . استولى عليها الإفرنج واستنقذها منهم صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة ٥٨٣ هـ .
 وعسقلان : قرية من قرى بلخ نسبت اليها طائفة من العلماء . وواضح ان ابن الأثير يتحدث عن عسقلان الشام . انظر معجم البلدان لياقوت الحموي .
 (١٠) الحماسة : هناك عدة كتب مؤلفة بهذا العنوان ، منها حماسة ابي تمام ، وحماسة البحتري ، وحماسة الخالدين ، وحماسة ابن الشجري و ... ولكن الذين ينصرف الى حماسة ابي تمام حين تذكر لفظة « الحماسة » من غير تخصيص . وقد طار صيتها ، وعنى به الشراح حتى عد صاحب كشف الظنون اسماء عشرين من شرحوها . انظر تفصيل هذا في مقدمة شرح الحماسة للمرزوقي .
 (١١) في ع : « بأن احله » وفي ع : سقطت العبارة « امرني بعد ذلك من اوله الى آخره » سهواً من الناسخ . وتصويب العبارة من « ن »

وكنْتُ حفظت من الأشعار القديمة والمحدثّة ، مالا احصيه كثرة ،
ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين : حبيب بن أوس ، وابي عبادة
البحريّ ، وشعر ابي الطيّب المتنبي ، فحفظت هذه الدواوين الثلاثة ،
وكنْتُ (١٢) اكرّر عليها بالدرس مدّة سنين حتى تمكنت من صوغ المعاني ،
وصار الإدمان لي خلقاً وطبعاً . فلا تقنع ايّها الخائف في هذا البحر الذي
لا ساحل له ، إلاّ بأن تفعل ما فعلته ، وتسلك ما سلكته . إلاّ اني لا (١٣)
انص عليك بحفظ هذه الأشعار الثلاثة بعينها ، فإنّ في الأشعار كثرة ، ولكلّ
نظر واجتهاد . وانما ذكرت لك ذلك لتعلم وعورة هذه الطريق وطولها
فتأخذ للأمر أهبتة ، وتوفيه رُتبته . والله الموفّق ، وبه الحول والقوّة .

وهذا الموضع لابدّ من إمحاض النصيحة فيه للمتعلّم ، وذاك اني قلّبت
الأشعار تقليب السماسرة للمتاع ، ووزنتها بالقيراط ، وكتبتها بالمدّ والصّاع .
وما عدلت الى الطائيين (١٤) إلاّ عن نظر ، وما (١٥) آثرتهم إلاّ اخذاً بالعين
لا بالأثر . ولربّما احببت التصريح (١٦) لك بهذه النصيحة ، وقلت : فما
الباعث (١٧) على اختيار هؤلاء الثلاثة دون غيرهم من الشعراء ؟ ! . وسأقول
لك (١٨) ما تعلم صحته .

وذاك ان الغرض انما هو معرفة المعاني والألفاظ . ولم يشتمل شعر
احد من الشعراء المفلّحين ، قديماً وحديثاً ، على المعاني التي اشتمل عليها شعر
أبي تمام ، وابي الطيّب المتنبي ، فلنّتهما غوّاصا المعاني . واما الألفاظ في
سبكها ، وديباجتها ، فلم اجد احداً يسامى ابا عبادة البحتريّ ، فيها .

(١٢) في ع و ق : « اكر عليها بالدرس مدّة سنين »

(١٣) في ق : « إلاّ انني انص عليك » بحذف « لا »

(١٤) الطائيان : ابو تمام والبحتري

(١٥) في ن : « ولا آثرتهم »

(١٦) سقطت : « لك » من ع

(١٧) في ن : « فما الباعث لك » وفي ع « وقلت فمالك الباعث » ولا يستقيم بها النص

(١٨) في ن و ع « وسأقول لك في هذا »

ولما كان الأمر كذلك ، اخترت شعر هؤلاء الثلاثة فحفظته ؛ فاقتبستُ من ابي تمام ، وابي الطيّب المعاني والغَوْص عليها ، ومن ابي عبادة سبك الألفاظ . وكنت سافرت الى مصر ، سنة ست وتسعين (١٩) وخمسمائة ، ورأيت الناس مُكَبِّين على شعر ابي الطيّب المتنبي دون غيره ، فسألت جماعة من ادبائها عن سبب ذلك ، وقلت : إن كان لأن ابا الطيّب دخل مصر ، فقد دخلها قبلها مَنْ هو مُقدَّم عليه ، وهو ابو نواس ، الحَسَنُ بن هانئ ، فلم يذكروا لي في ذلك (٢٠) شيئاً . ثم اني فاوضت عبدالرحيم بن علي البَيْسَانِيَّ - رحمه الله - في هذا ، فقال : إنَّ ابا الطيّب ينطق عن خواطر الناس . ولقد صدَّق فيما قال ، واذكرني بقوله هذا كلاماً كنت جارية فيه بعض الأدباء بالموصل ، وقد سألتني عن الكاتب مَنْ هو ؟ وَمَنْ الذي يستحقّ هذا الإسم ؟ فقلتُ له : الكاتب عندي مَنْ اذا كلّفته ان يكتب عنك كتاباً في امر من الأمور ، وأفضيت اليه بالمعنى (٢١) جملة واحدة ، فصّله وأتى به على وجه اذا تأملته ، قلت : هكذا (٢٢) كان في نفسي ، ولكنني لم اقدر ان اعبر عنه ؛ فهو ينطق عن خاطرك بما لا تقدر انت (٢٣) ان تنطق به . فهذا هو الكاتب الذي يُطلق عليه اسم الكتابة . فاستحسن ذلك مني غاية الإستحسان .

وحيث انتهى القول (٢٤) بنا الى ها هنا ، فلنأخذ في بيان حلّ الشعر ، وتفصيل اقسامه ، فنقول :

حلّ الشعر ينقسم الى ثلاثة اقسام :

القسم الأول حلّ الشعر بلفظه

وهو ادناها مرتبة ، ان يحلّ الشعر بلفظه . وهذا

-
- (١٩) في ن و ح : « سنة ست وتسعين ... » (٢٠) في ن و ح : « فلم يذكروا لي في هذا »
(٢١) « في ن : ... بالمعنى فيه جملة » بزيادة « فيه »
(٢٢) في ن و ح : « قلت : هكذا كان في نفسي » وفي الأصل : « هذا كان ... »
(٢٣) في ع : « بما لا تقدر انت تنطق به » بحذف : « ان »
(٢٤) في ع : « وحيث انتهى بنا القول »

لا فضيلة فيه ، وقد يجيء منه ما عليه مسحة من جمال ، وذلك نزر يسير .
 إلا ان الغالب على ما يحل بلفظه ، أن يأتي غثاً بارداً عليه قرّة البسك
 وفتره الخجل ، ومثاله كمن هدم بناء ، ثم اخذ تلك الآلات المهدومة ، فأنشأ
 بها بناء آخر ، فإنه يجيء حينئذ مخلوق البناء لا محالة . وكان الأولى به
 ان ترك تلك الآلات ، واستجدّ آلات أخرى لتكون احسن منها ، واجمل .
 وهذا لا أعدّه من صناعة حل الشعر في شيء ، على أني اجيزه للمبتدئ ؛
 فإنه لا يستطيع الا ذلك . فأما اذا حصل له الإدمان وساعده الإمكان ، فإني
 احظر عليه ما اجزته له اولاً . وافتيه بأنه لا ينبغي له حل المعاني الشعرية
 بلفظها بعينه . وأيسر ما في ذلك من العيب ، انه ينادي على نفسه بالسرقة ،
 لاسيما اذا كان الشعر من الأشعار السائرة . فإنه بذكر لفظ الأبيات المحلولة
 منه يعلم مكانه .

ولما طالت ممارستي لهذا الفن ، عقدته وحلته ، وانكشفت لي خفاياه ،
 لكثرة (٢٥) ما غربلته ونخلته . وقد وجدت من الأشعار ما لا يجوز تغيير
 لفظه ، وهو عشرة انواع :

النوع الاول

مما لا يجوز تغيير لفظه

وهو كل بيت تضمن مثلاً من الأمثال . فإذا اريد حلّه لزم منه
 الا يخرج عن اللفظ . إلا ان يعكس المعنى ، فإن (٢٦) ذلك كما يورد على
 صورته ، فمن ذلك قول أبي تمام :

لقد آسف الأعداء مجد ابن يوسف

وذو النقص في الدنيا بذى الفضل مولى (٢٧)

ومنها (٢٨) قول أبي الطيّب المتنبي :

(٢٥) في ح : « لكثرت ما غربلته »

(٢٦) في ن : « فإن قيل كما يورد على صورته »

(٢٧) البيت من قصيدة يمدح بها ابا سعيد ؛ محمد بن يوسف الثغري ، مطلعها :

اما إنه لولا الخليط المودع وريع عفا منه مصيف ومريع

ديوان أبي تمام - بشرح التبريزي : ٣٢٥/٢

(٢٨) في ن « ومنه »

لعلَّ قولك محمودٌ عواقبه

وربّما صَحَّتْ الأجساد بالعِلَلِ (٢٩)

وكَلَّمَا يَأْتِي عَلَى هَذَا الْمِنْهَاجِ ، [فَإِنَّهُ] (٣٠) لَا يَجُوزُ حُلُّهُ إِلَّا بِلَفْظِهِ ، وَهُوَ الْآخَسَنُ . وَذَلِكَ لِأَمْرَيْنِ ؛ أَحَدُهُمَا شِيَاعُ الْمَثَلِ ، وَالْفُ النَّاسِ إِيَّاهُ . وَالْآخَرُ ؛ لِأَنَّ الْأَمْثَالَ لَا تَرُدُّ فِي الْكَلَامِ إِلَّا قَلِيلَةً (٣١) جَدًّا ، وَإِذَا ظَفَرَ الشَّاعِرُ الْمَفْلُوقَ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَسَّرُ عَلَى غَيْرِهِ أَنْ يَأْتِيَ بِمَثَلِهِ ، وَإِنْ وَاحِدًا فِي الْمَعْنَى عَسَّرُ عَلَيْهِ أَنْ يَوَاقِيهِ فِي اللَّفْظِ . فَلِهَذَا اخْتَرْتُ حُلَّ آيَاتِ الْأَمْثَالِ بِلَفْظِهَا ، لِأَسِيْمًا امْتَالَ الْأَخْبَارَ النَّبَوِيَّةَ ؛ كَقَوْلِهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : « إِنْ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا (٣٢) » وَقَوْلِهِ : « لَا يَحُلُّ لَأَمْرِيءَ ، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، أَنْ يَسْقَى مَاءَهُ زَرْعَ غَيْرِهِ (٣٣) » وَهَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ لِلنِّسَاءِ الْحُبَالَى . وَقَوْلِهِ : « مِثْلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ ، وَجَلِيسِ (٣٤) السَّوِّءِ ، مِثْلُ حَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ ، إِمَّا أَنْ يَبِيعَكَ أَوْ يَحْذِيكَ ، أَوْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً . وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثَوْبَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً » . وَاشْبَاهُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْكَلَامِ النَّبَوِيِّ (٣٥) .

(٢٩) الْبَيْتُ فِي دِيْوَانِ الْمُتَنَبِّي ؛ ٣٦/٣ بِشَرْحِ الْعَكْبَرِيِّ ط الْحَلَبِيِّ . وَهُوَ مِنْ قَصِيدَةِ قَالَهَا فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِي ، مَطْلَعُهَا :

أَعْلَى الْمَالِكِ مَا يَبْنِي عَلَى الْأَسْلِ وَالطَّنْ عِنْدَ مُحِبِّهِنْ كَالْقَبْلِ
وَالْبَيْتُ بِرَوَايَةِ الدِّيْوَانِ ، لَعَلَّ عَتَبَكَ ... وَهُوَ كَذَلِكَ فِي نَوْعٍ .

(٣٠) فِي نَوْعٍ : « فَانْهُ » (٣١) فِي نَوْعٍ : « قَلِيلَةٌ جَدًّا »

(٣٢) رَوَى هَذَا الْحَدِيثُ : غَيْرُ هَذِهِ الرِّوَايَةِ . وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ؛ ٦٢٩/١ : « أَنْ مِنْ الشَّعْرِ حَكْمًا وَمِنْ الْبَيَانِ سِحْرًا » وَهَذَا مِنْ أَمْثَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَّا هُوَ عَلَى التَّمَثِيلِ لَا عَلَى التَّحْقِيقِ . انْظُرِ الْعَقْدَ الْفَرِيدَ ، ٦٦/٣ ط : مَطْبَعَةُ لَجْنَةِ التَّأْلِيفِ وَالتَّرْجُمَةِ وَالنَّشْرِ بِالْقَاهِرَةِ ؛ ت : أَحْمَدُ آمِينَ وَآخَرِينَ

(٣٣) سَنَنُ أَبِي دَاوُدَ : نِكَاحَ ؛ ٤٤ . وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، ١٠٨/٤

(٣٤) وَيُرْوَى الْحَدِيثُ : « مِثْلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ ، كَمِثْلِ ، »

وَرَوَايَةُ الْبُخَارِيِّ : « مِثْلُ الْجَلِيسِ كَمِثْلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ ، وَكَبِيرِ الْحَدَادِ ، لَا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ ، أَمَّا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدَ رِيحَهُ ، وَكَبِيرِ الْحَدَادِ يَحْرِقُ بِذَلِكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً » الْبُخَارِيُّ ؛ بَابُ الْبَيُوعِ ؛ ٦٣/٢ مَطْبَعَةُ الْأَمِيرِيَّةِ سَنَةِ ١٣١٤ هـ

(٣٥) فِي عَوْ : « الْكَلَامُ النَّبَوِيُّ » وَهُوَ سَهْوٌ مِنَ النَّاسِخِ

وامثال القرآن الكريم تجري هذا المجرى ؛ كقوله تعالى : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا ، كما انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ، فأصبح هشيماً تذروه الرياح(٣٦) ... » الآية ، وكقوله تعالى : « انزل من السماء ماء ، فسالت اودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبداً رابياً . ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حليةٍ او متاعٍ زبدٌ مثله(٣٧) » الآية . وامثال هذا في القرآن كثير .

واعلم ان امثال العرب لا تُغَيَّر(٣٨) الفاظها ايضاً ؛ كقولهم « إن تسلم الجيلةُ فالنَّيبُ هَدَرٌ » وكقولهم : « أن ترد الماء بماءٍ اكيَسُ » وهو مثل يضرب في الحزم ، وكقولهم : « إن كنت ريحاً فقد لاقيت اعصاراً » وكقولهم : « بيض قِطَاةٍ يحضنه أجدلٌ » ؛ وهو مثلٌ يضرب للرجل الشريف يرضى بالأمر الوضيع . او ما جرى هذا المجرى .. وكقولهم : « اليوم خمرٌ وغداً امرٌ » وكقولهم : « كُلُّ الصَّيْدِ في جوف الفَرا(٣٩) » واشباه هذا ايضاً كثير .

وقد نثرت هذه الأمثال(٤٠) المشار اليها جميعها ، على التوالي ؛ فمن ذلك قولُ النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ من البيان لَسِحْرٌا » فقلتُ في حله ، وهو فصل يتضمن وصف كلام بالحسن :

إذا ابرز وجوه كلمه قطعت(٤١) ايديها بنات الأفكار . وقام عُذر

(٣٦) سورة الكهف ، الآية : ٤٤

(٣٧) سورة الرعد ، الآية : ١٦

(٣٨) في ن ر ح ، « لا يغير »

(٣٩) كل الصيد في جوف الفرا : هذا مثل من امثال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاله لابن عمه أبي سفيان ابن الحارث . ومعناه في قوله : « إنك في الرجال كالفرا في الصيد ، قال له ذلك يتألفه على الإسلام .

والفرا : هو الحمار الوحشي .

(٤٠) في ن : الأشياء »

(٤١) في ن : « قطعت لها »

المغرم بها ، وفي مثلها تقوم الأعذار . فهو يصور اشكالها كما يشاء في احسن تقويم وكل منها يُقال فيه بقول النسوة : « ما هذا بشرّاً ، إن هذا إلا ملكٌ كريم (٤٢) » . ولربّما جاء بها فقال الناس : « لو شئت لأتخذت عليه (٤٣) اجراً » . وإذا كان من البيان ما هو سحرٌ ، كان بيانه كلّهُ سِحراً .

فانظر* كيف فعلتُ في هذا المثل ! فلإني لم اقنع بذكره وحده ، حتى اضفت اليه معاني آيات من القرآن ؛ من سورة يوسف – عليه السلام – ، وسورة الكهف .

ولابدّ من التصرّف في هذا واشباهه ، وما يجري مجراه : بأن يجعل (٤٤) للكلام أوّل وآخر ، ويضاف اليه ما ليس منه ، حتى تتنظم المعاني ، وتأتي هكذا ، كما اريناك في هذا المثل .

ومن ذلك قولُ النبيّ صلى الله عليه وسلم : « لا يحلُّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر ، ان يسقى ماءه زرعَ غيره » . وقد حللته (٤٥) ، فقلت ؛ وهو فصلٌ يتضمّن وصف كريم :

يغار من جود غيره اذا جاد ، ويرى الاّ فضيلة في المكارم إلاّ في وحدة (٤٦) الإنفراد . فإذا سمع بمنّعم شرّكه في نعمائه ، وخالف نصّ الخبر في سقّي زرعٍ غيره بمائه .

وفي هذا من الصنعة ما هو احسن من الأوّل (٤٧) . وسبب ذلك : ان النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ذكر هذا المثل وضربه للنساء الحُبالي ، ولو اردتُ ان

(٤٢) سورة يوسف : الآية : ٣١

(٤٣) سورة الكهف : الآية : ٧٧

(٤٤) في ع : « بأن يجعل الكلام »

(٤٥) في ن : « وقد حللته ، وهو فصل يغير لفظه فقلت ... »

(٤٦) في ن : « إلا لوحدة الإنفراد » وفي ع : « ويرى الا فضيلة في المكارم الا في وحدة الإنفاد »

(٤٧) في ع : « من اول » .

اورده في معناه لما فعلتُ شيئاً ، ولكنني نقلته الى معنى آخر ينظر اليه ، ويلتزم به ، كما اريتكَ .

وهكذا ينبغي ان يُفعل فيما هذا سبيله من المعاني ، إلاّ انه عَسِرٌ (٤٨) على المتصدّي له .

ومن ذلك قول النبيّ صلى الله عليه وسلّم : « مثَلُ المجلس الصالح ، وجليس السوء ، مثل حامل المسك ونافخ الكير ؛ فحامل المسك إمّا ان يبيعه او يُحذيك ، او تجد منه ريحاً طيبةً . ونافخ الكير إمّا أن يحرق ثوبك (٤٩) ، وإمّا ان تجد منه ريحاً خبيثةً » .

وقد حلتُ هذا المثل ، وهو فصلٌ يتضمّن وصف خِلّةٍ وصداقةٍ ، فقلتُ :

« صديقك من بذل لك صديقَ الضمير ، وحاسب نفسه فيك على الفتيل والنقير (٥٠) . وكان في صحبته إياك كحامل المسك ، لا كنافخ الكير . فذلك الذي تجب محبة الله في ودّه ، ولا يتعدى الخجل الى الثقة بعده » .

هذا الفصل فيه هذا المثلُ ، وفيه معنى خبرين آخرين من الاخبار النبويّة ؛ احدهما قوله صلى الله عليه وسلّم : « قال الله تعالى وجبت محبتي للمتحابين فيّ » والآخر قوله صلى الله عليه وسلّم : « ربّ واثق خَجِلٍ » .

واذا نظرت الى ما اورده (٥١) في حلّ هذا المثل ، وجدته قد اخذته ، واضفت اليه هذين الخبرين ، وسبكت من الجميع ما اورده في هذا اللباس العجيب . وهذا لا يتهيأ ايراده على هذا الوجه إلاّ بكثرة المحفوظ من

(٤٨) في ن : « اعز »

(٤٩) مثل المجلس الصالح في ن : « ثيابك »

(٥٠) الفتيل والنقير ؛ الفتيل : السحاة في شق النواة . والنقير : النكتة في ظهر النواة . يريد بالفتيل والنقير : عل الصغيرة الصغيرة .

(٥١) في ع : « ما ابرزته في هذا اللباس العجيب » .

من الأخبار النبوية ؛ فإنها ركن من اركان علم البيان ، في فنّ الفصاحة والبلاغة ، واهل الخطابة والكتابة عنها في غفلة .

ومن ذلك قوله تعالى : « واضرب لهم مثلاً الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء ، فاختلط به نبات الأرض ، فأصبح هشيماً تذروه الرياح (٥٢) » . وقد أوردتُ هذا المثل في فصل يتضمّن ذمّ الدنيا ، فقلتُ : الدنيا (٥٣) اضغاث احلام ، ودار رحلة لا دار مقام . فلا يزال صفوها مشوباً بقذاها . وكلُّنا ننافس فيها ، وما منّا الاّ شاكٍ من اذاها ، فلا ترى دمعاً يسيل من وقع خطوبها ، الاّ وهو على فوات مطلوبها ، ولو اعطينا رشّداً ، لما كنّا نأسى (٥٤) على ما يختلف على تغييره المساء والصباح ، وكان كماء نزل من السماء ، فاختلط به نبات الأرض ، فاصبح هشيماً تذروه الرياح .

ومن ذلك قوله تعالى : « انزل من السماء ماءً فسالت اودية بقدرها ... » الآية . وقد حلت ذلك في فصل يتضمّن وصف بلاغة ، فقلت :

اذا أنزلتُ من سماء فكري ماءً سالت اودية بقدرها ، واهتزت رياض بزهرها ، وليست الأودية الا خواطر (٥٥) الأفهام ، ولا الرياض الاّ وشائع الأقلام . وهذا اقوله ، والفضل شاهد والحسود غير جاحد ، فمن رام لحاقى فليقف حيث اوقفه القدر ، وليُعرّسْ حيث ادركه الفجر .

ومن ذلك قول العرب : « إن تسلم الجليّة فالنّيب هدّر (٥٦) » . وقد حلت ذلك ، وهو فصلٌ من كتاب يتضمّن تعزية والدِّ بولده :

(٥٢) مرت الآية في ص : ٦٠

(٥٣) في ع : « فقلت : اضغاث احلام »

واضغاث احلام : احلام مختلطة ملتبسة ؛ لا يصح تأويلها لاختلاطها .

(٥٤) في ن : « نأسو »

(٥٥) في ن : « حرايز »

(٥٦) مر المثل ؛ في ص : ٦٠

وفي الآباء عَوْضٌ* عن الأبناء، وفي الأسس خلف لما يستهدم من شرفات (٥٧)
البناء . وقد قيل : إنَّ في سلامة الجلَّة هَدْرًا للتيب ، واذا سلمت طلعة
البدرفأهون بالأنجم اذا انكدرت للمغيب . ومادام ذاك المعدن باقياً فالفُضْب
كثيرةٌ وإن اودى منها قضيب (٥٨) .

ولا بأس بتقديم اللفظ وتأخيرهُ في المثل ، اذا اورد على فصّه ونصّه . كما
فعلتُ هاهنا في هذا الموضع .

ومن ذلك قول العرب : « أن تَرِدَ الماءَ بماءٍ اكيسُ » . وقد حلت (٥٩)
ذلك فقلتُ ، في فصل يتضمّن ذكر الرجل الحازم ، وهو :

« قد خبر الدهر في حلب افايقه (٦٠) ، ونقض (٦١) موائقه . فهو لا يرد
الماء الاّ بماء ، ولا يهتدى في مسرى أرض بنجوم سماء . ومن شأنه أن يروى
الأمور برأيه ، ولا يبعث فيها رائدا . واذا قيل : إنَّ فلاناً ذو كيدٍ ، قال :
مين الكيد الاّ يُدعى كايلا .

ولا بأس بحذف لفظة من ألفاظ المثل ، كما فعلتُ هاهنا ، لكنّ على شريطة
الاّ يذهب من معنى المثل شيء . فإن ذهب من معناه شيء ، فلا يجوز الحذف .

ومن ذلك قول العرب : « إن كنت ريحاً فقد لاقيت اعصارا » . وقد حلته
فقلت ، في فصل من كتاب يتضمّن هزيمةً ، وهو :

« لقونا (٦٢) وقد اشرعوا الأسنة التي شاركتهم في الأسماء . واذا وردت
اروتهم من غليل الحقد ، كما ترتوي من شرب الدماء . لكن زادها عن

(٥٧) في ن : « مشرفات البناء »

(٥٨) في ن وع : « اودى قضيب »

(٥٩) في ع ون : « حلته » والمثل مر في ص : ٦٠

(٦٠) في حلب افايقه : الافايق : اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين . و « ارضمني
افايق بره » : اي اكرمني بخيار احسانه .

(٦١) في ع : « وبعض موائقه »

(٦٢) في ن : « فأتونا »

الورد ما هو اصلب منها عودا ، في يد من هو امضى منهم حدّا واسعد جدودا .
واذا لاقت الريح اعصاراً زالت عن طريقه ، وضاق ذرعها بمضيقه .

في هذا الفصل من المعاني اللطيفة مالا خفاء به .

ومن ذلك قول العرب : « بيض قطاة يحضنه اجلد » . وقد عكست (٦٣)
المعنى فيه واوردته في جملة كتاب ، اذكر فيه مُلكاً كبيراً يدبره (٦٤) من
ليس اهلاً له ، وهو :

رأيتُ أجمةً ولايث يحمي تلك الأجمة ، بل رأيتُ بيض عُقاب (٦٥)
تحضنه رَحمة (٦٦) . وليس هذا (٦٧) المشار اليه إلاّ نائماً في صورة يقظان . وهو
كزبد وعمرو ؛ اذ تجرى عليهما الأفعال ، وهما لا يشعران .
وفي هذا معنى غريب مع عكس المثل (٦٨) .

ومن ذلك قول العرب : « اليوم خمر وغدا امر » . وقد حللتُ هذا ،
فقلتُ :

اذا همّ جعل الرأي دُبر اذنه ، ووضع السيف تلقاء (٦٩) جفنه .
ولم يعرّج على لهُو ، فيقول : اليوم خمرٌ وغداً امر . ولا يصغي الى مشير
فيأخذ بقول زيد ولا عمرو . فهو مُطلٌّ على بَغَتَاتِ الأمور ، غير حافل بتمام
الأعقاب ، اذا تَمَّتْ له الصّدور .

ومن ذلك قول العرب : « كلُّ الصّيد في جوف الفرا » وقد حللته ،
فقلتُ : « الغناء يخفُّ بكثير من الأوزان ، والنظر في هذا الى الأثر لا الى

(٦٣) في ن : « هذا المعنى فيه »

(٦٤) في ع : « يديره »

(٦٥) العقاب : طائر من الجوارح ، قوي المخالب ، اعقف المنقار .

(٦٦) الرحمة : طائر من الجوارح ، ليس كالعقاب في قوته .

(٦٧) في ن وع : « وليس المشار اليه »

(٦٨) في ن وع : « معنى المثل »

(٦٩) في ن وع : « جفن السيف »

العيان . فلا عجب ان يوزن الواحد بجميع الوري ، ولهذا قيل : كلُّ الصَّيد في جوف الفرا .

واذ انتهى (٧٠) بنا القول الى هاهنا ، فَلَنتَّبِعْهُ بما يؤيده ويقرر من بنائه ، فنقول :

اذا اردت ان تحلَّ الأمثال الشعرية بلفظها ، فيجب عليك ان تواخي بينة وبين الألفاظ التي تضمُّها اليه ، وتبنيها عليه . وفي ذلك صعوبة ، إلاَّ على من يسرَّه عليه الإدمان ، وآتاه الله طبعاً مُجيباً واقدره على اجتلاب المعاني من مواطنها ، ونحت الألفاظ من معادنها . وقد نثرت هذين البيتين المقدم ذكرهما . اما بيت ابي تمام ، فقلت في نثره ، ما اذكره ، وهو :

الشرف الرفيع يُغري الأعداء بإطلاق الألسنة ، وجعل السيئة مكان الحسنة . ولم يزل ذوو النقص مولعين بذوي الفضل . ولربَّ نابل يظنَّ الإصابة ، ودو المصاب بما يرسله من النَّبَل .

وامّا بيت ابي الطيّب المتنبي ، فلاني حللته فقلتُ :

العِتَاب ، وإن (٧١) آلم فإنَّه يشفي من امراض (٧٢) الوداد ، وكثيراً ما يصح بالعلل مرض الأجساد .

فانظر كيف فعلت في (٧٣) هذين البيتين ؛ اما بيت ابي تمام فموضع المثل منه : « فأو النقص في الدنيا بذوي الفضل مَوْلَع » . واما بيت ابي الطيّب ، المتنبي فموضع المثل منه : « وربّما صحت الأجساد بالعلل » وكلا هذين البيتين قد ذكرته بلفظه .

فإذا شئت ان تحلَّ (٧٤) [ابيات] الأمثال ، فحافظ على الفاظها ، كما

(٧٠) في ن : « وإذ قد انتهى »

(٧١) في ن وع : « وإن الملت له النفس »

(٧٢) في ن وع : « من ألم الوداد »

(٧٣) في ن : « في حل هذين البيتين »

(٧٤) في ن : « البيات الأمثال » .

أريتك ، في هذا الموضع . وقد يمكن تبديل الفاظها بما هو في معناها ، كقولنا في بيت أبي تمام : « الوضيع بالشريف مولع ، والجاهل بالعالم مولع » ، أو غير ذلك . وكقولنا في بيت أبي الطيّب المتنبي : « وقد تصح الأجسام بالأمراض ، وقد تشفى الأجساد بالأسقام » . إلا أن ذلك لا يحسن ، بل الحسن في مثل (٧٥) هذا الموضع الجمود على الفاظ المثل المذكور في الشعر ؛ لأنها قد شاعت في أيدي الناس ، ودارت على السنتهم . فإذا غُيِّرَتْ وجيء بما هو في معناها لم يكن المثل ذلك المثل والغرض إنما هو المثل بعينه ، لا غيره .

النوع الثاني من الأبيات التي لا يجوز تغيير لفظها

وهو كل بيت تضمّن ذكر قصة مشهورة . وينبغي أن يحافظ على الفاظها عند حلّها (٧٦) ، فمن ذلك ما ورد في شعر أبي تمام ، وهو قوله :

لحقنا بأخراهم وقد حوّم الهوى
قلوباً عهدنا طيرها وهي وقّع
فردّت علينا الشمس ، والليل راغِمُ
بشمسٍ لهم من جانب الخِدرِ تَطْلُعُ
نضاً ضوءها صبح الدُّجْنَةِ وانضوى (٧٧)
لبهجتها ثوبُ السماء المجزّع
فوالله ما أدري أحلام نائم
المّت بنا ام كان في الركب (٧٨) يوشع (٧٩)

(٧٥) في ن : « في هذا الموضع »

(٧٦) في ن « وعند حلها »

(٧٧) في ن : « وانطوى » وفي ع : « فأنطوى » وهي رواية الديوان بشرح التبريزي ٣١٩/٢

(٧٨) في ع : « في القوم »

(٧٩) هذه الأبيات من قصيدة لأبي تمام مرت في ص ٥٨ من هذا الكتاب يمدح بها أبا سعيد ؛ =

وهذه الأبيات من احسان ابي تمام المعروف . وقصة يوشع — عليه السلام — مشهورة ، في ان الله تعالى ردّ له الشمس . فإذا اريد حل البيت المضمّن هذه (٨٠) القصة ، فينبغي الاّ يُحلّ الا بهذا اللفظ وقد حلت ذلك ، فقلت :

« كم في الأرض من شمس تخجل لها شمس السماء ، وتتضاءل لديها
تضاؤل الإماء . وتعلم انّ ليس لها من محاسنها ، الا المشاركة في الأسماء .
ولربّما طلعت في الليل فقال الناس (٨١) : استوى بياض النهار ، وسواد
الظلماء . ولا عجب للعيون (٨٢) اذا رأتها ان تظنّ ذلك في احلام النوم ،
او يُخيّل اليها انّ يوشع قد كان في القوم » .

وهذا الموضع من غريب ما يأتي من حلّ الشعر ، والتصرّف فيه .
وفي الذي ذكرته زيادة على ما ذكره الشاعر .

= محمد بن يوسف الثغري ، مطلعها :

اما انه لولا الخليط المودع وربع عفا منه مصيف ومربع

وحوم الهوى : جعلها تحوم ، بعد ما كان طيرها وقفا .

ووقوع الطير : يريد به ها هنا السكون .

وبأخراهم : يريد الحي المرتحلين ؛ اي قصدناهم للتوديع ، وقد ارتحلت مقدمتهم فلحقنا
بأخراهم .

وحوم الهوى قلوبنا : اي اعطشها . فصارت تحوم عليها حوم الطائر على الماء ، بعدما كانت
هادئة ساكنة ؛ بقربهم .

نضا : اي نزع

الدجنة : ظلمة الليل .

والتجزيع في الشيء : ان يكون فيه لوان مختلفان ، وجعل ثوب السماء مجزعا لأجل التجوّم .

ويوشع : هو يوشع بن نون ؛ وهذا محمول على ما يحكيه اهل الكتاب من ان الشمس ردت

ليوشع بن نون . ديوان ابي تمام ، ٣٢٠/٢ بشرح التبريزي .

(٨٠) في ن وع : « ذكر هذه القصة »

(٨١) في ن وع : « هل استوى » وبها يستقيم النص ايضاً .

(٨٢) في ن : « وقد رأيتها »

النوع الثالث من الأبيات

التي لا يجوز تغيير لفظها

وهو كل بيت (٨٣) يتضمن ذكر الفاظ ، تختص بعلم من العاوم ؛
من نحو : أو حساب أو طب ، أو غير ذلك ، فمما ورد منها ، قول أبي الطيّب
المتنبي :

ولقيتُ كلَّ الفاضلين كأنما ردَّ الإلهُ نفوسَهُم والأعصرا
نُسِقُوا لنا نَسَقَ الحسابِ مقدَّمًا واتى فذلكَ إذ أتيت مؤخرًا (٨٤)
وكذلك قوله :

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً
متضى ، قبلَ أن تلقى عليه الجوازِمُ (٨٥)
وكقول أبي تمام :

فإن يك جُرمٌ عَزَّ أو تك هفوةٌ
على خطأ مني فعندري على عمد (٨٦)

وكقول البُحتريّ :

فتى دفعوا بُخْلَ الزَّمانِ بجوده
ولا طبَّ حتى يُدْفَعَ الضدُّ بالضدِّ

(٨٣) في ع : « وهو كل بيت يضمن »
(٨٤) البيتان في ديوان المتنبي ؛ ١٧٠/٢ بشرح المكبري ، ط : الحلبي . وهما من قصيدة يمدح
بها أبا الفضل محمد بن العميد ، مطلعها :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك أن لم يجر دمعك أو جرى
(٨٥) البيت في الديوان في الطبعة المشار إليها ؛ ٣٨٢/٣ وهو من قصيدة يمدح بها سيف
الدولة مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
(٨٦) البيت في الديوان ؛ ١١٧/٢ ، وفيه :
فإن يك جرم « عن » بدلاً من « عز »

وهذا هو البيت الأخير من قصيدة يمدح بها أبا المغيث الرافقي ، ويمتدح إليه . ومطلعها :
شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدي ومحت كما محت وشائع من برد

وقد حَكَاتُ هذه الأبيات . اما بيتا ابي الطَّيِّب المتنبّي ، فإنّي قلتُ في حلّهما ما اذكره ، وهو :

ولقد رأيته فرأيتُ العالمَ في واحد ، وعلمت ان الدهر للناس ناقد ،
وما اقول الا ان الله ردّ به الأفاضل الى معاد ، ومثلّهم بأعداد الحساب ،
ثم وضعه موضِع « فذلك » من جملة الأعداد .

وهذه لفظة « فذلك » هي من الفاظ الحساب ، وهي الجملة الكبرى الواردة
في اخر الجمل ؛ كأنَّ (٨٨) الحاسبَ يُقدِّم ذكر الأعداد المجماة أوَّلاً ،
ثم يقول : فذلك كذا وكذا ، اي فالجميع كذا وكذا . ولهذا يقول الحاسب :
قد فذلّكتُ حسابي ؛ اي اجملته وفرغتُ منه . وتسمّى (٨٩) الفذلّكة .

واما بيت ابي الطَّيِّب المفرد ، فإنّي نثرته في فصل من كتاب ، الى
بعض الملوك ، وهو :

احمدُ المساعي ما خدمته وجوه (٩٠) الإقبال ، وغدت له بمنزلة السلاح
في ايدي الرجال ، ومن زعم انَّ السعي يُغني من غير جدّ ، فقد رام ان
تمضي (٩١) زبرة الحديد في يده من غير (٩٢) حدّ . والله يُخدم السعادة لمولانا
في كلّ مقام . ويجعل له على الأعداء (٩٣) رصّدين من ضوء الصُّبح والإظلام ،
حتى يرى وقد تصرّفت بأمره افعال الزمان ، واصبحت اعنتها في يده يثنيها ثني
العنان . فإذا عزم سارعت الى تلبية عزمه ، وامضت مُرادَه في مستقبل كلّ
امرٍ قبل (٩٤) حزمه . فلا يستبعد من المطالب بعيدا ، ولا يستصعب منها
شديدا . ولا تزال غاياتها منحطّةً دون مبلغه ، فلا يسأل مزيّدا .

(٨٨) في ع : « كأن الحساب » وهو من سهو النسخ .

(٨٩) في ع : « وكذا الفذلّكة »

(٩٠) في ن و ع : « جنود الإقبال »

(٩١) زبرة الحديد ؛ الزبرة : القطعة الفخمة من الحديد .

(٩٢) في ع : « في يده ومن غير جد »

(٩٣) في ن : « على عداه »

(٩٤) في ع : « يمض حزمه » بسقوط : « قبل »

واما بيت ابي تمام فإني حللته ، فقلت :

لئن (٩٥) كان ذنبي خطأً فقد جاءت معذرتي عمدا . ولا عقوبة مع
الإعتذار ، ولو (٩٦) كان الذنب شيئا إدا . والمعذرة لاتسيعُ الكريم ان يمضى
غيطاً او يطيع حقدا » .

ولفظه « الخطأ » ولفظة « العمد » من اخص الفاظ الفقهاء ؛ لأنَّهما يدوران
على لسان الفقيه ، اكثر مما يدوران على لسان غيره . واذا كان الأمر كذلك ،
فلا بدّ من ذكرهما ، كما وردا في الشعر من غير تبديل .

وامّا بيت ابي عبادة البحتريّ ، فإني نثرته ، فقلت في نثره : وهو فصل
من كتاب الى بعض الماوك :

الأحوال شبيهة بالأبدان في عوارض سقمها ، وكلّ (٩٧) داء من ادوائها
له علاج ، إلاّ ما كان من سأمها وهرمها .

وقد قيل : إن الطبّ (٩٨) معالجة الأضداد ، ولا يُطبّ سقم الأحوال
إلاّ بجود الأجواد . ومولانا هو (٩٩) الذي يشفى بعباياها املا ، واذا شكى اليه
شاك سقاه من جوده عسلا .

وهذا الموضع من محاسن ما يُذكر في حلّ الشعر ؛ فإني لم اکتف بشر
هذا البيت المشار اليه ، حتى قرنته بخبرين من الأخبار النبويّة ، هما مناسبان
لمعناه الذي هو الطبّ والعلاج . اما الخبر الأول ، فقول النبيّ صلّى الله عليه وسلم :
« ما خلق الله داءً ، إلاّ خلق له دواءً ، الا السأم والهرم » . واما الخبر الثاني ،

(٩٥) في ن : « إن كان ذنبي »

(٩٦) في ن : « وإن كان الذنب »

(٩٧) في ع : « وكل داء من ادائها » وهو من خطأ الناسخ .

(٩٨) في ع : « ان الطب هو معالجة »

(٩٩) في ن : « ومولانا هو الجواد الذي يشفى ... »

فإنه جاء رجلٌ الى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : ان اخي استطلق بطنه ، فقال رسول الله : « أسقيه عسلاً » فسقاه ، ثم جاءه فقال : إني سقيته عسلاً ، فلم يزد الا استطلاقاً . فقال له ثلاث مرات ، ثم جاءه الرابعة ، فقال « اسقه عسلاً » فقال : لقد سقيته عسلاً فلم يزد الا استطلاقاً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق الله وكذبت (١٠٠) بطن اخيك » فسقاه عسلاً فبرىء .

ولمثل هذا الموضع امرت المتصدي لصناعة الكتابة ، ان (١٠١) يكثروا من حفظ الأخبار النبوية ، كما يكثروا من حفظ الأشعار . ولولا ثروة البضاعة من هذا الفن وإلا لم آت في نثر بيت ابي عبادة بهذين الخبرين المناسبين لمعناه . والخطب في مثل هذا كبير ، والترقي اليه عسير . ولا بد من التعب وهجر الراحة في تحصيله . و « هل يفرس الليث الطلّ وهو رابض ؟! »

النوع الرابع من الأبيات التي لا يجوز تغيير لفظها

وهو كل بيت تضمّن ذكر قبيلة من القبائل ، او بيت من البيوت المشهورة . فإذا اورد مثل ذلك في الشعر ، فلا يرد (١٠٢) إلا لفائدة اقتضت ذكره ؛ فينبغي ان يذكر كما جاء في الشعر . اما القبائل فكبني ثعلب ؛ في اشتهارهم بالإصابة في الرمي . واما البيوت فكبني عبدالمدان ، في الإشتهار بالتقدم والرياسة . فيجب على الناثر ان يورد هذا ، وما يجري مجراه على هيئته . لكن ينبغي له ان يتصرّف في صوغ الألفاظ ، بالتقديم والتأخير ، والزيادة فيها على حسب ما يراه . ولا بد (١٠٣) هنا من ذكر مثال واحد ، يُستدل به على امثاله واشباهه ؛ فمن ذلك قول الفرزدق وهو :

(١٠٠) في المطبوع : « وكذب » وهو الأنسب ، .

(١٠١) في ع : « ان يكثروا من حفظ الأخبار النبوية كما يكثروا من حفظ الأشعار .

(١٠٢) في ع : « ولا يرد »

(١٠٣) في ن : « ولا بد ها هنا »

ولو انني بليت بهاشمي
 خوولته بنو عبد المدان (١٠٤)
 هان علي ما القى ولكن
 تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

وقد نثرت هذا المعنى الذي تضمنه ، هذان البيتان ، فقلت : « ظلم
 السادات لا تعدّه النفوس من ظلمها . ولربّما كالم السوار يداً فذهب فخر
 زينتها بألم كالمها . ولهذا هانت جناية بني عبد المدان ، وضرب بها المثل في
 شرف المكان . والناس في المنازل ضروب واطوار ؛ فمنهم انجاد ومنهم اغوار .
 فانظر كيف فعلت في نثر هذين البيتين ، وكيف تصرفت في معنهما !
 وامش على هذا الأثر . واعلم ان هذا الموضع مهم من مهمات هذه الصناعة .

النوع الخامس من الأبيات التي لا يجوز تغيير لفظها

وهو كل بيت تضمن ذكر معنى من معاني التشبيه . وذلك لأن التشبيه
 الوارد فيها يكون بلفظ مخصوص ، دال على معنى مخصوص ، واذا غير
 لفظه ، زال ذلك المعنى . فمما جاء منه قول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً

لدى وكرها العنّاب والحشّف البالي (١٠٥)

فقوله (١٠٦) : « رطباً ويابساً » و « العنّاب والحشّف البالي » لا بد من ذكره كما

(١٠٤) لم اجد البيتين في ديوان الفرزدق ، والبيتان في ديوانه دعبل الخزاعي ص ٢٠٧ .
 (١٠٥) البيت من قصيدة مشهورة له ؛ في ديوانه : ص ١٣٨ ط مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، مطلقها :
 الاعم صباحاً ايها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي

والهاء في « وكرها » يعود الى :

.... فتخاء الجناحين لقوة صيود من العقبان

وقلوب الطير ، رطبة ، شبهها بالعنّاب . والعنّاب : شجر حبه كحب الزيتون ؛ احمر
 والحشّف البالي : يابس التمر

(١٠٦) في ن و ع : « فقوله قلوب الطير رطباً ويابساً »

ذكره امرؤ القيس ؛ لأنه تشبيه مخصوص بألفاظ مخصوصة ، فلا (١٠٧)
يمكن تغيير الفاظه . وقد نثرتُ هذا البيت ، فقلتُ :

« واشهب تفخر السوابق (١٠٨) بأنَّها له سميَّة . وترتمي الطير في جو
السما ، وهي له رميَّة . كأنَّما يجلو القذى عن عقيقتين ، ويظلُّ من توحَّشه
وايناسه بين خليقتين . ومن ادنى صفاته ، ان يقال : هذا خلق من الرياح ، في
صورة ذي منسر وجناح . لقد لُتِّبَ بالبازي ؛ لكثرة وثوبه ، وما عدا لمطلب
صيد ففاته شيء من مطلوبه . ولقد تكاثرت قلوب الطير لديه في كلِّ حال ،
حتى شُبِّهَ رطبها ويابسها بالعُنَّاب والحشَف البال . إلَّا أنَّ امرأ القيس أوردَ
العُقَّاب ، وأنا نقلته الى البازي ، ولا مشاحة في ذلك .

فتأمَّل ما اتيت به من هذه المعاني الشريفة ، زيادة على ما اقتضاه معنى
البيت . وهكذا فليكن نثر ماجرى هذا المجرى من الأبيات الشعرية ، حتى تسلم لك
المباني ، وتحسن لديك المعاني ، ويترك لقولك قول فلان والقول الفلاني .
ومن هذا الاسلوب ما ذكرته في ثرييت من شعر ابي تمام ، يتضمن
وصف السحاب ، وهو :

فسقاه مِسْكَ الطَّلِّ كافورُ الصَّبَا
وانحلَّ فيه خيطُ كُلِّ سَمَاء (١٠٩)

(١٠٧) في ن : « فلا بد من ذكر ذلك ، ولا يمكن تغيير الفاظه »

(١٠٨) السوابق : الخيل السوابق

(١٠٩) البيت في ديوانه ؛ ٢٨/١ من قصيدة يمدح بها محمد بن حسان الضبي . قالوا : وكان مدح
بهذه القصيدة يحيى بن ثابت ، ومظلمها :

قدك ، اثب ، أرييت في الغلواء كم تمذلون وانتم سجرائي
وقدك : في معنى حسبك . واتثب : استحي ؛ مأخوذة من الإبة : اي الحياء . وأرييت :
اسرفت . والغلواء : من غلا يغلو : اذا زاد في القول والفعل . والسجراء : الأصدقاء .
والبيت ، المستشهد به ، فيه ثلاثة اشياء مستعارات : المسك والكافور والخيط .
والطل : اضعف المطر . قالوا : وانما خصه بالمسك : لأن المطر الضعيف اذا
اصاب التراب فاحت له رائحة طيبة ، فكيف به اذا اصاب الروض ! . وجعل « الكافور »
مستعاراً للصبا ؛ لأنه اراد بردها . واراد « بالسما » : المطر . وكنتي بالتحلل الخيط عن
وقوع الغيث ؛ لأن الشيء اذا كان مشدوداً بخيط فانحل ادى ذلك الى سقوطه .

فقوله : « مسك الطل^{١١٠} » كافور الصبا « لا يُغَيَّرُ لفظُهُ . وكذلك قوله : « وانحلَّ فيه خيط كلِّ سماء » .

وقد نثرته ، فقلت :

وانحلَّ بها خيط السماء ، حتى استوفى ريَّ بطونها الظِّماء . والمِنَّةُ للريح التي حبته بما حبا ، ولم يكن (١١١) مسكُ طَلَّه مُعْتَصِراً إلا من كافور الصِّبا .

فانظر ايها المتأمل : كيف نثرت هذا البيت ، ولم اخلَّ من لفظه بشيء ، لكنني (١١٢) اضفت اليه ما حسنه وزينه . ويكفي من ذلك قولي :

« إنَّ مسكَ الطلِّ مُعْتَصِراً من كافور الصِّبا »

وكذلك نثرتُ بيتاً من شعر ابي عبادة البحراني ، في وصف الدروع ، اذا خالطتها اسنة الرِّماح ، وهو :

فاذا الاسنة خالطتها خيلتها

فيها خيال كواكب في ماء (١١٣)

وقد قلتُ في نثره ، ما اذكره ، وهو :

ولقد سنوا دروع الحديد على مثاها ، ولولا اتقاء البغي لرأوا حمل (١١٤) العار في حملها . فاذا صافحتها اسنة الخرصان (١١٥) ، رأيت اشخاص الكواكب في غُدران . وهذا احسن من الأوَّل .

(١١٠) في ن : « وكافور الصبا » . وفي ع : « سقطت عبارات جعلت النص لا يستقيم » .

(١١١) في ع : « ولم يكن معتصراً » بغير لفظة « مسك »

(١١٢) في ن : « لكن اضفت »

(١١٣) البيت في الديوان ؛ ١١/١ من قصيدة يمدح بها ابا سعيد محمد بن يوسف الثوري ، مطلعها :
زعم الفراب منبى الانبياء ان الاحبة آذنوا بتناء

(١١٤) في ع : « لرأوا العار » بحذف لفظة « حمل »

(١١٥) الخرصان : الرماح

فلذا شئت ان تنثر شعراً فليكن هكذا ، والاّ فدع .

النوع السادس من الأبيات التي لا يجوز تغيير لفظها

وهو كلّ بيت بلغ الغاية القصوى في البلاغة ، فإذا ابدل ذلك بغيره من
من الألفاظ أفسد ؛ لأنه لا يأتي الاّ مُنحطّاً عنه ، ونازلاًّ دونه . وهذا
لاتكاد تراه في الشعر الا قليلا ، فان الشاعر المفلق قلّ ما يصح له ذلك ،
وربّما كان في شطر بيت ، ولا يكون بيتاً كاملاً ، كقول ابي الطيّب المتنبي :
اطاعينُ خَيْلاً من فوارسها الدهرُ

وحيداً ، وما قولي كذا ومعني الصبر (١١٦)

فلان صدر هذا البيت فردّ في البلاغة . واذا نثر لا يمكن ان يؤتى بما هو اعلى
منه . واماّ عجز البيت ، فإنه سخيّف جداً .

وقد نثرت ابياتاً في هذا الموضع الذي نحن بصدد ذكره ، فمنها قول
مسلم بن الوليد :

داوى فيلسطين من ادوائها بطلّ

في صورة الموت ، إلاّ أنّه رجُل

من بعدما عَظُمَتْ في الدين شوكتُها

واستدأبت شاتُها ، واستأسد الوعل (١١٧)

(١١٦) البيت مطلع قصيدة يمدح بها علي بن احمد بن عامر الأنطاكي ، يريد : « اقاتل فرساناً احدها
الدهر . و « وحيداً » في الإعراب ؛ حال من اطاعن

(١١٧) البيتان من قصيدة مظلما :

استمطر العين أن احبابه احتملوا

لو كان رد البكاء الحبي اذ رحلوا

والقصيدة يمدح بها محمد بن منصور بن زياد . وفي الديوان : ان مسلم بن الوليد كان
منتقماً الى يزيد بن مزيد ومحمد بن منصور بن زياد ، ثم الفضل بن سهل بعد ذلك . وقلاد الفضل
مسلماً المظالم بجرجان فمات بها .

فقوله : « استندأبت شاتها » من القول الفصل الذي يُقرطس في البلاغة باصابتة ، وتستأنس (١١٨) به الأسماع على غرابته .
وقد نثرتُ ذلك ، في فصل من كتاب ، فقلت :

ورد البلاد وقد استندأبت نقادها(١١٩)، واستجبلت وهادها ، ووردت وعولها بحيث ترد آسادها . فعلم ان ذلك جهل(١٢٠) لا يزع منه عنف الملامة وداء لا يكفي في تقليل دمه الفصد والحجامة . بل لابد من وضع السيف فيه(١٢١) موضع العصا . ومن عما الضلالة مالا يُبصر الا بسفك الدم ، ومنه ما يُبصر بتسييح الحصا .
فأنعمْ نظرك ايها الناظر في كتابي هذا ، وتدبر هذه الكلمات الواردة في نثر هذين البيتين ، فإن موضع البلاغة منها الذي قصرتُ عليه نظري ، إنما هو قول الشاعر : « استندأبت شاتها » فغيّرتُ لفظة الشاة بلفظة : « النقاد » وهي في معناها ، ثم قلت : « واستجبلت وهادها » وهو في الحسن والغرابة كقول الشاعر ، بل احسن واجمل .

ومن شرط هذه [الصناعة] ان يواخي الناثر بين الفاظ الشاعر(١٢٢)، والفاظه . وقد تقدّم القول على ذلك . وأما ذكر تسييح الحصا هاهنا ، فانه معنى لطيف ، يحتاج الواقف عليه الى فضل تأمل .
ومن هذا الباب قول البحريّ :

وليلةٌ هوّمتنا على العيس ارسات ..
بطيف خيالٍ يُشيه الحقّ باطله(١٢٣)

(١١٨) في ن : « وتأنس »
(١١٩) النقاد جمع نقد : وهو نوع من الغنم قبيح الشكل ، صغير الأرجل .
(١٢٠) في ن : « جهلا » .
(١٢١) في ن : « في موضع العصا »
(١٢٢) في ع : « بين الفاظ الشاعر ومن الفاظه » بزيادة « من » ولا يستقيم بها النص .
(١٢٣) البيت من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ، في الديوان ؛ ١٦١١/٣ مظهرها :
هب الدار ردت رجع ما انت قائله
وابدى الجواب الربع عما تسائله

و « هوم » : هز رأسه من النعاس .

فعجز هذا البيت لا يحسن تغيير لفظه ، وهو قوله : « يشبه الحق باطله » ،
فإنه قد حوى طرفي الفصاحة والبلاغة ، لفظاً ومعنى .

وقد نثرته ، فقلت في نثره :

وكم لطيف الخيال من يد يبذلها وصاحبه يمنعها . ولطالما سمح برؤية
عين لا تراها ونجوى حديث لا تسمعها . فياله من باطلٍ اشبه في مزاره حقاً
وأوهم القلب أنه داوى وما داواه ، والغليل أنه سقاه وما أسقى .

وهذا من الحسن على مالا خفاء به .

وليس في هذه الأنواع العشرة الواردة في كتابي هذا ، اعلا محلاً من
هذا النوع ، ولا اوعر مسلكاً ؛ وذلك لأن الناثر يتعرض (١٢٤) فيه لمماثلة
الفاظ ظفر بها الناظم المفلق ، في لمع من شعره ؛ لمكان فصاحتها وبلاغتها .
وقد وجدت ذلك في شعر البحري اكثر من غيره ، فمن ذلك قوله :

قلبٌ يُطِلُّ على افكاره ويـد

تمضي الأمور ، ونفس لهوها التعب (١٢٥)

فقوله : « قلبٌ يُطِلُّ على افكاره » من الكلام الفصل الذي يمرُّ عليه
الناس ولا يعطونه حقه من التأمل . ومُراده بذلك : انَّ الأفكار لا تستغرق
قلبه ، ولا تملأ جوانبه . اي انَّ قلبه واسع ، لا تبلغ الأفكار مدى اقطاره .
إلاَّ انه عبّر عن ذلك بقوله : « يُطِلُّ على افكاره » .

وهذا تعبير يعزُّ على غيره ان يأتي به .

وقد نثرت هذا البيت ، فقلت :

(١٢٤) في ن : « يتعرض هو » .

(١٢٥) البيت من قصيدة يمدح بها ابا ايوب ؛ سليمان بن وهب (الديوان ، ١/١٦٩) مطلعها :

نحن الفداء فماخوذ ومرتقب

ينوب عنك اذا همت بك النوب

قليل الإحتفال(١٢٦) بالخطوب المختلفة ، وإذا انتقلت به احوال الزّمان كانت حاله غير منتقلة(١٢٧). فقلبه يُطلُّ على افكاره ، ويرى الأمر(١٢٨) الخفيّ من خلف استاره ، ولا يبلغ(١٢٩) الإنجاد والإغوار ، مدى انجاده واغواره ؛ فهو اليقظ الذي يهجع النجم ، وهو لا يهجع ، والماضي الذي يجزع السيف ، وهو لا يجزع ، والمعافي(١٣٠) المضروب له المثل بأنّه لا يخدع(١٣١) .

فانظر كيف اخذت تلك الكلمات الأربع المشار اليها ، وواخيتها بما يلائمها . ومنّ لم يستطع المواخاة ، فلا يعرض الى ما يجري هذا المجرى .

النوع السابع من الأبيات التي لا يجوز تغيير لفظها

وهو كل بيت استعمل فيه التجنيس ؛ وهو الألفاظ المشتركة ، التي يكون لفظها واحداً ، ومربّعاتها مختلفاً ؛ فمن ذلك ما ذكرته في السيّادة ، وهو :

رَيْعَان(١٣٢) العمر تشترك فيه نهضة(١٣٣) الأجسام والهمم . ولهذا كان شباب العُلَى في الشباب وهرمُها في الهرم . وما اقول : إلا انّ بين سواد الشعر والسودد غراساً ، كما ان بينهما في الإسميّة جناساً . وما تشابها في اللفظ الالتشابيهما في المعنى ، وكلاهما ذو رونق في حسنه ، فإذا اجتمعا زادا حسناً .

وبعض هذا اللفظ مأخوذ من شعر ابي عبادة البحتري :

(١٢٦) في ع : « قليل الاحفال »

(١٢٧) في ع : « المختلفة »

(١٢٨) في ع : « امر الخفي »

(١٢٩) في ع : « تبلغ »

(١٣٠) في ع : « المعاني »

(١٣١) في ع : « بأنه يخدع »

(١٣٢) في ن : « ريعان الشباب »

(١٣٣) في ن : « تحيف »

بلغ السيادة في اقتبال شبابه

إنّ الشباب مِظَنَّةٌ للسُّودد (١٣٤)

فقوله : « السواد والسُّودد » من التجنيس . وقد ذكرتهما ، ولم اغيّر شيئاً من اللفظ . بل زدتُ فيه زيادة حسنة ، يعلمها المتأمل له .

ومن هذا النوع ما ذكرته في وصف رجال الحرب ، وهو فصل من كتاب ، فقلت :

من كلّ بَطَلٍ يزحَمَ غرب (١٣٥) الأهوال بغاربه ، ويلقى وجوهها الكريهة لقاء حبايه . ولطالما كافحها حتى نفضت وقايعها غُبَاراً على ذوائبه . فهو يُقدّم فيها اقدام مَنْ ليس له أَجَلٌ ، ولا يرى للخذّ الأسيل حسناً ، إلّا بخدّ من الأسَل (١٣٦) .

وبعض هذا اللفظ مأخوذ من شعر أبي تمام :

(١٣٤) البيت في الديوان ؛ ٦٩٠/٢ ، وروايته

بلغ السيادة في بدوء شبابه

والبيت من قصيدة يمدح بها أحمد بن محمد الطائي ، مطلعها :

ما يستفيق دد لقلبك من دد

يعتاد ذكرها طوال المسند

والدد : اللعب . و « دد » الثانية : اسم امرأة

والمسند : الدهر

والطائي هذا : هو أبو جعفر أحمد بن محمد الطائي ، ولي الكوفة سنة ٢٦٩ هـ .

وكان يلي الكوفة وسوادها وطريق خراسان وسامراء والشرطة ببغداد . توفي سنة ٢٨١ ودفن

بالكوفة (حاشية الديوان) ؛ ٩٣/١

(١٣٥) غرب الأهوال بغاربه : يقال : كففت من غربه أي من حدته (أساس البلاغة) ومنه قولهم :

إني اخاف عليك « غرب الشباب » : أي حدته ونشاطه .

والغارب : الكاهل ، أو أعلى كل شيء . ومنه « غوارب الماء » : أي أعاليه

(١٣٦) الأسَل : الرماح ، وكل حديد رهيف من سيف أو سكين .

والأسَل : نبات دقيق الأغصان تتخذ منه الغرابيل بالعراق ، وقيل للرماح « الأسَل » على

التشبيه (أساس البلاغة) .

ما زال للصارخ المعلنى عقيرته
 غوثاً من الغوثِ تحت الحادث الجللِ
 بكل ابيض يجلو منه سائله
 خدأ اسيلاً به خدً من الأسَلِ (١٣٧)
 فقله : « خدأ اسيلاً (١٣٨) ، وخذً من الأسَلِ » لابدً من ذكرهما ،
 كما ذكرنا في الشعر ، لمكان التجنيس فيهما .

النوع الثامن من الأبيات التي لا يجوز تغيير لفظها

وهو كلُّ بيت شعر استعملت فيه الفاظ المطابقة ؛ كاللفظ الدال على
 المعنى ، واللفظ الدال (١٣٩) على ضده . مثل السواد والبياض ، والضحك
 والبكاء ، وما يجرى مجراه ؛ فمن ذلك ما ذكرته في وصف الثغر ، وهو :
 تماثلت عقود فرائدها وثغرها ، فلا يدرى انظمت حلية نحرها في
 مبسمها ام حلية مبسمها في نحرها . فلو انتشرت تلك الفرائد في الليل البهيم
 لالتقطت حبات العقد النثير في ضوء العقد النظيم .

(١٣٧) البيتان خاتمة قصيدة قالها في ابي سعيد محمد بن يوسف يمدحه بها ، في الديوان : ٩٧/٣
 مطلعها :

مالى بعادية الأيام من قبل
 لم يثن كيد النوى كيدي ولا حيل
 و « المعلنى عقيرته » : من قولهم : رفع عقيرته بالفناء . والصارخ : هنا ، الفرع المستنصر ؛
 يعني يرفع عقيرته في دعاء الغوث فيغيثونه .
 والابيض : يصفون الكريم بالبياض ؛ لأنه من الران الاحرار . وقوله : « به خد من
 الأسَلِ » : اي شق من الطعن ؛ يقال : خددت الأرض : اذا شققته .
 وقوله : « يجلو منه سائله » اي انه اذا سألته تهلل وجهه ، وكأنه يجلو به ذلك ؛ ان شئت
 من جلاء الصدا ، وإن شئت من جلاء العروس .
 (١٣٨) في ن : « فقله الخد الأسيل »
 (١٣٩) في ع : سقطت لفظة : « الدال »

وبعض هذا اللفظ مأخوذ من قول الشاعر ، المعروف بالغزّي (١٤٠) :

حتى اذا طاح عنها المرط من دَهَشٍ
وانحلَّ بالضمّ سلك العقد بالظلم
تبسّمت فأضياء الليل فالتقطت
حبّات مُنثَر ، في ضوء مُنْتَظَم

فالمقابلة هاهنا بين المنثر والمتنظم لابدّ منها ؛ لأنه من الصناعة المعنوية في ذكر الشيء وضده . والذي أتيت به في نثر هذين البيتين ، هو زيادة على ما تضمناه ، وكأنه شرح لهما .

ومن ذلك ما ذكرته في (١٤١) نذب الشباب ؛ وهو فصل من كتاب ، فقلت :

جدّته اخلقت ، وثروته املقت (١٤٢) ، وصفوته تكدرت ، وبشاشته ننكرت ، واحواله التي قيل إنها لا تتغير تغيّرت . فباعجبا له في اقباله واعراضه ولقد كانت ايامه بيضا بسواد الشعر ، فأصبحت سودا ببياضه . ولطالما غدا صاحبه ، وقد صادت نبله ، وفازت نصله (١٤٣) ، واطاعه الحسن وأهله . وشيء من هذا اللفظ مأخوذ من شعر ابي عبادة البحتري (١٤٤) :

إن ايامه من البيض يبيض

ما رأين المفارق السود سودا

(١٤٠) الغزّي : نسبة الى غزّة .

واشار في المطبوع الى ان هذين البيتين نسبها بعضهم للشريف الرضى

(١٤١) في ن : « من نذب الشباب »

و « نذب الشباب » من « نذب الميت : بكاه ، وعدد محاسنه والاسم النذبة

والنذبة : تعديد محاسن الميت (القاموس) .

(١٤٢) وثروته املقت يقال : « املق : اذا انفق ماله حتى افتقر . وفي ن : « ونزوته » .

(١٤٣) في ع : « وفازت خصله » .

(١٤٤) البيت في : ٥٩٠/١ من ديوان البحتري .

فذكر البياض والسواد ، لابدّ منه ، لمكان المطابقة بينهما . والذي ذكرته من المعنى هو غير ما ذهب اليه البحرى ، لكن اللفظ من اللفظ .

النوع التاسع من الأبيات التي لا يجوز تغيير لفظها

وهو كل بيت ينحصر معناه ، في مقصد من المقاصد ، كقول ابي الطيب المتنبي :

فتبّاً لدين عبيد النجـو
م ومن يدعي انها تعقل (١٤٥)
وقد عرفتكم فما بالها
تراك تراها ولا تنزل
ولو بتما عند قدريكم
ليت واعلا كما الأسفل

فقوله : « عبيد النجوم » و « انها تعقل » . وقوله : « الأعلى والأسفل » فإن هذه الألفاظ ، لابدّ من ايرادها ، كما ذكرت ؛ اذ لو غيرنا لفظ (١٤٦) النجوم بلفظ الكواكب ، التي هي في معناها ، لما حسن ذلك . اذ الإشتهار انما هو للنجوم ، وعلم النجوم ، ومن يقول انها تعقل (١٤٧) . وكذلك « الأعلى والأسفل » فإن هاتين اللفظتين ، لا يعتاظ عنهما بما هو مثلهما .

(١٤٥) الأبيات في الديوان ، ٧٣/٣ من قصيدة يقولها في سيف الدولة ، يمدحه ، ويذكر خيسته

التي رمتها الريح ، مطلعها :

أينفع في الخيمة العذل

وتشمل من دهرها يشمل

والتب : الهلاك والخسران ، ومنه قوله تعالى : « تبّ يدا ابي لب » اي هالكت وخسرت .

والمعنى : ضلال وخسران لعبد النجوم ، ولمن يدعي انها عاقلة ، وقد عرفتكم ، فما بالها

لا تنزل الى خدمتك ، وهي تراك تراها . ولو بتما وكل منكما على حسب فضله لكنت أنت

الأعلى ، وكانت هي دونك ؛ لشرف قدرك على قدرها .

(١٤٦) في ن : « لفظة »

(١٤٧) في ن و ع : « ومن يقول انها تعقل او لا تعقل »

وقد حلت هذه الأبيات الثلاثة ، في فصل من كتاب الى ديوان الخلافة ، وهو :

اذا نظر الخادم الى حسبه المقتنى من خدمة الديوان العزيز ، لم يحتج الى
اولية مجدٍ قديم ، ولا [الى] (١٤٨) فضيلة سعي كريم ، والحظوظ المقتسمة في
تلك الأبواب بلثم التراب . ولو عقلت النجوم ، كما يزعم قوم ، لنزلت
اليها خاضعة الرقاب ، وقامت لتعظيم حرمتها مقام العبيد لخدمة الأرباب . وقالت
لها : انت اولى بمكان السماء ، الذي منه مطلع الأنوار ونشء (١٤٩) السحاب .
ولو شئت ان انقل هذا المعنى عن هذا الوجه الى وجه آخر ، لنقلته . ولكن
هذا القدر كافٍ في هذا الموضع ؛ لأنه كتاب تعاليم (١٥٠) ، لا كتاب تكثير
وتطويل .

النوع العاشر من الأبيات التي لا يجوز تغيير لفظها

وهو كل (١٥١) بيت تضمن الفاظاً فرائد في محلّها ، لا يسد غيرها مسدّها
بحيث اذا بدلت بما يرادفها تداعى بناء البيت ، وانهدم معناه ؛ فمن ذلك قول
امرى القيس (١٥٢) :

وقد اغتدى والطيرُ في وُكُنَاتِهَا

بمنجردٍ قَيْنِدِ الأوابدِ هيكَل

فإن الفاظه ، في : « منجرد » و « وكنات » و « اوابد » و « هيكَل » فرائد

(١٤٨) في ع : « ولا الى فضيلة »

(١٤٩) في ن : « نشر السحاب »

(١٥٠) « وتمثيل » زيادة من « ن » يقتضيها النص .

(١٥١) في ع محذوف بعد وهو كل بيت الى قوله : « فلتتبع ذلك بأمثلة في حل الشعر
بلفظه ... »

(١٥٢) البيت من معلقة امرى القيس المشهورة :

« قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل »

في مكانها ؛ لايسوغ تبديلها بغيرها . بل اذا اريد حلُّه وجب المحافظة على تلك الفرائد .

وقد حللته ، فقلت في وصف فرس ادهم :

وطالما امتطيت صهوة مُطَهَّم (١٥٣) نَهْد ، فغنيت عن نشوة الكميت من ذات نهد . يسابق الريح فيغبرّ في وجهها ، دون شقّ غباره . واذا ظهر عايتها رجعت حَسْرَى في مضماره . نسب الى الأعوج (١٥٤) وهو مستقيم في الكرّ والفرّ ، وقد حنقت عليه الشمس ؛ اذ لايمكنها ان ترسم ظلّه على الأرض إذا مرّ . ليلى الإهاب ؛ لطم جبينه الصباح بيهائه ، فعدا عليه وخاض يقتصّ منه في احشائه . وقد اغتدى عليه والطيّر في وكناتها ، فلا يفتوتني الآجدل (١٥٥) . واذا اطلقت له لصيد الوحش ، رأيتني على منجرد قيد الأوابد هيكل .

وفيه زيادة على بيت امرئ القيس ، حلّ بيت ابن نباتة السعديّ (١٥٦) ، في وصف فرس أدّهَم مُحجَّل ، له غرّة بيضاء ، وهو قوله :

وكأنّما لطم الصباح جبينه

فاقتصّ منه ، فخاض في احشائه

وحيث (١٥٧) انتهى بنا القول الى هاهنا ، ونبّهنا على هذه الأسرار، التي خفيت على كثير من ارباب هذه الصناعة ، فلنُتبع ذلك بتمثيل امثلة في حلّ الشعر بلفظه ؛ فمن ذلك ما ذكرته في وصف الحياء وهو :

(١٥٣) المطهم : التام البارع الجمال ، ومنه قولهم : « جواد مطهم أي تام الحسن » .

والنهد : الفرس الحسن ، الجميل الجسم ، اللّحيم المشرف (القاموس)

(١٥٤) الأعوج : فرس بني هلال ؛ تنسب اليه الأعوجيات من الخيل .

(١٥٥) الأجدل : الصقر

(١٥٦) من شعراء يتيمة الثعالب . والبيت من أبيات في وصف فرس ادهم ، اغر محجل ، حملة عليه سيف الدولة ، اولها :

يا ايها الملك الذي اخلاقه

من خلقه ورواؤه من رائه

قد جاءني الطرف الذي اهديته

هاديه يعقد ارضه بسائه

اليتيمة : ٣٦١/٢

(١٥٧) يعود الحديث في المخطوطات ، وهو بياض من اول الفصل الى هنا .

الحياء لباس يقى (١٥٨) وجه الكريم بوقائه ، وهو له كاللحاء ، الذي
يبقى العود ببقائه .

وهذا مأخوذ من ابيات الحماسة :

يعيش المرء ما استحيا بخير

ويبقى العود ما بقى اللحاء

ومن ذلك ما ذكرته في انتقال الدهر من حال الى حال ، وهو :

لو اردت دوام الدهر على حالة واحدة لما دام . والبأساء والضراء فيه
حالات (١٦٠) احلام . فما ينبغي (١٦١) ان توليه حمداً ولا ذمّا ، فإنك
تقلّد (١٦٢) منه يداً ولا بدءاً ، وتشكو منه ظمأً ولا ظلماً . وهذا مأخوذ من
شعر (١٦٣) التهامي :

لاتحمد الدهر في بأساء يكشفها

فلو طلبت دوام البؤس لم يدم

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمن تعزية ، وهو :

ولئن صبرتُ فلأنّ الجزع لا يفيد ردّ الفائت . ولقد علمت أنّ للمصائب

(١٥٨) في ع : « يتقى وجه الكريم بوقائه »

(١٦٠) في ع : « خيالات »

(١٦١) في ن وع : « فما ينبغي لك »

(١٦٢) في ع : تتقلّد له يداً »

(١٦٣) في ع : « من شعر التهامي »

والبيت من قصيدة طويلة ينلح بها الأمير نصر الدولة ، مظلماً :

عيسن من شعر في الرأس ميتسم

ما نفر البيض مثل البيض في اللسم

ديوان التهامي ، طبعة مطبعة الأهرام بالاسكندرية سنة ١٨٩٢ .

اجرٌ ، ولكنّه (١٦٤) لايفي بشماتة الشامت .

وهذا مأخوذ من قول ابي تمام :

اجرٌ ولكن قد نظرتُ فلم أجد

اجرأ يفى بشماتة الأعداء (١٦٥)

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الحرب ، وهو فصل من كتاب :

مررنا عليهم مرور الإحمال ، ولقيناهم وهم رجال بلا ارض ، وتركناهم
وهم ارض بلا رجال . ولقد مشت المنايا في ذمائمهم (١٦٦) حتى ظلت
حسرى (١٦٧) ، وشبع السيف منهم حتى تمرّد بطنه ، وشرب الرمح حتى
تأود سكرًا . ولم يبق للإسلام في عدوّه غلٌ إلاّ شفاه ، ولا عنده دين إلاّ
استوفاه .

وبعض هذا مأخوذ من شعر ابي الطيّب ، في قوله :

وكم رجال بلا ارض لكثرتهم

تركت جمعهم ارضاً بلا رجل (١٦٨)

(١٦٤) في ن : « ولكن » . وفي ع : « لا ينفى »

(١٦٥) البيت في الديوان ؛ ٢٠/١ من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني ، مطلعها :
يا موضع الشدية الوجناء . ومصارع الإدلاج والإسراء

والوضع : ضرب من السير .

والشدية : ناقة منسوبة الى « شدن » ؛ وقيل : انه موضع باليمن .

والوجناء : الغليظة

الادلاج : سير الليل كله ، والإسراء : يكون في جميعه وفي بعضه

والمصارع : اراد بها المقاسي والمحاول بجهد .

(١٦٦) اللماء : بقية الروح في المذبوح (مختار الصحاح)

(١٦٧) في ع : « ظلت حرا »

(١٦٨) البيت من قصيدة يقولها في سيف الدولة ، في ديوانه : ١/٣ ؛ مطلعها :

اعلى الممالك ما يبنى على الأسفل والطن عند محبين كالقفل

وعلى هذا الأسلوب جاء قولي ، في وصف الحرب ايضاً ، وهو :

إذا أيتم السيوف من الأغمد ، فقد أيتم الأولاد من الآباء ، واثكل
الآباء (١٦٩) بالأولاد . فلا يرى أدهم نقع الآ وهو يبياضها ابلق ، ولا احمر
دم ، الآ وهو بحدّها منهرق ، ولا فيلق (١٧٠) جمع ، الاوقد هزم بها
ذلك الفيلق ؛ فهي مصارع للنفوس ، ومطالع السعود والنحوس ، والنار
التي عبّدت من قبل المجوس .

وبعض هذا مأخوذ من شعر ابي الطيّب المتنبي (١٧١) :

يُروى بكالفرصاد في كلّ غارةٍ

يتامى من الأغمد ييضاً ويؤتم

يشقّ بلاد الروم والنقع ابلق

بأسيافه والجو بالنقع أدّهم

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب ، كتبه عن الملك الأفضل ؛ عليّ بن
يوسف بن أيوب ، الى ابن (١٧٢) عمّه الملك الأشرف ، موسى بن ابي بكر ، وهو إذ

(١٦٩) في ع : « اثكل الآباء من الأولاد » .

(١٧٠) في ع : سقطت « من » والنص يستقيم بها .

(١٧١) البيتان في الديوان : ٨٧/٤ من قصيدة يمدح بها عمر بن سليمان الشرابي ، وهو يومئذ
يتول الفداء بين العرب والروم ، مطلعها :

نرى عظما بالبين والصد اعظم

ونتهم الراشين والدمع منهم

والفرصاد : التوت ؛ يريد : بدم كالفرصاد في حمرة

واليتامى : هنا السيوف التي فارقت اغمادها .

يقول : يروى بمثل الفرصاد سيوفاً قد فارقت اغمادها ، ويؤتم اولاد من يقتله بها

في كلّ غارة يغيرها على الأعداء

والنقع : الغبار . والأدهم : الأسود .

يقول : يقطع بلاد الروم ، والغبار ابلق بأسيافه : يريد سواد الغبار ، ولعمان السيوف ،

والجو اسود بالغبار ؛ لأنه ليس فيه لعمان - د : ٨٩/٤

(١٧٢) في ع : « الى عمه الملك الأشرف موسى بن أيوب » .

ذاك صاحب (١٧٣) حرّان « وما والاها من البلاد الفُراتية (١٧٤) .
وكان (١٧٥) عنها في سفر طالت مدته ، وجاء الشتاء ووقع المطر قبل عوده ،
فاصدرت هذا الكتاب اليه في هذا المعنى ، وهو :

الكريم تتحاسد البلاد على مواطىء قدمه ، وتشتاق اليه شوق (١٧٦)
الروض الى عقائق ديمه ، كمولانا . فلا يحلّ ارضاً الا حلتها النعماء ،
وحسدتها السماء ، واضحت حديثاً في الآفاق ، حتى يقال : « فالقصرُ
فالنخلُ فالجمّاء » . وقد الفت ارض الجزيرة ان يمرّ بها مرور السحاب ،
ويخفّف عنها ثقل مِئنه ، ومن عادة المنن ائثال الرقاب . ولما غاب عنها في
هذا العام جادها الغيث قبل نداءه ، ونابت عن يديه الكريمتين يسداه .
فله حينئذٍ ان يفخر على اشباهه من الغيوث وامثاله ، وان يساجل فيض البحر
بفيض سجاله .

وفي هذا الكلام مواضع مأخوذة من الشعر ، فمن ذلك قول المتنبي :
تحاسدت البلدان حتى لو انها
نفوس لسار الشرق والغرب نحوها (١٧٧)

-
- (١٧٣) في ن و ع : « صاحب مدينة حران » .
(١٧٤) في ع : « من البلاد الحمرانية » .
(١٧٥) في ع : « وكان غاب عنها في سفر » .
(١٧٦) في ع : « لشوق الروض » .
(١٧٧) البيت في ديوان المتنبي ج ٣٨٢/٢ : وهو من قصيدة يقولها في بدر بن عمار : لورود
كتاب باضافة الساحل اليه ، مطلعها :

نهني بصور ام نهتها بكاء

وقل للذي صور وانت له لكاء

وصور : بلد بساحل البحر من ارض الشام . وصاحب صور ، وهو ابن رائق : الذي
انت في الظاهر له ، ومن اصحابه ، هولاك .
ويريد : ان البلدان يحسد بعضها بعضا على ولايتك لها .

ومن ذلك قول ابي عبادة البحتري :

ماكان فيض المزن يطمع قبلها

في ان يجيء نداءه قبل نداكا (١٧٨)

ومن ذلك قول ابي قطيفة ؛ (١٧٩) وهو صوت يُغَنَّى به (١٨٠) بين

الناس :

القصرُ فالنخل فالجماء بينهما

اشهى الى القلب من ابواب جيرون (١٨١)

ومن ذلك ما ذكرته ، في مصاحبة اللثيم ، وهو :

(١٧٨) البيت من قصيدة يستقى بها شراباً من ابي نوح : في الديوان : ١٥٧٣/٣ مظهرها :

قربت من الفعل الكريم يداكـا

ونأى على المتطلين مداكـا

وابو نوح : هو عيسى بن ابراهيم ، كاتب الفتح بن خاقان . وهو من الكتاب
النصارى في الدولة العباسية .. مدحه البحتري بعدة مقطوعات في ديوانه (انظر لهذا :
حاشية : ١٥٧٢/٣ من الديوان) .

(١٧٩) ابو قطيفة : هو عمرو بن الوليد بن عقبة بن ابي معيط ... بن امية . كان ابن الزبير قد نفاه
مع من نفى من بني امية عن المدينة الى الشام ، فلما طال مقامه بها حسن الى
المدينة وتشوق اليها بشعره هذا .

(١٨٠) وفي الاغاني ؛ ٧/١ ان الرشيد امر المغنين - وهم يومئذ متوافرون ، ان يختاروا له
ثلاثة اصوات من جميع الغناء : فأجمعوا على ان لحن معبد في شعر ابي قطيفة هذا احدها .

(١٨١) القصر : الذي عناه هاهنا : قصر سعيد بن العاص بالمرصة بالمدينة .

والنخل : الذي عناه هاهنا : نخل كان لسعيد هناك ، بين قصره وبين الجماء . والجماء :

ارض كانت له .

وابواب جيرون : بدمشق .

إذا جرى الكريم لثيماً غداً لثيماً ، ولم يغنه أن كان كريماً . فإن القرين
بقرينه ، ودينه معدود من دينه .

وهذا مأخوذ من شعر أبي تمام ، في قوله (١٨٣) :

إذا جارت في خلُق لثيماً

فأنت ومن تجاريه سواء

ثم ذكرت هذا المعنى مكرراً ، فقلتُ :

إذا ماشيت اللثيم في طرقة ، فقد سايرته في خلُقه . وكذلك قلت :

إذا اتخذت اللثيم خليلاً ، فقد صرت له عديلاً . ثم تصرّفت في هذا

المعنى ، فضربت له مثالا ، وذلك قولي :

مجاراة اللثيم تسم وجه الحسب ، وتُلحق النّبع بالغرب (١٨٤) ؛ فإن الخلق
السّيء يستتبع الحسَن على أثره . وكدر الماء لا يغلب بصفوه ، وصفوه
مغلوب بكدره .

وهذا ليس من هذا الفصل ، الذي هو حلّ الشعر بلفظه . وإنما ذكرته
هاهنا ؛ لأنه من اقران هذا المعنى .

والأقوال تتسع في حلّ بعض الشعر ، دون بعض ؛ وهذا يجيء في
الأقسام الثلاثة من حلّه بلفظه ، وحلّه ببعض لفظه ، وحلّه بغير لفظه .
إلا أن وجوده في القسمين الآخرين ، أكثر من وجوده في القسم الأوّل .

(١٨٣) والبيت من أبيات له يعرض بها ببعض بني حميد ، ولم يصرح بهجائه لدخه لهم ،
وبعد بيته هذا :

رأيت الحر يجتنب المخسّازي

ويحميه عن الفسدر الوفاء

ديوان أبي تمام ط بيروت ص : ٤٣٣ ، وديوانه بشرح الصول : ٢٩٦/٤ .

(١٨٤) النّبع : شجر تتخذ منه السهام والقسي ، ويضرب به المثل في الصلابة ، والغرب : شجر
رخو .

والسبب في ذلك : ان حلّ الشعر بلفظه لا يمكن من التصرف فيه . وغاية المتصدّي له ان يقدم اللفظ او يؤخره ، ولا يكاد يجيء ذلك ، الا في مثال واحد او مثالين .

واما حلّ الشعر ببعض لفظه ، والتصرف في البعض بلفظ آخر ، وحلّه بغير لفظه ؛ فإن المجال يتسع فيه ، ولا يتقيّد فيه بقيد .
ومن هذا الباب الذي هو حلّ الشعر بلفظه ، ما ذكرته ، في وصف الكرم وهو :

ولا يكون الكريم كريماً ، حتى يكون لمعتفيه غريماً ؛ فإنّ العطايا حقوق واجبة على اقوام ، واذا لم يجد الغمام في مائه ، فأى فائدة في كثرة ماء الغمام .

وهذا مأخوذ من شعر ابي تمام ، في قوله (١٨٦) .

اعطيني دية القتيل وليس لي

عقل (١٨٧) ولا حقّ عليك قديم

إلاّ ندىّ كالدّين حلّ قضاؤه

إنّ الكريم لمعتفيه غريم

ومن ذلك ما ذكرته في اكداء المطلب (١٨٨) ، واخفاق المسعى ، وهو :

توانى عنه وشيك النجاح ، ووكلت به عزمة اوقفته على رجل

(١٨٦) البيتان في الديوان : ٢٩٢/٣ من قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم بن شبانة ، مطلعها :

استقى طلولهم أجش هزيم

وغدت عليهم نصرة ونعيم

والأجش : يصف به الرعد .

والهزيم : من الصوت . يقال : تهزم الأديم ، اذا تكسر وتشقق .

(١٨٧) العقل : الدية ؛ قالوا سموها «عقلا» ؛ لأنهم كانوا يؤدونها من الإبل ، فيمقلونها عند بيت القتيل .

(١٨٨) في ع : « المطلب » .

فأوقعته ، وانهضته بجناح . ويمنعه من (١٩٠) الإياب على عجل ، ان
القضاء على مهل . وهذا مأخوذ من قول ابي تمام (١٩١) :

توانى وشيك النُّجج عنه ووَكَّلتُ
به عَزَمَات اوقفته على رِجْل

ويمنعه من ان يكون (١٩٢) زماعه (١٩٣)
على عجل ، أن القضاء على رِسل

ومن ذلك ما ذكرته في المعاتبه ، وهو :

إن تأخرت كتبي عن فلان ، فالأعذار عنها ظاهرة ، والأحوال فيها
عاذرة . وقد عَلِمَ أن مرض الأيام كمرض الأجسام ، والعيادة فيها
سنةٌ مأجورة ومكرمةٌ مأثورة . ومع هذا فنحن (١٩٤) المرضى ونحن
العَوَاد . وكلُّ وداد لا يدوم على ذلك فليس بوداد .

وهذا مأخوذ من شعر ابي الطيّب المتنبي وغيره ، اما ابو الطيّب ، فقوله :
فكلُّ وداد لا يدوم على الأذى دوام ودادي للامير ضعيف (١٩٥)

(١٩٠) في ع : « ويمنعه عن الإياب »
(١٩١) البيتان في الديوان : ٥٢٣/٤ من قصيدة عنوانها : « وقال يصف تعذر الرزق عليه
بمصر : مطلعها :

أصـب بحـيا كـأسـها مـقتـل المـذل
تـكـن عـوضـا إن عـنـفـوك مـن التـبـل

والتبل : المداوة والحقن .

(١٩٢) في الديوان : « من أن يبيت »
(١٩٣) الزمـع والزـمـاع : المـضـاء في الأـمر .
(١٩٤) في ع سقطت العبارة بعد : « ومع هذا الى قوله مأخوذ من شعر ابي الطيب ... فقوله »
(١٩٥) البيت برواية الديوان : ٢٩٣/٢

وكل وداد . . . دوام ودادي للحسين . . .
وهو من أبيات يعاتب بها ابا العشائر واسمه الحسين ... مطلعها :
ومنتسب عندي الى من أحبه
وللتبل حولى من يديه حفيف

وامّا غير ابي الطيّب ، فقله :

اذا مرضتم اتيناكم نعودكم

وتدنبون فنأتیکم ونعتذر

ومن ذلك ما ذكرته في تهذيب النفس ، وهو :

قد هذبت نفسي حتى تهذبت ، وغربت بها من الحسد بتغريبها فتغربت .
وبالتدريج اوصلتها الى هذه الدرجة ؛ وذلك من فقه الرجل سنّة ، وقد
كانت امّارة ، ثم صارت لوّامة ، وهي الآن مطمئنة . فأنا اصرفها
كما اشتهي ، وأمرها وانهاها فتأتمر وتنتهي . ومن صفاتها انها لا تُمني من
غيرها بزاجر . وقد استوت حالتها في باطن من الأمر وظاهر .

ومن هذا الكلام ما هو مأخوذ من مُسلم بن الوليد :

ركنتُ الى نفس كفتني عتابها

ولم تُمنّ من نفس سواها بزاجر

ومن ذلك ، ما ذكرته في ذم البخل ، وهو :

جمع المال فقر لا غنى ، وهو كشجرة لا ظيل لها ولا جنى . وصاحبه
لا يستفيد به إلاّ ذمّا ، ولا يستزيد بالسعي الا هتّمًا . فهو له عبدٌ يخدمه
ولا يثلّمه ، بل امّ تُرضعه ولا تفظمه . وياويله ! ألم يعلم : ان اليسار على
هذه الحال ، هو عبد الإملاق ! ؟ وان الذهب والحجر سواء ، اذا لم تتصرف
فيه يد الإنفاق ! ؟ . وقد قيل : إن فضلة المال داء الأعراض ، كما أنّ
فضلة الزاد داء الأجساد . وعلاجهما شيء واحد في الوقوف على
درجة الإقتصاد .

ومن هذا الكلام ، ما هو مأخوذ من شعر ابي تمام ، ومنه ما هو مأخوذ ،
من شعر ابي الطيب المتنبي . اما ابو تمام ؛ فقوله :

ارى فضل مال المرء داءً لغيره
كما انّ فضل الزّاد داءٌ لجسمه

واما قول ابي الطيب ، المتنبي :
ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخافة فقر فالذي صنع الفقر (١٩٩)

ومن هذا الباب ، ما ذكرته في وصف الصنائع ، وهو :
وصنائع المعروف ، وإن اورثت في الثناء (٢٠١) خلودا ، وكانت لغير
ذوي الجدود جدودا ، فإنها تُبْتَنى بما يفنى ولا يبقى ، وترقى بصاحبها الى
منال النجم ، وهو لا يرقى . والسعيد من جعل ماله تهباً للمعالي ، لا لليالي ،
وعرضةً للمآثر لا للذخائر . وقد نال الدنيا فاشتري آخرته ببعضها ، وأقرض
الله من مواهبه التي دعاه الى قرضها . فذلك الذي فاز بالدارين ، وحظي برفع
المنارين . وبعض هذا مأخوذ (٢٠٢) من شعر ابي تمام ، في قوله :

سلفوا يرون الذكر عقيباً صالحاً
ومضوا يعدّون الثناء خلوداً (٢٠٣)

(١٩٩) البيت في الديوان ١ ١٥٠/٢ من قصيدة يمدح بها علي بن احمد بن عامر الأنطاكي ، مطلعها :
اطاعن خيلاً من فوارسها الدهر

وحيداً ، وما قولي كذا ومعني الصبر

(٢٠١) في ع : « جلودا » وهو سهو من الناسخ .

(٢٠٢) في ن : « وبعض هذا الكلام » .

(٢٠٣) البيت في الديوان : ١/٢٤٤ ، وهو من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ،
مطلعها :

طلل الجميع لقد عفوت حميداً

وكفى على رزني بذلك شهيداً

وكذلك قوله :

ثوى ماله نَهَبَ المعالي واوجبت

عليه زكاة الجود ماليس واجبا(٢٠٤)

ومن ذلك ما ذكرته ، في اجمال الطلب ، وهو :

ينبغي للمرء الا يحرص في طلب رزقه ، بل يَكَلِّه الى الله الذي تولّى
القسمة في خلقه . فإن النسر يأكل الجيفة بعنفه ، والنحل يرعى الشَّهْد برفقه .
وهذا مأخوذ من قول بعضهم :

يا طالب الرزق السنّي بقوةٍ

هيهات انت يياطل مشعوف (٢٠٥)

اكل العقاب بقوةٍ جَيِّف الفلا

ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

ومن ذلك ما ذكرته ، في سحاب ، وهو :

سارية تمشي بثقلها مشي الرّداح (٢٠٦) ، ويكاد يلمسها من قام بالراح .
وما نتجت نتاجاً الا اسرّت في ضمنه حمل (٢٠٧) لقاح . وما اظلمت الا
اضاء البرق في جوانبها ، فتمثّلت ليلاً في صباح . فهي مسودة مبيضة
الاياد ، مقيمة وهي من الغواد ، نوّامة على طول سهرها بالوهاد . فكم في
قطرها من دياجة لم تصبغ افوافها ، ولؤلؤة لم يُشَقَّ عنها اصداقها .
ومسكة لم تخالط سرر الغزلان اعرافها . فما مرّت بأرض الا احيتها بعد
مماتها ، ووسمتها بأحسن سماتها . وغادرت غُدرانها فايسة من جمّاتها .

(٢٠٤) البيت في الديوان : ١٥٥/١ وبه :

ثوى ماله . . . فأوجبت

وهو من قصيدة يمدح بها الحسن بن سهل ، مظلما :

أَيامنا ما كنت الا مواهباً وكنت بإسعاف الحبيب حباباً

(٢٠٥) في ن : « مشعوف »

(٢٠٦) الرداح : المظيمة ، ومن الكباش : الثقيلة الإلية

(٢٠٧) في ع : « جبل لقاح »

وَمَثَلَتْهَا وَالنَّبْتُ مَطِيفٌ بِهَا بِالْأَقْمَارِ الْمُتَافِعَةِ (٢٠٨) بِأَرْدِيَةِ ظَلَمَاتِهَا .
 وَبَعْضُ هَذَا الْكَلَامِ مَأْخُوذٌ مِنْ شَعْرِ أَوْسَ بْنِ حَجَرٍ (٢٠٩) :
 دَانٍ مُسِيفٌ فُؤَيْقَ الْأَرْضِ هَيْدَ بُو
 يَكَادُ يَكْمَسُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ
 وَمِنْ شَعْرِ أَبِي تَمَامٍ ، وَهُوَ قَوْلُهُ (٢١٠) :
 سَارِيَّةٌ (٢١١) مُسِمِّحَةٌ الْقِيَادِ
 مُسَوَّدَةٌ مُبْيَضَّةٌ الْيَادِي
 سَهَادَةٌ نَوَامَةٌ بِالْوَادِي

وَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرْتَهُ فِي اسْتَطْرَافِ الْمُلْكِ ، وَهُوَ فَصْلٌ مِنْ كِتَابٍ ، فَقُلْتُ :
 لَا يَقُومُ بِحَقِّ (٢١٢) الْمُلْكِ إِلَّا مَنْ خُلِقَ عَزَمُهُ مِنْ حَجَارَةٍ أَوْ حَدِيدٍ ،
 وَلَمْ يَنْجَمْ فِي سَعِيهِ (٢١٣) بِطَالَعِ مِيلَادٍ قَدِيمٍ ، وَلَا بِطَالَعِ وَقْتٍ جَدِيدٍ .
 فَهُوَ مِنْ أَبْنَاءِ الْحُرُوبِ الَّذِينَ نَشَأُوا فِي حَجَرِهَا ، وَأَنْسَا بِمَلَاعِبَةِ بَيْضِهَا
 وَسُمِّرَها . وَصَاهَرُوا (٢١٤) الْمَنَايَا ، حَتَّى صَارُوا أَحَقَّ بِنَسَبِهَا وَصَهْرِهَا .

(٢٠٨) قَلَعَ الرَّجُلُ بِالثُّوبِ وَالشَّجَرِ بِالْوَرَقِ : شَمَلَ بِهِ وَتَغَطَّى بِهِ .
 (٢٠٩) يَخْتَلِفُ الرِّوَاةُ فِي نِسْبَةِ هَذَا الْبَيْتِ إِلَى أَوْسَ بْنِ حَجَرٍ ، وَيَرَاهُ بَعْضُهُمْ لِعَبِيدِ بْنِ الْأَبْرَصِ
 (يَنْظُرُ التَّفْصِيلُ عَنْ هَذَا بِحَاشِيَةِ : ١٣٢/٦ مِنْ كِتَابِ الْحَيَوَانَ لِلْجَاحِظِ .
 الْمَسْفُ : الَّذِي اسْفَ عَلَى الْأَرْضِ ، أَيِ دَنَا مِنْهَا .
 وَالْهَيْدُ : سَحَابٌ يَقْرُبُ مِنَ الْأَرْضِ ، كَأَنَّهُ مُتَدَلِّ .
 وَالرَّاحُ : جَمْعُ رَاحَةٍ .
 يُرِيدُ : أَنَّهُ لِقَرَبِهِ مِنَ الْأَرْضِ ، يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِرَاحَتِهِ .
 (٢١٠) مِنْ أَرْجُوزَةٍ يَقُولُهَا فِي الْمَطَرِ ، د : ٥١٢/٤ مَطْلَعُهَا :
 حَمَادٌ مِنْ نَوْءٍ لَهُ حَمَادٌ

فِي نَاجِرَاتِ الشَّهْرِ لَا الدَّادِ
 وَحَمَادٌ : أَيِ حَمْدًا لَهُ ، وَبَنِي عَلَى الْكُسْرِ ؛ لِأَنَّهُ مَعْدُولٌ عَنِ الْمَصْدَرِ .
 وَنَحَرَ النَّهَارِ : أَوَّلُهُ . وَنَحَوْرُ الشُّهُورِ : أَوَائِلُهَا . وَالْدَّادُ : جَمْعُ دَادَاءَ : وَهُوَ آخِرُ
 أَيَّامِ الشَّهْرِ .
 (٢١١) السَّارِيَّةُ : صِفَةُ لِلْإِبِلِ أَوْ السَّحَابَةِ فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ . (انْظُرْ : دِيَوَانُهُ : ٥١٢/٤
 (٢١٢) فِي نَوْءٍ : « بِخُلُقِ الْمُلْكِ » . (٢١٣) فِي ع : « سَقَطَتْ عِبَارَةٌ : « فِي سَعِيهِ » .
 (٢١٤) فِي ع : « وَصَاهَرُوا الْمَنَايَا » .

فلقاء الأعداء عندهم كلقاء الإخوان ، والطعن في الهيجا كالطعن في الميدان . فإن خُصِّتْ اكفُّهُم بالسماحة ، ووجوههم بالصباحة ، قيل : كُملتُ المعاني والصُّور ، وجاءوا المعاني على قدر . فإذا استلأموا الدروعَ رأيت بحورا في ضمن سُحُب ، وإذا تقلنسوا البيض ، رأيت بدورا ، من تحت مطالع شُهْب . ومن كانت هذه صفاته ، فإنه خَلِيق (٢١٦) باستنتاج مُلك عقيم ، واستحداث التقدّم غير وارث له عن قديم . ولا مِرَاء ان الأبوة للمساعي لا للأنساب ، وان الإعتزاز الى الذكر الباقي لا الى التراب . وإذا كشفت عن الأخبار السالفة ، ونظرت الى الأحوال الآتفة ، لم تجد مقيمي الدُّول الا رجالاً من اطراف الناس . ولا يظفر بذلك ، الا مَنْ هان (٢١٧) عليه الإنفاق ؛ ومن الجملة انفاق الرأس . وقد قيل : إن الملك كأنف الأسد ، وحنك الأفهي ، دونهما من الخطر اسداد (٢١٨) ، واليد الممتدة اليهما لا يتقدمها رأي قبل الإمتداد . ولهذا (٢١٩) كان الرأي بعيداً عن الخطر ، فلا يجتمعان ولا يستعان بمثل هذا المقام بالنظر في العاقبة ، بل بالله المستعان . وعلى كلّ حال ، فإن المخاطر لمن تعلّم انّ له امداداً من العمر ؛ فهو ينتهي الى أَمَدِه ، وابن الخمسين لا يموت وهو ابن عشرين ؛ لأن ذلك دون عَدَدِه . وإذا جفّت الأقلام بما هو كائن ، فلا يجبن عن مواثف الحَيِّين (٢٢٠) الاّ من هو حائن (٢٢١) .

(٢١٦) في ع : « فانه يطيق » وهو من خطأ الناسخ .

(٢١٧) في ن وع : « هانت عليه وجوه الإنفاق »

(٢١٨) الأسداد : جمع السد : وهو الحاجز بين الشيئين او الجبل يقال : ضربت عليه الأرض بالأسداد ، اي سدت عليه الطرق وعميت عليه المذاهب .

(٢١٩) في ع : « وبهذا كان الرأي » .

(٢٢٠) الحين : الهلاك والمحنة .

(٢٢١) في ن وع : « الاحاين » .

هذا الفصل يشتمل على معان ذات شجاعة وبراعة . وكأَنَّها مكتسبة
بحدّ السيف ، لا بطرف براعة . ومنها ما هو مأخوذ من الشعر ، كقول
المتنبيّ : والطنن في الهيجاء غير الطعن في الميدان (٢٢٣) .

وكقول أبي تمام (٢٢٤) :

كانهم وقلّنى (٢٢٥) البيض فوقهم
يومَ الهياج بدورٌ قلّنى شهباً

ومن ذلك ما ذكرته في دعاء كتاب ، وهو :

البسه الله من النعم اوفى ثيابها ، ولا استحقبت الأيام جدّتها بمرور
احقابها . ولا زالت ايامه متفاوتة في سماتها والقابها . ، ومعاليه متماثلة في
شرف احسابها ، واطراد انسابها . وآراؤه وعزائمه متقابلة في اناة تكهّلها ،
وطيش شبابها . ومجده مستمد من بذل يده ، وسعى هممه ؛ فله من هذه
سكب جودها ومن هذه سبق سيكابها .

وبعض هذا الكلام مأخوذ من شعر أبي تمام ، ومن شعر رجل من بني
تميم في ابيات الحماسة . امّا ابو تمام فقلوه ، في أول قصيدة :

(٢٢٣) هذا جزء من بيت في الديوان : ١٧٦/٤ ، وهو :

وتوهموا اللعب الوغى والطنن

البيت من قصيدة يقولها ' في سيف الدولة ، مطلعها :

الرأى قبل شجاعة الشجعان

هو اول وهي المحل الثاني

(٢٢٤) البيت في الديوان ١ : ٢٤٠ من قصيدة يمدح بها اسحاق بن ابراهيم بن مصعب مطلعها :

قل للأمير الذي قد نال ما طلبا

ورد من سالف المعروف ما ذهبنا

(٢٢٥) قلّنى : جمع قلنسوة .. وبني الفعل من القلنسوة ، فقال : « قلّنت »

قد نابت . الجيزع من أروية الثوب
واستحقت جيدة من ربها الحقب (٢٢٧)
وكذلك قوله من قصيدة اخرى (٢٢٨) :
كهل الأناة ، فتى الشدا اذا غدا
للحرب كان القشعم الخطريفا (٢٢٩)
واما شعر الرجل (٢٣٠) التميمي ، الوارد في كتاب الحماسة ، فهو :
ابيت اللعن إن سكاب علق
نفيس لا يُعار (٢٣١) ولا يُباع
ومن ذلك ما ذكرته في دعاء كتاب ، ايضاً ، وهو :
ارضاه الله بما هو واهبه ، واعزّ جانباً هو صاحبه ، ولا اعثر جواداً

-
- (٢٢٧) البيت في الديوان : ٢٤٤/١ وهو مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات .
اروية : اسم امرأة ، سميت بالواحدة من « الأراوي » : وهي انشى الوعول .
و « من اروية » : فيها حذف ؛ كأنه قال : من منازل اروية او من اجزاعها .
والجيزع : منعطف الوادي ووسطه او منقطعه (القاموس) . استحقت جيدة : مأخوذ من
الحقية ، .. وهو هنا على الاستعارة ؛ يريد : ان الحقب قد اذهبت بجدة هذا الربع ؛
فكانها جملة في حقائبها .
(٢٢٨) البيت في الديوان : ٣٨٢/٢ من قصيدة يمدح بها ابا سعيد ابن يوسف ، مظلما :
اطلا لهم سابت دماها الهيفا واستبدلت وحشا بهن عكوبا
(٢٢٩) الشدا : بأس الرجل ونفاذه . والقشعم : المن .
والخطريف : الحدث او السيد .
يريد : انه يتأنى في الامور تأنى الشيخ ، ويعجل الى البأس عجلة الشاب
(٢٣٠) الشعر لعبيدة بن ربيعة ... كما في كتاب الخيل لابن الاعرابي ص : ٦٢ حيث انشد
الابيات . انظر : « شرح الحماسة - للمرزوقي » ص : ٢٠٩ ، حماسة : ٤٨
(٢٣١) في ع : « لا تمار ولا تباع » وهو كذلك في الحماسة . وأبيت اللعن : خطاب تخاطب به
الملوك ، وفي الحماسة : « وقال رجل من بني تميم ، وطلب منه ملك من الملوك فرساً يقال
له « سكاب » فمنعه اياها . ومعناه : منعت ان تفعل ما تستحق به اللعن .
وعلق نفيس : اي مال ييخل به
وسكاب ؛ اذا اعربته منصرف ؛ لانه علم . والشاعر تميمي ، وهذه لغة قومه .
واذا بنيت على الكسر ، اجريته مجرى « حذام » ؛ لانه مؤنث معدول معرفة - وهذه
اللغة حجازية .

هو راكبه . وانه بعيادات المطالب ، التي يقال فيها : أنضر الروض عازبه .
وجعل حسبه من الأحساب التي اضاءت دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه .

وهذا مأخوذ من الشعر ، فمنه ما هو مأخوذ من قول (٢٣٢) ابي تمام :

وقلقل نأي من خراسان جأشها (٢٣٣)

فقلت : اطمئي ، أنضر الروض عازبه

ومنه ما هو مأخوذ من قول الآخر :

اضاءت لنا احسابنا وجدودنا

دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه



(٢٣٢) في ن : « من شعر ابي تمام » . والبيت في الديوان : ٢٢٥/١ ، وهو من قصيدة يمدح

بها ابا العباس عبدالله بن طاهر ، مطلعها :

هن عوادي يوسف وصواحيه

فنزماً قدماً أدرك السؤل طالبه

(٢٣٣) والجاؤى : الزلب او الصدر ، ومنه قولهم : رابط الجأش ، وضده قولهم : طار قلبه فزعاً .

القسم الثاني

في حل الشعر ببعض لفظه

وهذا هو الطريقة الوسطى ، وهو عندي اصعب منالاً من الطريقة العليا التي هي حل الشعر بغير لفظه . وسبب ذلك انك اذا حلت (١) شعر شاعر مجيد ، قد نقح الفاظه وزينها ، واجاد في ديباجة سبكها ، فإذا تصدّيت لفك نظامه ، فقد التزمت ان تواخي لفظه بمثله (٢) في الحسن والجودة . وهذا لايسمو اليه الا من غُدّي بلبان الفصاحة مرضعاً ، وعرف مواضعها فلم يجهل منها موضعاً . واذا لم يأت بالمماثلة والمؤاخاة بين لفظه ولفظ الشاعر ، فقد كشف عن مقتلته لنابله ، وعرض لحمه لآكله . واذا حل الشعر بغير لفظه ، فقد امن هذه العورة .

وقد افردت هاهنا امثلة من هذا القسم لتكون قدوة للمتعلّم ؛ فمن ذلك ما ذكرته في وصف القلم ، في فصل من كتاب الى بعض الإخوان وهو :
وقلمه هو اليراع (٣) الذي نفثت (٤) الفصاحة في رُوعه (٥) ، وكنت الشجاعة بين ضلوعه . فإذا قال اراك كيف نسق الفريد (٦) في الآجيات ..
واذا صال اراك كيف اختلاف الرماح بين الآساد . وله خصائص اخرى يُبدعها إبداعاً ، واذا لم يأت بها غيره تصنعاً اتى هو بها صناعاً . فطوراً

(١) : « وسبب ذلك اذا حلت » وفي ن : « اذا اخذت .

(٢) في ع : « كثره في الحسن » .

(٣) اليراع : القلم ، والقصب الذي يزمر به الراعي .

(٤) النفث : كالنفخ ، والنفاثات في العقد : السواحر (القاموس)

(٥) الروح : سواد القلب ، والعقل ، والذهن

(٦) نسق الفريد ؛ الفريد : البذر يفصل بين اللؤلؤ والذهب ، والدر اذا نظم وفصل بغيره .

ومن قولهم : « ذهب مفرد : مفصل بالفريد »

يُرى نحلةً تجني عسلاً ، وطوراً يُرى شفةً تملئ قُبلاً . وطوراً يرى إماماً
يُلقي درساً ، وطوراً يرى ماشطةً تجلو عُرْساً . وطوراً يرى ورقاء تصدح
بين الأوراق ، وطوراً يرى جواداً مخلّفاً بخلق السباق . وطوراً يرى افعواناً
مُطْرِقاً ، والعجب انه لايزهي (٧) الاتعد الإطراق ، . ولطالما نفث سحراً ،
وجلب عطراً ، وادار في القرطاس خمراً . وتصرف في وجوه العناء ، فكان
في الفتح عُمَر وفي الهدي عَمَّاراً وفي الكيد عَمَّراً . فلا تحظى به دولة إلا
فخرت على الدول ، وغنيت به عن الخيل والحسول ، وقالت : اعلى الممالك
ما يُبنى على الأقلام لا على الأسل .

ولربما لقيَ هذا القول (٨) قومٌ بإعظام التَّكْسير ، وقالوا : من اين للقصبة
الضعيفة هذا الخطر الكبير . وللبهائم عُذر الا تعرف من ملاذ الأطمعة غير
الشعير . ولو انصف هؤلاء لعلموا (٩) : ان القلم مزمار (١٠) المعاني ، كما ان
اخاه في النسب مزمار الأغاني ؛ فهذا يأتي بغرائب الحِكم ، كما يأتي ذلك
بغرائب النغم . وكلاهما شيء واحد في الإطراب ، غير ان احدهما يلعب
بالأسماع ، والآخر يلعب بالألباب .

في هذا الكلام معان مأخوذة من الشعر ، ومعان مبتدعة لم ينسبني اليها
شاعر ولا كاتب . فأما التي في الشعر ؛ فمنها قول ابي عبادة البحرّي :
في نظام من البلاغة ماشك
لك امرؤ انه نظام فريد
ومنه قوله ايضاً :

طعانٌ بأطراف القوافي كأنه طعانٌ بأطراف القنا المتكسر (١١)

(٧) في ع : « لا ينهى » (٨) في ق : « في قوم »

(٩) في ن : « لعلم » (١٠) في ع : « ان القلم هو مزمار »

(١١) البيت في الديوان : ٨٩٠/٢ وهو من قصيدة يمدح بها ابراهيم بن الحسن بن سهل ،
لما رد عليه غلامه نسيماً ، وكان قد اشتراه منه ، ثم تبعته ففس البحرّي ، وقال فيه القصائد
الحارة حتى اعاده اليه ابراهيم ، ومطلع القصيدة :

فداؤك نفسي دون رهطى ومشرى ومبداي من علو الشأم ومحضري
وفي الديوان : عتاب بأطراف القوافي . كأنه ...

ومنها ، قول ابي تمام ؛ في وصف شعره :
عَبِيقَاتُ السَّمْعِ تُبَدِي وَجُوهًا
كُوجُوهُ الْكُوعَابِ الْأَتْرَابِ (١٢)

ومنها قول ابي الطيب المتنبي :
أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يَبْنِي عَلَى الْأَسَلِ
وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّيهِنَّ كَالْقُبْلِ (١٣)

واما الذي ابتدعته ، ولم اسبق اليه ، فهو : أني جعلتُ القلم مزمار
المعاني ، كما أني جعلت اخاه في النسب مزمار الأغاني . وذاك ، ان كليهما
قَصَبَةٌ . ولهذا جعلت المزمار الموضوع للغناء ، اخا القلم في النسب ، وجعلت
معاني هذا كنغم هذا .

وامّا الأوصاف الباقية التي ذكرتها في كونه « نَحْلَةٌ » و « شَفَه »
و « اَمَامًا » فإنني لم اسمعها ، وإن كنت سبقت اليها .
وهذه الأوصاف هاهنا في ذكر القلم ، لا تجدها في كلام آخر ، غير
هذا الكلام .

وقد اوردت في وصف القلم فصلاً آخر من كتاب الى بعض الإخوان ، وهو :
وقلمه هو القلم الذي اذا قذف بشهب بيانه ، رأيت نجوما ، واذا ضرب
بشبا (١٤) حده رأيت كلوماً ، واذا صور المعاني في الفاظها رأيت ارواحاً
وجسوما . وقد شرف الله دولة يجلس في حَقْلِهَا ، ويخطب عن اهلها .

(١٢) البيت من قصيدة يهجو بها رجلا سرق شعره ، وهو محمد بن يزيد الأموي ، وسار به الى
المدوح وادعاه ، ومطلع الأبيات :

من بنو عامر من ابن الحباب

من بنو تغلب غداة الطللاب

(١٣) البيت مطلع قصيدة يقولها في سيفه الدولة .

الأسل : الرماح .

ويريد : انهم يستلذون الطمن استلذاذهم للقبل

(١٤) في ن : « ثباحده » . والشباة من السيف : قدر ما يقطع به ، والجمع شبل .

فهو لما في الحسن طيراز ، وفي الذب عَضْب (١٥) جراز . ولطالما قال ،
 فاستخفَّ مُوقِّراً وكسا وقاراً . واطال فوجدت اطالته لحلاوتها (١٦)
 إقصاراً ، وادعى الإنفراد بهذه المزية ، فأقرت له الأعداء اقراراً . وكلُّ هذا
 فضلٌ لقلمه غير مدفوع ، وشاهده مرأى لدينه ، وإن غدا قبله وهو مسموع .
 وفي طلعة البدر ما يُغنيك (١٧) عن زُحَل . واقوال غيره منتقلة عن أوّل الى
 آخر ، والذي يقوله لم يقل .. فهو ربّ المعاني المخترعة ، يستخرجها من
 قليبها ، ويبرزها في ثوبها القشيب ، وليس خلق الأثواب كقشيبها .

وقد امسك (١٨) القلم قومٌ رضوا بتحسين السطور ، واذا اتى احدهم
 بشيء من السجع ، فذلك هو الكاتب المشهور . وهؤلاء قصّروا همهم على
 الزيف دون اللّباب ، ولم يعلموا ان القشر لذوي (١٩) القشور ، واللّب
 لذوي الألباب . وقد قيل : إن من الأقلام رخمة (٢٠) في كفّ رخمة ،
 وعُقّاباً في كفّ عقاب (٢١) .

هذا فصلٌ من الكلام ، قد اغترفت معانيه من بحر ، ونحتت الفاظه من
 صخر . بل فتقت معانيه من صُوار مسك ، واخذت الفاظه من فريد سلك .
 بل جنيت معانيه من ثمرات مختلف طعمها ، ونسجت الفاظه من دبّايح مؤتلف
 رقمها . فانظر ايها المتأمّل ايها نظر المتعجّب بما فيها من الإعجاب ، واسجدْ
 لها ؛ فإنّ للبلاغة سجوداً كسجود الكتاب .

(١٥) الجراز : السيف القاطع

(١٦) في ن : « بحلاوتها »

(١٧) في ع : « ما يغنيك زحل » بسقوط « عن » .
 وزحل : كوكب يضرب به المثل في العلو والتمد .

(١٨) في ع : « وقد مسك »

(١٩) في ع : لأهل القشور »

(٢٠) الرخمة : طير من الجوارح الكبيرة الجثة .

(٢١) المقاب : طائر من الجوارح قوي المخالب .

وفي بعض ما اورده في هذا الفصل معان مأخوذة ، من الشعر ، فمن ذلك قول ابن الرومي :

وحديثها السحر الحلال لو انّه
لم يجن قتل المسلم المتحرّز
إن طال لم يُملَلْ ، وإن هي اوجزت
ودّ المحدث أنها لم توجز (٢٢)

ومن ذلك قول ابي الطيّب المنبهي :
انا القائل الهادي الى ما اقوله
اذ القولُ قبل القائلين مَقُولُ (٢٣)

وامّا ما سوى هذه المعاني المأخوذة من الشعر ، فإنه من بنات
الخطر ، التي لم أخذ (٢٥) فيها حذو وقوع الحافر على الحافر . ولا أدعي
في ذلك درجة الإبداع ، بل هو مما تناقلته الأيدي وتداولته الأسماع . غير
أنّ لي فضيلة اخراجه في هذا المخرج ، وحوّكه على هذا المنسج .

وليس يعرف لي فضلي ولا ادبي
الا أمرؤُ كان ذا فضل وذا أدب

ومن هذا القسم الذي هو حلّ الشعر ببعض لفظه ، ما ذكرته ، في ذمّ
كاتب ، وهو : لايمشي قلمه في قرطاس ، الاّ ضلّ عن النهج ،
ولا يصوغ لفظاً الاّ قيل : ربّ حدّث من الفم كحدث من الفرج . فله

(٢٢) البيتان في ديوان ابن الرومي ، ص : ٤٠٩ اختيار وتصنيف كامل كيلاني ؛ مطبعة
التوفيق الأدبية بمصر .

(٢٣) البيت في الديوان : ١٠٨/٢ ورواية الديوان : انا السابق الهادي ... والبيت من قصيدة
يقولها في سيف الدولة مظلها :

ليالي بمد الظّاعين شكول

طوال وليل العاشقين طويل

(٢٥) في ع : « لم اجد فيها » وهو من خطأ الناسخ .

عِي الفهاهة ، ولغيره بسطة الفصاحة . والذي يقوله (٢٦) من اقوال الناس ؛
فهو لا ينفك عن الأقوال المستمحة .

وقد يجيىء بخلط فالنحاس له

وللأوائل مافيه من الذهب (٢٧)

سبحان الله ! أفكل من تناول قلماً كتب ، ام كلّ من رقي منبراً خطب !
والدعوى في هذا المقام كبيرة ! لكن ليس القنا كغيرها من القصب .

وشيء من هذا الفصل مأخوذ من شعر ابي الطيّب ، في قوله :

حللتهم من ملوك الناس كلّهم

محلّ سُمّر القنا من سائر القَصَب (٢٨)

ومن هذا القسم ما ذكرته في وصف الشمعة ؛ وذلك فصل من جملة كتاب ،
كتبته الى بعض الإخوان ، وهو :

وكان بين (٢٩) يدي شمعة تعمر (٣٠) مجلسي بالإيناس ، وتُغْنيني بوحدتها
عن كثرة الجُلاس . وينطق لسان (٣١) حالها أنّها احمد عاقبة من مجالسة
الناس ، فلا الأسرار عندها بملفوظة ، ولا السقطات لديها بمحفوطة (٣٢) . وكانت
الريح نلعب (٣٣) بلهبها ، وتختلف على شعبه بشعبها ، فطوراً تقيمه فيصير (٣٤)

(٢٦) في ن وع : « والذي يقوله مستمحا »

(٢٧) البيت لابن الرومي في هجاء البحتري الشاعر ، وقبله .

قبحاً لأشياء يأتي البحتري بها

من شعره الفث بعد الكد والتعب

(٢٨) البيت في الديوان : ٩٤/١ من قصيدة يقولها المتنبي ، في رثاء أخت سيف الدولة ،
مطلعها :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب

كناية بهما عن اشرف النسب

(٢٩) في الأصل : « وكان بريدي » والتصويب من ع

(٣٠) في ن : « تمم »

(٣١) في ع : « وينطق لسانها »

(٣٢) في ن : « محفوطة »

(٣٤) في ع و ن : « فيتصور »

(٣٣) في ع : « تتلمب »

انملةً ، وطوراً تميله فيصير سلسلة . وتارة تجوّفه فيصير مدهنة ، وتارة تجعله ذا ورقات ، فيتمثل سوسنة . وآونة تنثره فيصير (٣٥) منديلا ، وآونة تلفه على رأسها فيصير إكليلاً (٢٦). ولقد تأملتُها فوجدت نسبتها إلى العنصر العسلي ، وقدّها قدّ العسّال . وبها يضرب المثل للحليم ، غير أنّ لسانها لسان الجتهال . ومذهبها هو مذهب الهنود في احراق نفسها بالنار ، وهي شبيهة بالعاشق في انهمال الدمع ، واستمرار السهر وشدة الإصفرار . وكلُّ هذا تجدّها بعد فراق أخيها ودارها ، والموت في فراق الأخ وفراق الدار .

وهذه معان كريمة ، لم يؤت بمثلها في الشمعة (٣٧) ، غير أنّ منها معنى واحداً مأخوذاً من شعر القاضي الأرجاني (٣٨) ، وهو : [بياض في الأصل]

وانا له هو قد قعدت بعينه
أفليس بخُلْ مدامعى بقييح
بالتار فرقت الحوادث بيننا
وبها نذرت اعود اقتل روحي

ومن هذا القسم ما ذكرته في وصف سخيّ ، وهو :
ولقد جاراني في سبق مطالبني بالعطاء ، حتى حكم اسراعه على اسراعي بالإبطاء . وخليقة الكرم أنّ تأتي عجلي ، ولا تكون اليد العليا شريفة ، إلاّ إذا سبقت اليد السفلى . ولهذا قيل : إنّ قليل الابتداء خير من كثير الإحتذاء (٣٩) .
ورداء العطايا ، ليس بكأس إذا حسر (٤٠) ما على الوجه من الرداء .

(٣٥) في ع : « فينسط » (٣٦) في ق و ع : « فيستدير »

(٣٧) في ع : « في شمة »

(٣٨) في الديوان ، ص : ٨٣ ط : بيروت سنة ٣٠٧ مطبعة جريدة بيروت . والآيات أولها :
ولقد أقول لشمة نصبت لنا

وستور جناح الليل ذات جنوح

وعنوان الآيات : « وقال في الشمة » . ومكان الآيات بياض في الأصل .

(٣٩) في ع : « الإحتذاء » (٤٠) في ن : « حسرّها على الوجه »

وبعض هذا الكلام ، مأخوذ من بيتي شعر ؛ احدهما لأبي الطيّب
المتنبي ، وهو :

وجاودني بأن يُعطي وأحوى
فأغرق نيلُهُ اخذي سريعاً (٤١)

والآخر لأبي تمام ، وهو :

ما ماء كفك أن جادت بناثلها

من ماء وجهي اذا أفنيت عيوضُ (٤٢)

والأخذ من بيت أبي الطيّب ، أكثر اصراحاً من بيت أبي تمام . وفي
الأخذ من بيت أبي تمام ضربٌ من الكيمياء ، الذي ينقل الآعيان من صورة
الى صورة ، حتى ينقل الحجر ياقوتاً ، والنحاس فضة وذهباً .

فانظر الى هذا الفصل من الكلام المنشور ، والى هذين البيتين من الشعر ،
واعط ذلك حقّ النظر ، حتى تعلم ما في الكلام المنشور من الزيادة معنى ولفظاً .
ومن هذا القسم ما ذكرته في وصف سخّي ايضاً ، وهو :

ولقد عدا السحاب طوره ، إذ هطل في بلد (٤٣) هو به مقيم ، لكن

(٤١) البيت في الديوان : ٢٥٧/٢ ، وهو من قصيدة يمدح بها علي بن ابراهيم التنوخي ،
مطلعها :

ملث القطر اعطشها ربوعاً

والا فاسقها السم النقيعاً

ويريد ببيتته المشار اليه في النص : ان الممدوح كان اسرع في الإعطاء من أبي الطيب في
الأخذ .

(٤٢) البيت في الديوان : ٤٦٥/٤ ، وهو من أبيات يقولها في عباس بن لهيعة ، مطلعها :

ذل السوأل شجا في الخلق معترض

من دونه شرق من تحته جرض

ورواية الديوان ، ط بيروت ، وبشرح التبريزي ؛ ٤٦٥/٤ : ما ماء كفك إن جادت

وإن بخلت

(٤٣) في ن وع : « في بلدة هوبها »

عذره انه اتى متعلماً ، وقد جرت العادة بإفادة التعليم . وما اقول : إنه يقابل ذلك الوجه الندي (٤٤) الا بوجه قلّ ماؤه ، ولو استحيا منه حقّ الحياء لما هطلت سماءه . وأنّى يُقاس فيض كرمه بفيض كرمه ؛ وهذا دأيم لا يُقلع ، وهذا معيب (٤٥) بإقلاع ديمه . ولو بذل من مائه ما يبذل له من ماله لتجدّد للناس (٤٦) في كلّ يوم طوفان جديد ، ورأوا منه عياناً ما سمعوا (٤٧) خبراً ، وإذا جاء العيان ألوى بالأسانيد .

وبعض هذا مأخوذ من شعر ابي نواس ، وشعر ابي الطيّب المتنبي ؛
اما ابو نواس ، فقوله :

إن السحاب لتستحيي اذا نظرت

الى نداء فقاسته بما فيها (٤٨)

وامّا ابو الطيّب المتنبي ، فقوله :

لو كنت بحراً لم يكن لك ساحلٌ

او كنت غيثاً ضاق عنك اللّوح (٤٩)

وخشيتُ منك على البلاد واهلها

ما كان انذر قوم نوحٍ نوحٌ

(٤٤) في ن : « ذلك الوجه الذي يرى الابوجه ... » وهو سهو من الناسخ

(٤٥) في ن : « وهذا مغب »

(٤٦) في ن : « للناس كل يوم » بحذف : « في » (٤٧) في ن وع : « ما سمعوا به خبراً »

(٤٨) البيت من قصيدة يمدح بها العباس بن الفضل بن الربيع ، في الديوان ؛ ص : ٤٦٤ ط - الغزالي ، مطلعها :

الدار اطبق اخراس على فيها

واعتاقتها صمم عن صوت داعيها

(٤٩) البيتان في الديوان : ٢٥٤/١ من قصيدة يمدح بها مساور بن محمد الرومي ، مطلعها :

جللا كما بي فليك التبريح

أغذاء ذا الرثا الأغن الشيخ !

واللوح : الهواء ما بين السماء والأرض . واراد بالغيث : السحاب الذي فيه مطر .

يريد بقوله : لو كنت بحراً ما كان يرى لك ساحل لعظمتك . ولو كنت سحاباً

لم يملك الهواء لعظمتك .

لكن اذا نظرت الى هذا الفصل من الكلام المنشور ، والى الأبيات المشار إليها ، علمت ان الآخر متقدم على الأول ، وتمثلت بقول القائل :

وهل عند رسم دارس من معول ؟! (٥٠) .

ومن هذا القسم ما ذكرته في وصف رجل بالرأي والشجاعة ، فقلت :

اذا رفعت الخطوب اعناقها ، لقيها من رأيه بسعد الذابح (٥١) ، وإن دجى ليلها غشيبه من عزمه بالسماك الرامح (٥٢) ؛ فهو في إحدى الحالتين يسفك دمائها ، وفي الحالة الأخرى يجلو ظلماءها . ولهذا تُرى وقد اجفلت من طريقه ، ورجعت عن حرب عدوه الى سلم صديقه .

في هذا الفصل معنى مأخوذ ، من شعر البحري ، وهو :

سمّاه سعداً ظنّ ان يحيا به

عمري ، لقد الفاه سعد الذابح (٥٣)

إلاّ ان الذي اتيت به اسدّ وامتن واحسن موقعاً ، والطف مأخذاً ؛ لأنني ذكرت : العنق والذابح ، والليل والسماك . ولا خفاء بما في ذلك من المناسبة .

(٥٠) الشطر عجز بيت لامرئ القيس ، صدره : « وإن شفائي عبرة ان سفحتها ... » ص ١٢٥ من شرح ديوانه لحسن السندوبي .

(٥١) سعد الذابح : سعود النجوم كواكب عشرة ، منها كوكبان بينهما قيد ذراع ، وفي نحر احدهما نجم صغير ، لقربه منه كأنه يذبحه . وهو عند العرب كوكب نحس .

(٥٢) السماك الرامح : السماكان كوكبان نيران ؛ يقال لأحدهما : « السماك الرامح » ؛ لأن امامه كوكباً صغيراً يقال له : راية السماك ورمحه . ويقال للآخر : « السماك الأعزل » ؛ ليس أمامه شيء .

(٥٣) البيت في الديوان ؛ ٤٧٣/١ ، وهو أحد بيتين يقولهما البحري في استحجاب عبيدالله ابن يحيى سعداً النوشري . والبيت الأول :

طلب البقاء بكل فأل صالح

وبكل جار سانح أو بارح

وقد لج البحري بهذا المعنى ، ومن هذا قوله :

يا حاجب الوزراء إنك عندهم

« سعد » ولكن انت « سعد الذابح »

ومن هذا القسم ما ذكرته ، في اليأس والطمع ، وهو :
 اذا نُظِرَ الى اليأس والطمع ، وُجِدَا سواءً في جدوى الإعطاء ، ولا فرق
 بينهما الا في روح التعجيل وكرب (٥٤) الإبطاء . ومن هاهنا جعل اليأس
 غنىً والطمع فقرًا ، واوسع صاحب هذا ذمًا ، وصاحب هذا شكرًا . ألا
 ترى انَّ لَيْتَ ولعلَّ حرفان من الحروف الناصبة ، ولا اعني بذلك الا نصَّبَ
 النفس الذي لا تزال [به] (٥٥) تَعَبَةً لاغبة .

وبعض هذه المعاني ، مأخوذة من شعر ابي تمام ، وهو :

توهمُ آجلُ الطمع المُفْتِي
 تيقنُ عاجلُ اليأس المُنِيل (٥٦)

ومن هذا القسم ، ما ذكرته في فصل من كتاب ، تضمن (٥٧) تعزية ،
 وهو :

اذا فاز المرء من اليقين بحظّه ، ولحظ الدنيا بقلبه لا بلحظه ، علم ان
 عطايها عارية مردودة . وانّها ، وإن طالت مدّة وجودها ، فانها مفقودة .
 وما ينبغي له حينئذٍ ان يسرّ بالشيء المعار ، ويحزن اذا دُخِرَ له ، في
 خزائن الإدّخار ، ونقل من دار المتاع الى دار القرار .
 وبعض هذا الكلام مأخوذ من شعر (٥٨) ابي تمام :

(٥٤) في ن وع : « كره الإبطاء »

(٥٥) في ن وع : « لاتزال به تعب »

(٥٦) البيت في الديوان : ٤١٥/٤ من قصيدة يهجو بها عياش بن لهيعة ، مطلعها :

كأنني لم أبشكما دغيلي

ولم أتريا ولوعي من ذهولي

يريد بيته المستشهد به في النص : توهمي آجل طمع لايجدي ، وهو مفتي ان
 استيقن يأساً يقوم مقام النيل (شرح الديوان - للتبريزي) .

(٥٧) في ع : « في كتاب يتضمن .. »

(٥٨) من أبيات يعزي بها حوي بن عمرو بن نوح بن حوي بابنه ، مطلعها :

عزاء فلم يخلد حوي ولا عمرو

وهل احد يبقى وإن بسط العمر ؟

واكثر حالات ابن آدم خِلقة (٥٩)
يَتَضِلُّ اذا فَكَّرَتْ في كنهها الفِكْرُ
فيفرح بالشئ المعسار بقاؤه
ويحزن لما صار ، وهو (٦٠) له دُخْرُ

ولا خفاء بما في هذا الكلام المنشور ، من الزيادة على هذين البيتين .
ومما ينخرط في هذا السلك ما ذكرته في فصل من كتاب ، وهو :
كانت الدنيا به مسرورة ، فطُوى عنها لباس السرور . وكانت الزُلْفى
لها بحياته ، فانتقلت الزُلْفى الى اهل القبور . فيا بؤس للاحياء بعده ،
ويا طوبى للأموال باقترابه . ولا — والله — ما علم الناس قدر هذا الرزء ؛
لأنهم لم يوفوه حقّ مصابه . وما اقول إنه كان للأرض الاّ بمنزلة الأرواح
من الأجساد . ولا شك ان السماء حسدتها على الإختصاص به ، فما اعيدت
من حسد الحُسّاد . وبماذا يمدحه المادح ، وقد اسلمه العيان الى الخبر .
وإن قيل : لولا النبيّ لم تخلق شمس ولا قمر ، قلت : لولا (٦١) موته لم
نخسف شمس ولا قمر .

في هذا الفصل معنى بيت من الشعر ، وهو قول ابي نواس :

لا خير للأحياء في عيشهم

بعدك ، والزُلْفى لأهل القبور (٦٢)

وفيه معنى خبر ، من الأخبار النبويّة . الاّ ان هذا الموضع يتعلّق بحلّ
الشعر ، واذا جاء فيه معنى الخبر او الآية ، كان ضمناً وتبعاً .

(٥٩) في شرح البيت يصح المعنى على « خِلقة » و « خلفه » وفي الأولى ان حالات ابن آدم
طبعه وخلقته التي جبل عليها . وفي الثانية : ان حالاته مختلفة . الديوان — شرح
التبريزي ٨٦/٤ .

(٦٠) في ع سقطت « هو » من النسخ

(٦١) في ن : « فقلت » وفي ع : « قلت ولولا »

(٦٢) البيت في ديوانه ؛ ص : ٥٨١ من ابيات يقولها (لعلها في الأمين) مطالها :

يا امين الله من اللدى وعصمة الضمى فك الأسير

ومن هذا النحو ، ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمن تعزية ، وهو :
كيف يظلم ذلك اللحد ، وبه من اعمال ساكنه انوار ؟ ! ام كيف يجذب ،
وبه من فيض يمينه سحب مدرار . ام كيف يوحش والملائكة داخلة عليه
يبشرى عاقبة الدار . ام كيف يخفيه طول العهد على زواره ، وطيب ترابه
هاد للزوار .

وهذا الفصل فيه معنى ، من بيت من الشعر :

ارادوا ليخفوا قبره عن عدوه

فطيب تراب القبر دل على القبر

وكذلك قلت في فصل من كتاب ، اعزّي به بعض الإخوان في اخيه، وهو:
ويا اسفا ! كيف اظاً على ظهر الأرض ، وهو في بطنها ملحودا ؟ ام
كيف ارعى نجوم السماء ، وليس هو بينها موجودا ؟ ام كيف اعدّ اسماء
البحار وليس (٦٣) هو في جملتها معدودا ؟ ام كيف احمد من بعده عيشا ،
وقد كان العيش كاسمه محمودا . وهذا الميت كان اسمه « محمودا » .

وفي هذا الفصل ما هو مأخوذ من الشعر ، وهو :

برغمي ان اعنّف فيك دهرأ

قليلاً فكره بمعنّفيه

وان ارعى النجوم ولست فيها

وان اظاً التراب وانت فيه

ومن هذا الباب ، ما ذكرته في صدر كتاب ، الى الديوان العزيز النبوي
بيغداد ، وهو :

اذا انشأ الخادم كتاباً الى الأبواب الشريفة ، تحاسدت على الاختصاص
به ضروب المعاني ، وتمنّى كل منها ان يودع في اثنائه حتى تنازعت في
الأماني . ولو طمعت القوافي ان تتضمنه لظلت فيه ساهرة ، ولأصبحت

(٦٣) في ع : « وليس في جملتها » بحذف : « هو »

على الخطب وخطبائها فاخرة . لكنها علمت الا مطمع لها فيما اختص
بتزليل مدحه ، وتولّى الروح الأمين تفصيل شرحه . ولكتب الخادم فضل^(٦٥)
على ما يصدر عن غيره من كتاب . وليس ذلك ، إلا لأن ولائه يحرك
روضها (٦٦) ، والروض على قدر السحاب .

وقد تصفّحها الديوان العزيز ، فاستقامت على نظره اولا وأخيرا .
ولو صدرت عن غير ولائ صادق لو جد فيها اختلافاً كثيراً .

هذا الفصل فيه معان كثيرة ، وهو من محاسن ما يكتب في مثل هذا
الموضع ، وليس فيه مما هو مأخوذ من الشعر ، الا معنى واحداً من شعر
ابي تمام :

تحاسد الشعر فيه اذ سهرت له

حتى ظننت قوافيه ستقتل^(٦٧)

والذي تضمّنه الكلام المنثور من المعاني الباقية ، اكرم محتدا ، واعذب
موردا ، وأسد مقصدا . وفي حسبه ما يشهد لنفسه ، وهل يحتاج النهار
الى شاهد بعد طلوع شمسه !

ومن هذا القسم ما ذكرته ، في اباق غلام ، وهو : (٦٨)

وامّا فلان ، فإنه ابق من يد كريم ، لو كان للدنيا سعة صدره ،

(٦٥) في ن : « فضل ما يصدر .. »

(٦٦) في ن وع : « رياضها والرياض ... »

(٦٧) البيت في الديوان ، ص : ٢٠٢ ط بيروت ، وفي : ٥/٣ بشرح التبريزي ، وفيهما :
تغاير الشعر ...

والبيت من قصيدة يملح بها المتصم بالله ، مطلعها :

فحوالك عين على نجواك يامذل

حتى م لا يتقضى قولك الخطل ! ؟

ويريد : « انثالت علي القوافي حرصاً من كل قافية أن تخبر فيه .

(٦٨) في ن وع : « فصل من كتاب » .

لم تضق بطالب ، ولا ضاقت على هارب . فيا وَيْلَهُ ! ينتجع والروض في
في منزله ؟ ويستمطر والغيث في منهل ! وما هو إلا كمن باع الصحة بالسقم (٦٩)
والثروة بالعدم . وسترده الأيام الى بابه بعد ان تأخذ في تهذيبه ، وتدم
اليه عُمى تجريبه . وتعلمه ان خيرته في ملازمة ذلك الباب ، الذي ما فارقه
احد ، الا شوى وجهه حرّ الحجير ، ولا استظل بظله ، الا وجد على كبده
برد العذب النّير .

وبعض هذه المعاني مأخوذ من شعر ابي الطيّب ، وشعر مسلم بن الوليد .
اما ابو الطيّب ، فقله (٧٠) :

تضيق عن جيشه الدنيا ولورحبت
كصدره لم تين فيها عساكره
والذي ذكرته في (٧١) هذا الموضع ، ألفت واحسن ، وإن كان
اصله منه . وهذا من الكيسياء الذي تقدم ذكره .

واما مسلم بن الوليد ، فقله :
وترجعني اليك اذا نبت بي
دياري عنك تجرّبة الرجال (٧٢)

(٦٩) في ع : « باع الصحة بالعدم » وهو سهو من الناسخ
(٧٠) البيت في الديوان ؛ ١٢٠/٢ وهو من قصيدة له ، في صباه ، مطلعها :
حاشى الرقيب فخانتته ضمائر
وغيض الدمع فانهلت بواذره

(٧١) في ن وع : « والذي ذكرته انا »
(٧٢) البيت ثالث ابيات ثلاثة ، في الديوان ، ص : ٣٣٦ ، اولها :
حياتك يا ابن سعدان بن يحيى

حياة المكارم والمعالى
يا ابن سعدان هذا مدحه مسلم بقصيدته الطويلة المشهورة :
هجر الصبا واناب وهو طروب
ولقد يكون وما يكساد ينسب

ومن هذا القسم ، مذكرته في جملة كتاب يتضمن (٧٣) شفاعاً ، وهو : العفو عن المذنب عقوبة لعرضه ، وإن نجا بسلامة نفسه ، وجنابته هي التي تلبسه من غضاضتها ، ما لم يبلغه العقاب بلبسه . وقد قيل : إن الرفق بالجاني عقاب ، والإحسان اليه متاب . ولا شك في أن بسطة الصدر تذهب بالحفيظة ، وتزيل وجد القلوب (٧٤) المغيظة . والسجيا اللطيفة تأبى أن تخشن على من أصبح في قبضتها اسيراً ، ولم يجد سواها ملجأ ولا ظهيراً . ومن شأنها أن يكون رضاها شفيعاً إلى غضبها . وإن نبضت منها بادرة ردتها شيمة التعمد (٧٥) على عقبتها . فلا شافع إليها الا وسيلة كرمها . ولا ذمة عندها الا الاستدمام بحرمةها .

وبعض هذا مستنبط من شعر أبي تمام ، وشعر الشريف الرضي ، وشعر أبي الطيب المتنبي .

اما أبو تمام ، فقوله :

ستصبح العيسُ بي ، والليل عند فتى

كثير ذكر الرضا في ساعة الغضب (٧٦)

واما الشريف الرضي ، فقوله :

لا سفيرُ إليك إلا معاليك ولا شافعُك (٧٧) إليك سواكا

(٧٣) في ع : « تضمن » (٧٤) في ع : « وتزيل وجد الصدور »

(٧٥) في ن : « شيمة التعمد »

(٧٦) البيت في الديوان ، ص : ٢٢ ط بيروت ، و : ١١٢/١ بشرح التبريزي ، وهو من

قصيدة يمدح بها الحسن بن سهل ، وقيل : الحسن بن وهب ، وقيل : الحسن بن رجاء بن

الضحاك (انظر حاشية الصفحة في شرح التبريزي) ومطلعها :

أبدت أسي أن رأيتني مخلص القصب

وآل ما كان من عجب إلى عجب

والمخلص : من قولهم : اخلص رأسه : اذا صار فيه بياض وسواد .

والقصب : جمع قصبه ؛ وهي خصلة من الشعر تجعل كهيئة القصبه ، وهل اقل

فتلا من الضغيرة .

(٧٧) البيت في الديوان ، طبعة صادر بيروت ؛ ٩٩/٢ من قصيدة طويلة قالها في مدح بهاء

الدولة ، مطلعها :

يا أراك الحمى تراني اراكا اي قلب جنى عليه جناكا؟

وامّا ابو الطيب المتنبي ، فقله :

ترفّق ايّها المولى عليهم

فإن الرفق بالجلاني عتاب (٧٨)

إلاّ انّ المأخوذ من قول ابي الطيب ، انما هو اللفظ والمعنى معاً ،
وورودها هاهنا تبعاً لما اخذ بعض لفظه ، وإن لم يكن من بابهِ .

وقد تقدّم القول : إنّه اذا اخذ الناثر لفظاً لشاعر مجيد ، قد نقّحه
وحسّنه ، فينبغي ان يُواخى بمثله . ألا ترى الى قول ابي الطيب المتنبي :
« إن الرفق بالجلاني عتاب » من افصح الكلام ، وأبلغه ؟! وقد شهد الفضلاء
بفضيلته ، واقرّوا بمرتبه (٧٩) . فلما اخذته وأخيّته بما هو احسن منه ،
فقلتُ : ان الرفق بالجلاني عتاب ، والاحسان اليه متاب ؛ فقولي : « والإحسانُ
اليه متاب » احسن موقعاً ، والطف مأخذاً . ومعناه : انك اذا احسنت الى
الجلاني في قبالة جنايته ، كان ذلك سبباً لتوبته ، ان يعاود جناية .

ومن هذا القسم ما ذكرته في وصف الفضائل ، وهو :

اذا ادّعت له العلياء (٨٠) رتبة فضّل ، شهد شاهد من اهلها ، وكفته
ورائتها (٨١) عن آبائه ان يشارك البُعْداء في فضلها . واحقّ الناس بالمعالي من كان
فيها عريقاً . ولا يكون المرء خليقاً بها ، إلاّ اذا كان ابوه خليقاً . واذا زكت
اصول الشجر زكت فروعه . ولا يعذبُ مَدّاقُ الماء ، إلاّ اذا طاب يُنبوعه .
وبعض هذه الكلمات ، مأخوذ من شعر ابي عبادة البحتريّ ،
في قوله :

(٧٨) البيت من قصيدة يقولها في سيف الدولة ، الديوان ٧٩/١ مطلقاً :

بغيرك راعياً عبث الذئاب

وبغيرك صارماً ثلم الضراب

(٨٠) في ع : « اذا ادعت الأوصاف »

(٧٩) في ع : « بمزيتته »

(٨١) في ع : « ورائته » .

لا يحتذى خُلُق القَصِيّ (٨٢) ولا يُرى
متشبهاً في سُودد بغريب
وارى النجابة لا يكون تمامها

لنجيب قوم ليس بابن نجيب
ومن هذا القسم ما ذكرته ، في كتاب يتضمّن عناية بشخص ، قدمته
الزمان ، وهو :

هذا الكتاب واردٌ من يد فلان ، وقد قصد الباب الكريم ، فاراً من الاعداد ،
وهو عدوّه الذي اخذ بكظمه ، واشتق له العدم من معنى اسمه . ولا يعينه على
قتله الا من يسمح له بديّة القتل ، ويرى الكثير من عطائه بعين القليل . وما كلُّ
من شاء استمرت يده بالسماح ، وقد يحجم عنه مَنْ يقدم على مكروه
الصفاح (٨٣) . على انه قد قيل إنّ بين الشيمتين اخاء ، فالسّخاء يكون نجدةً ،
والنجدة تكون سخاءً . ومصدق هذا القول اجتماعها للبد الكريميّة الموليّة ؛
التي الفت لإنجاح الوعد وانجاح الوعيد ، وضمنت ارزاق الناس وارزاق
الحديد . وقالت في الندى : هل من صاد ؟ وفي الوغى : هل من مزيد ؟ ! ،
فالساري الى ابوابها لا يضلُّ به نهج السرى ، وهو مهتد منها على قبس
القراع او قبس القرى . فمن كانت له نار ، فلتكن لهاتين النارين ، او كان
له منار علّاء ، فليكن كهذين المنارين .

وهذا من الكتب المستحسنة في بابها ، التي تزهى باعجابها ، وتناى إلا
عن اربابها .

ومن المعاني التي تضمّنها ، ما هو مأخوذ من شعر ابي الطيّب المتنبي ،
وابي عبادة البحتري ؛ اما ابو الطيّب فقوله :

(٨٢) البيتان من قصيدة يمدح بها اسحاق بن اسماعيل بن نبيخت ، مطلعها :
كم بالكثير من اعتراض كتيب

الديوان : ٢٤٥/١

وفي ن : « لا يحتذى خلق الوصي ... »

(٨٣) في ع : « الصفاح » بفتح الشدة .

هو الشجاع يُعَدُّ البُخْلَ من جُبْنٍ
وهو الجواد ، يُعَدُّ الجبن من بَخَلٍ (٨٤)

واما ابو عبادة البحتري ، فقله (٨٥) :

وما البذل بالشئ الذي يستطيعه
من القوم إلاَّ الأروعُ (٨٦) المتهجمُ
ويُحجِّمُ أحياناً عن الجود بعضُ مَنْ
تراه على مكروهة السيف يُقَدِّمُ

ومن هذا القسم ما ذكرته في الشكر ، وهو فصل من كتاب ؛ وهو :
منحته عنايةً شكرية ، التي تزيد حسناً على كثرة الابتذال ، وتستجدُّ
شباباً على مرور الأيام والليال . وتكثر اسلابها في السَّلم ، ومظنة الأسلاب
القتال .

وهذا مأثور من شعر ابي تمام ؛ في قوله يصف قصيداً (٨٧) من شعره :

خُناها ابنة الفكر المهذب في الدجى
والليلُ اسودُّ رقعة الجلباب

(٨٤) البيت في الديوان ؛ ٣٨/٣ من قصيدة يقولها في سيف الدولة ، مطلعها :

اعلى الممالك ما يبنى على الأسفل

والطلعن عند محييهن كالقفل

والبخل والبخل : لغتان فصيحتان ، وفي الديوان : « قرأ حمزة والكسائي بفتح الباء
والخاء ، وقرأ الباقون بضم الباء وسكون الخاء » .

وللشراح في بيت ابي الطيب الذي اورده ابن الأثير آراء ، ونرى انسبها شرح ابن
جني ، وهو : « يتجنب البخل كما يتجنب الشجاع الجبن ، ويتجنب الجبن كما يتجنب
الكريم البخل ، فهو قد جمع الشجاعة والكرم .

(٨٥) البيتان في الديوان : ١٩٣٠/٣ من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ، مطلعها :

خيال ملسم ام حبيب مسلم

وبرق تجلى أم حريق مضررم ؟!

(٨٦) الأروع : الشهم الذكي

(٨٧) في ن وع : « قصيدة »

بكرًا تورث في الحياة وتنشئ

في السلم ، وهي كثيرة الأسلاب (٨٨)

وكذلك قات ايضاً ؛ وهو فصل من كتاب .

قد بلغ العبد في شكر مولانا كل غاية ، وجاوز كل مدى ، ومع هذا فإنه عجز عن مكافأة اياك لم يعتد عليها منه يدا . وترك الإمتنان يعصف بالشكر عصف الرياح ، ويقول : انا صامت وانت ناطق ، فمن ذا الذي فاز منا بالإفصاح ؟! . وعلى كل حال ، لا يرتفع (٨٩) بالشكر ذكرا ، والبحر اذا جرت مياه الأرض اليه ، فإنه لا يعظم قدرا . وكما انه لا ينقص مال (٩٠) مولانا بالنعمة على عبده ، فكذلك لا يستزيد بشكره (٩١) في طلاوة مجده . وليس له اذا ما يمت به الا ان يقول : قد ملك ولائي رقاً وقلبا ، وصار الظاهر والباطن في يديه طوعاً لا غصبا .

وبعض هذه المعاني مأخوذ من شعر ابي العتاهية ، في قوله :

ولم ار مثنياً اثني على ذي

فعالٍ قط أفصح من فعاله (٩٢)

(٨٨) البيتان من قصيدة يمدح بها مالك بن طوف التغلبي ، مطلعها :

لو ان دهرأ رد رجع جوابي

ار كف من شأويه طول عتابي

والهاء في « خذها » : يعني قصيدته .

و « بكرأ » : يريد القصيدة ، وكأنه جعلها بنتاً له ، فهي تورثه وهي حية لم تمت ؛ اي يأخذ الجائزة عليها من المدوح . وهي تأخذ سلب المدوح : اي ما يخلع ويهب في حال السلم . والسلب ، يكون في الحرب .

(٨٩) في ن وع : « فإنه لا يرتفع »

(٩٠) في ع : « لا ينقص مولانا » بحذف لفظه المال

(٩١) في ن وع : « لا يستزيد بالشكر »

(٩٢) من قصيدة لأبي العتاهية ، في ديوانه ، ص : ٢٦٧ ط بيروت ، مطلعها :

اذا ما المرء صرت الى سؤاله

فما تمطيه اكثر من نواله

ومن هذا القسم ايضاً ما ذكرته في وصف فرس هجين :

فرس له من العربية حسب اصلها ، ومن الكردية نسب جهلها ، فهو بينهما مستنتج لا ينتسب الى الضبي (٩٣) ولا الأعوج (٩٤) . ومن صفاته انه رَحْب اللَّبَّان (٩٥) ، عريض البطن (٩٦) ، سلس العنان ، يتشنى على قدر الكرة والصولجان (٩٧) . قد استوت حالاته بادنأ ومضطماً . فإذا اقبل خيلته مرتفعاً ، واذا ادبر خلته منحدرًا . كأنه في حسنه دمية (٩٨) محراب ، وفي خلقه ذروة خضاب وهو في سباقه (٩٩) ولحاقه مُخَاتَق (١٠٠) بخلق المضممار ، وبدم السَّرب والصَّوار (١٠١) . فهو منسوب الى ذات القوادم (١٠٢) ، وإن كان محسوباً في ذوات القوائم . كأنما تُني لجامه

(٩٣) الضبي : من اسماء الخيل المشهورة ، المعروفة بالنسب . قالوا : « إنه فرس حسان بن حنظلة الطائي . وهو الذي حمل عليه كسرى ابرويز حين انهزم من بهرام جوبين ، يوم النهروان فتجا ... ويروى لحسان بن حنظلة فيه : بذلت له صدر « الضبي » وقد بدت

مسومة من خيل ترك وكابلا »

ص : ٩٥ / انساب الخيل لابن الكلبي .

(٩٤) اعوج : قالوا عنه : « ... عن ابن عباس ان اعوج كان سيد الخيل المشهورة . وانه كان لملك من ملوك كندة ، فغزا بني سليم ... فهزموه . واخذوا الاعوج » ص : ٢١ / انساب الخيل لابن الكلبي

(٩٥) اللبان : الصدر

(٩٦) عريض البطن ؛ البطن : الحزام الذي يجعل تحت بطن الدابة . او رقعة يستر بها بطن الفرس من الذباب .

(٩٧) الصولجان : العصا المعقوفة الرأس ، ومنها « صولجان الملك » . و « الكرة والصولجان » : لعبة معروفة

(٩٨) في ع : « كأنه في حسنه دمية محراب ، وفي خلقه ذروة خضاب » والنص ظاهر التحريف

(٩٩) في ع : « سباقه »

(١٠٠) المخلوق : ضرب من الطيب ، اعظم اجزائه الزعفران . وخلقه : طيبه بالخلوق . وتخلق : تطيب بالخلوق

(١٠١) الصوار : قطيع البقر

(١٠٢) القوادم : الريشات التي في مقدم الجناح ، وهي كبار الريش .

والخوافي : صفاره ؛ وهي تحتها .

يريد : انه من ذات الجناح ، لا من ذات القوائم

على سالفه (١٠٣) عُنَّاب ، وشُدَّ حِزامه على بارقة سحاب .
وبعض هذه المعاني مأخوذ من شعر عبد السلام بن رَغْبَان ؛ المعروف
بديك الجن (١٠٤) ، ومن ابي الطَّيِّب المتنبِّي . أما ديك الجن ، فقلوه :
احمر كالخضاب في صفحة هادي ه من الهاديات مثل الخضاب (١٠٥)
وكأنَّما ارمى الهضاب على حيد
ن وناه بقطعةٍ من هضاب
وكأنَّي رفعتُ بالبرق شِملا
لَا (١٠٦) ولما اطأطها بعُنَّاب
واما ابو الطَّيِّب المتنبِّي فقلوه :
إنْ أدبرتُ ، قلتُ : لا تكيلَ لها
او اقبلتُ ، قلتُ : ما لها كَفَلُ (١٠٧)
وكذلك قوله :

-
- (١٠٣) السالفه : صفحة العنق .
(١٠٤) ذهب الى ان تلقيه بهذا ، كان بسبب قصيدة قالها في ديك عمير ، منها :
دعانا ابو عمرو عمير بن جعفر
على لحم ديك دعوة بعد موعد
ولهم اقوال اخرى فيه . انظر : ج : ٦ وما بعدها من مقدمة ديوانه : بتحقيق الزميلين :
الدكتور احمد مطلوب وعبدالله الجبوري .
(١٠٥) والأبيات غير موجودة في ديوانه المشار اليه
(١٠٦) شلال ؛ جمل او ناقة شلال : سريمة . طأطأ فرسه : نخزها بفخذه وحركها للحضر .
(١٠٧) البيت في الديوان ؛ ٢١٤/٣ من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار ، مطلعها :
أبعد نأى المليحة البخل
في البعد ما لا تكلف الايل
والتاء في « ادبرت » يعود على « جرداء » من الخيل في البيت قبله .
التليل : المتق . والكفل : الردف
يريد : انها حسنة في اقبالها وادبارها

تَشَنَّى عَلَى قَدَرِ الطَّعَانِ كَأَنَّمَا

مفاصلُها تحت الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ (١٠٨)

فانظر ايها المتأمل ، الى هذا الفصل من الكلام المنشور . ووازن بين ما فيه من الألفاظ المُرتَجَلَة ، والألفاظ المُستَخَلَّة ، حتى تعلم ان السيف لحامله لا لصيقَلِه (١٠٩) ، وان ضيف المنزل احق بمنزله .

ومن ذلك ايضاً ، ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمن وصف الخيل والمسير ، فها جاء منه قولي :

ثمَّ نزلنا للاستراحة والهجير قد اخذ في الاستعار ، وقذف بالدرك الأسفل من النار . والحِرباء قد لجأ الى ظلّ المقيّل . وسمح بمفارقة عين الشمس ، وهو بها عين البخيل . فلم يكن الا مقدار وضع الرّجل من الركاب ، ومصافحة الجنب لصفحة الثُّراب ، حتى قيل : قد فجأتكم عصاة (١١٠) من العيث (١١١) ، تشدُّ في جرائها ، وتجنب نفعها (١١٢) من ورائها . وقد قرّطت جيادها (١١٣) بأعنتها ، وطاولت هواذها بأستتها ، فعدت (١١٤) حينئذ بحرّة من الخيل ، تدرك ما كانت طالبةً ، وتفوت ما كانت هاربة . لا تدلُّ من موالة الدعوب وهي عند النزول كمثلاها عند الركوب . فلما استويت على ظهرها عقدت مع الريح عقد الرّهان ، وعرضت عليها حكم الشقراء والميدان . ثمّ قلتُ لها : إن استشعرت مسابقتي فتمدّجت شيئاً قريباً ،

(١٠٨) البيت في الديوان : ٢٧٠/١ وهو من قصيدة يقولها في سيف الدولة ، مطلعها : عواذل ذات الخال في حواسد

وإن ضجيع الخود منى لماجد

المراد : جمع مرود ؛ وهي حديدة تدور في اللجام

(١٠٩) الصيقل : شحاذ السيوف وجلّازها ، والجمع : صياقل وصباقله

(١١٠) في ع : « عصاة »

(١١١) في ع : « من اهل العيث »

(١١٢) النقع : الغبار

(١١٣) في ق : « اجيادها »

(١١٤) في ق : « فعدت »

وتلوتُ قوله تبارك وتعالى : « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ، ليتَّخذ بعضهم بعضاً سُخْرِيًّا » (١١٥) وما كان الا منهية حتى ادركتُ الرواح عند الإظهار ، واستسلمت المدى بالتقريب (١١٦) قبل الإحضار (١١٧) . وجئتُ الفرات فلقمته منها بصدر يُطارِد الأمواج مطاردة الفجاج . وعين لاتروعها هبوات الماء ، كما لاتروعها هبَّوات العجاج . فتلك فرسي التي أعدُّها لكل مخوفة ، وهي حوتٌ في كل معبَرٍ ، وظليمٌ (١١٨) في كل تنوفة (١١٩) .

وبعض هذا الفصل ، مأخوذ من قول (١٢٠) ابي الطيّب المتنبي :

وما بك غير حُبِّك ان تراها
وعِثِرُها لأَرْجُلِها جَنِيبُ (١٢١)
فَقَرَطُها الأَعِنَّةَ راجعات
فإنَّ بِمِدادٍ ما طالبتُ قَريبُ (١٢٢)

ومن ذلك ما ذكرته في وصف الركاب والمسير ، فقلت : سرتُ وتحتي بنتُ قَفْرة ، لا يذهب السرى بِجِماحها ، ولا تستزيد الحادي من مراحها :

- (١١٥) الآية : ٣٢ . سورة : الزخرف
(١١٦) التقريب : ضرب من العدو ؛ وهو دون الحضر (اساس البلاغة)
(١١٧) الإحضار ؛ احضر الفرس : عدا شديداً . وفي اساس البلاغة : « ما سبق في المضامير إلا للجرد المعاضير »
(١١٨) الظليم : الذكر من النعام
(١١٩) التنوفة : الفلاة لا ماء بها ولا انيس (القاموس)
(١٢٠) البيتان في الديوان : ٧٢/١ من قصيدة قالها في سيف الدولة ، وقد تشكى من دمل ، مطلقها :

ايسدري ما أراك من يريب

وهل ترقى الى الفلك الخطوب

(١٢١) تراها : الضمير في تراها ، يعود على الخيل . والعثير : الفبار . والجنيب : المجنوب .

(١٢٢) قرطها الأعنة ؛ يقال : قرط الفارس عنان فرسه : اذا القاه وارخاه الى الأذن ؛ يريد : ارخ لها الأعنة لترجع الى بلاد العدو .

فهي طموح باثناء الزّمام . وإذا سارت بين الآكام ، قيل : هذه أكمة (١٢٣)
من الآكام . ولم تُسمَّ جَسْرَة إلا لأنها تقطع عرض القلا (١٢٤)
كما يقطع الجسر عرض الماء . ولا سُمِّيَتْ حَرْفًا (١٢٥) إلا لأنها جاءت لمعنى
في العزائم ، لا لمعنى في الأفعال والأسماء . وخلفها جَنِيبٌ (١٢٦) من الخيل
يقبل بجزع (١٢٧) ويدبر بصخرة ، وينظر من عين جَحْظَة (١٢٨) ،
ويسمع بأذن جسرة (١٢٩) . وتجري مع الريح الزّعزَع (١٣٠) فيذرهما (١٣١)
وقد ظهر فيها اثر القَتْرَة (١٣٢) . وما قيد خَلْفَها إلا وهو يهتدي بها في
المسالك المَضِلَّة ، ويطلّ على آثارها ، فيرقم وجوه البدور بأشكال الآهليّة .
هذا والليل قد القى جِرانه (١٣٣) فلم يَبْرَح ، والكواكب قد ركبت فيه
فلم تسبح . وانا اودّ لو زاد طوله ، ولم تظهر غُرّة أدْهَمِه ولا حُجُوله ،
فقد قيل : إنه ادنى للبعُد واكتم للأسرار . ودلّ عليه القول التَّبَوِيّ :
بأن الأرض تطوى فيه ما لا تطوى في النهار . ومازلتُ اسير مُرتدياً (١٣٤)
بثوبه حتى كاد ينضسو لون السّواد . وظهر ذَنَب (١٣٥) السّرحان

- (١٢٣) الأكمة : التل ؛ وهي دون الجبال في ارتفاعها
(١٢٤) في المثل السائر ٩٩/١ : « عرض القلاة » ط الحلبي بالقاهرة و ١٥٤/١ طبعة نهضة مصر
(١٢٥) الحرف : الناقة الضامرة أو المهزولة ، أو العظيمة . وناقّة حُرْف : شبيهة بحرف السيف
في هزائها أو مضائها (اساس البلاغة)
(١٢٦) جنيب من الخيل : يمشي في جانب متعقبا
(١٢٧) في ع والمثل السائر ٩٩/١ : « يقبل بجزع » ط الحلبي و ١٥٤/١ نهضة مصر
(١٢٨) عين جحظة : من قولهم : « جحظ اليه » : اي حدد النظر
(١٢٩) في ن وع والمثل السائر : « باذن حشرة » والجسرة : الناقة القوية الجريئة على السفر
(١٣٠) الزعزع : الشديدة . والزعزعة : كل تحريك شديد (القاموس)
(١٣١) في ع : « فتذرهما »
(١٣٢) القترّة : الغبرة
(١٣٣) الجران من البعير : مقدم عنقه ، ويقال : « القى البعير جِرانه » اي برك . وقد استعار
هذا ليل
(١٣٤) في المثل السائر ٩٩/١ ط الحلبي : « ومازلتُ اسير بريدتها تنوء به ... » وهو كذلك
في ١٥٤/١ ط نهضة مصر وفي ع : « مرتدياً بثوبه ينضو لون ... »
(١٣٥) ذنب السرحان : الفجر الكاذب (القاموس)

فأغار على سَرَحِ السَّمَاءِ ، كما يُغِيرُ السَّرْحَانُ (١٣٦) على سَرَحِ النَقَّادِ (١٣٧) .
 فعند ذلك نهلتُ (١٣٨) العين من الكرى نهلة الطائر ، ولم يكن ذلك على
 ظهر الأرض المَطْمِئنة ، وإنما كان على ظهر السائر .
 في هذا الفصل خبرٌ من الأخبار النبوية ، وفيه بعض بيت من شعر
 أبي تمام :

بالشدِّ قَمِيَّاتِ العِتَاقِ كأنما

أشباحُها بين الإِكامِ إِكامُ (١٣٩)

وقد تقدّم القول : بأن من الأبيات الشعرية ، ما يتفنّن ناثره في حلّه
 بضروب من الألفاظ ، والمعنى واحد . وذلك كقولي ؛ مأخوذاً من أبي تمام ،
 وهو :

والشَّوْلُ ما حُلِبَتْ تدفَّقَ رَسْلُها

وتجفُّ دِرَّتُها اذا لم تُحَلَّبِ (١٤٠)

فقلت في حلّ ذلك ، ومثلتُ الخاطِيره ، وهو :

(١٣٦) السرحان : الذئب

(١٣٧) النقاد : جنس من الغنم ، وراعيه : نقاد

(١٣٨) نهلت نهلا : شربت اول الشرب

(١٣٩) البيت في الديوان ؛ ١٥٤/٣ من قصيدة يمدح بها المأمون مطلعها :

دمن ألم بها فقال : سلام

كم حل عقدة صبره الإلمام

والبيت المتمثل به ، برواية اخرى في حاشية الديوان :

بالشدقميات . . . كأنها

ورحالمها . . . »

(١٤٠) البيت في الديوان ١٠٥/١ .

والشول : جمع ناقة « شائلة » : وهي التي قل لبنها بعد سبعة اشهر من الولادة .

والرسل : اللبن .

والبيت من قصيدة يمدح بها عمر بن طوق التنلبي ، مطلعها :

أحسن بأيام العقيق واحبب

والعيش في اطلالهن المعجب

كالضَّرْع إن حلبته طَفَّ ، وإن تركته جَفَّ . ثم قلت غير ذلك ، وهو : إن حلبته سَحَّ ، وإن تركته شَحَّ . ثم قلت : إن مَرَيْتَهُ حَلَب ، وإن تركته نَضَب .

وهذا إنما يكون في بعض الأبيات من الشعر ، دون بعض .
ومما ينتظم في هذا السَّلك ، قولي أيضاً ، مأخوذاً من شعر أبي الطَّيِّب المتنبي :

وكذا اسمُ اغْطِيةِ العيون جُفُونُها
من أنها عمل السُّيُوفِ عواملُ (١٤١)
وهذا المعنى ، وإن كان شريفاً ؛ فإن اللفظ الدالّ عليه مضطرب ، غير مَرْضِيٍّ . وقد حلت هذا البيت المشار إليه ، فقلتُ :
لو لم تكن معاني المسمَّيات مشتركة في اتحاد الالفاظ ، لما شورك بين الجفون ، في اغطية السُّيُوفِ ، واغطية الألحاظ .
وكذلك قلت :

لأريب في أن لحاظ (١٤٢) النواظر ، كمتون البواتر (١٤٣) . وإنما اشتركت جفونهما في الأسماء ، لاشتراكهما في سفك الدماء
ومما يجري هذا المجرى ، ما هو مأخوذ من شعر أبي تمام ، وهو قوله :
الصَّبْرُ كاس ، وبطان الكفِّ عاريةُ
والعقل عارٍ إذا لم يُكْسَ بالنَّشَبِ

(١٤١) البيت في الديوان : ٢٥٢/٣ من قصيدة يمدح بها القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي ، مطلعها :

لَكَ يا منازل في القلوب منازل
أقفرت أنت ومن منك أوائل

(١٤٢) في ع : « في أن يحاط » وهو سهو من الناسخ
(١٤٣) البواتر ؛ جمع باتر : وهو السيف القاطع

وقد حلت ذلك بأنواع (١٤٥) من العبارات ، فقلت :
 أولا : الإكثار من الصبر يجعل الإقلال من المال اكثارا ، والإقتار
 من المال يجعل الإثراء من العقل اقتارا .
 ثم قلت فيه ، ثانياً : عقلُ المرء من خَوَل ماله ، وماله من خَوَل صبره ؛
 فإذا افتقرت يدُه ذهبت بعقله ، وإذا صبرت نفسه ذهبت بفقره .
 ثم قلت فيه ثالثاً : العقل فقيرٌ ، إذا لم تكن اليدُ مكثرة ، والصبر
 مُبْثِرٌ ، وإن كانت اليدُ مُقْتِيرة .
 وحيث عرّفتك لمُعةً ، مما يتسع المجال في حله من الأشعار ، فإنني اعود
 الى ما كنت بصّده . فمما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن هزيمةً ،
 وهو :

فرّوا ، وقد علموا ان العار مقزون بالفرار . ولكنهم رأوا كَلَمَ
 الأعراض اهون من كَلَمَ الأعمار ؛ وتلك نفوس خُذعت بالحياة الذليلة ،
 التي الموت الذُّ منها طعما . وليس الموت إلّا في ان تلاقي النفس (١٤٦)
 ذلاً او تفارق جسما . ولربّما تسلى المهزوم بقول القائل : إن الأُسْد تغلبها
 الأُسود ، وإن الحرب ليست لمضاء العزائم . ، وانما هي لمضاء الجدود .
 وهذا القول مسلاة كاذبة لهمم مكذوبة . ولولا العزائم لم تُر حصون
 مفتوحة ، ولا جموع محسوبة . وبالجد يُدرك الجدُّ . ولولا القدح
 لم يثقب (١٤٨) الزندُ . ولما جىء بأسرى القوم مَنّاً عليهم بإطلاق السراح ،
 وقاتلت عنهم شيمة الصفح ، إذ لم تقاتل عنهم شِيَم الصفاح . وحمية الآباء
 لا تقتل مَنْ لم يحوهِ مَكْرُ الطُّراد ، ولا حمته صَهَوَات (١٤٩) الجياد .
 وأي فرق بين الأسير في عدم الدفاع ، وبين اشباهه من ذوات القناع ؟!

(١٤٥) في ع : « بالوان »

(١٤٦) في ن و ع : « تلاقي ذلا »

(١٤٨) ثقيت النار ثقباً : اتقدت .

(١٤٩) الصهوات : جمع الصهوة : وهي مقعد الفارس من الفرس (القاموس)

وهذه معان شريفة ، قد حازت الجمال بأسره ، وصدرت عن خاطر
يُنْفِق من كثره ، ولا تُخاف عادية عُسْره . ومن احسن ما فيها ، قولي :
« وليس الموت إلّا (١٥٠) ان تلاقي ذُلّا أو تفارق جسما » وقولي ايضاً :
« وقاتلت عنهم شيمة الصفح ، اذ لم تقا تل عنهم شيم الصفاح » واما ماسوى
هذين المعنيين الكريمين ، فمنه ما هو مأخوذ من الشعر ؛ كقول الشاعر ،
وهو من ابيات الحماسة :

وما عن ذلة غلبوا ولكن

كذاك الأسد تغلبها الأسود (١٥١)

وكقول ابي الطيب المتنبي :

ذلّ مَنْ يَغْطِ الذِّلِيلَ بِعَيْشٍ

رَبِّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الْحِمَامُ (١٥٢)

ومما يلتئم بهذا المعنى ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمن وصف
الحرب ، فقلت :

وما زال يُزعج ديار الأعداء بغزواته ، حتى لم يهنّ (١٥٣) حاملة
بإتمامها ، ولا مُتَّعت عينها بلذة منامها . فاسمُ المُقرب من نسا ئهم منسوخ

(١٥٠) في نوع : « الا في ان تلاقي النفس ذلا او تفارق جسماً »

(١٥١) البيت ثانى ابيات يقولها شبل الفزاري . ورواه المرزوقي شارح الحماسة في ص :
٦٨٠ برقم : ٦٢٨ برواية ابن الأثير .

ورواه التبريزي « شبل » بالتصنيير ، وقبله قوله :

أيا لحفي على من كنت ادعو

فيكفيني وساعده الشديد

(١٥٢) البيت في الديوان : ٩٣/٤ من قصيدة يمدح بها احمد بن علي بن احمد المري الخراساني ،
مطلعها :

لا افتخار الا لمن لا ينام

مدرك او محارب لا ينام

(١٥٣) في ع : « لم تهن »

بغارة المُقربات (١٥٤) الجياد ، ولذيذ النوم بأرضهم مسلوب بإيقاظ جفون البيض الحداد . ولقد قصر مدّة اعمارهم ، حتى فقدت سنّ شيخها وسنّ كهلها . وفجأهم بجنود رعبه ، قبل جنوده ؛ فلا يُتلى بينهم من سُور القرآن إلّا آخر فُرقانها وأوّل نحلها (١٥٥) . وكما ذمّت الأعداء سوء صباحه ، فقد ذمّت الخيل مسرى غُدوّه ورواحه . لكنّ النُّسور في شكر دائم من جزر ولائمه ، وما ضرّها فقدُ مخالبا إذا اغتتها (١٥٦) غروب صوارمه . هذا الفصل مرصّع بنفائس الخواطر ، كما يُرصّع العقد بنفائس الجواهر . وهو يشتمل على ضروب (١٥٧) من التجنيس والمطابقة . وسوابق معانيه لا تُجارى ، إذا لُزّت في مضمار المسابقة . وحاشية منه مأخوذة من شعر ابي الطيب المتنبي ، وهو :

تفدى اتمّ الطير عُمرأ سلاحه

نسورُ الملا احدثها والقشاعيرُ

وما ضرّها خلقٌ بغير مخالِب

وقد خُلِقَتْ اسيافُه والقوائِمُ (١٥٨)

ومن هذا القسم ما ذكرته في وصف بعض البلّغاء ، وهو :

(١٥٤) المقرب من النساء ، من قولهم : اقربت الحامل : قربت ولادتها، والمقربات من الجياد ؛ من قولهم : « قرب الفرس تقريبا : وهو دون الحضر . (اساس البلاغة)
(١٥٥) يريد آخر سورة الفرقان : « قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم ، فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً » . واول سورة النحل « اتى امر الله فلا تستعجلوه . سبحانه وتعالى عما يشركون » .

(١٥٦) في ع : « اغتتها عنها »

(١٥٧) في ع : « على ضرب »

(١٥٨) البيتان في الديوان ؛ ٣٧٩/٣ وروايته ، فيه يفدى اتم

من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، مطلعها :

على قدر اهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

والقشاعم : النسور الطويلات العمر . والملا : وجه الأرض

والأحداث : واحدا حدث ؛ وهو الشاب . والقوائِم : جمع قائم ؛ وهو السيف .

إذا ارتجلَ اتى بالمعاني غير مُكرّمة ولا مُخرجة ، وابرزها كوامل
الصُّور غير مُخدجة (١٥٩) . وإن تروى تهافتتُ على توقّد خاطره ،
تهافتَ الفَرّاش ، وجاءته سوانح وبوارح (١٦٠) ، حتى يقول : « تكاثرت
الطبّاء على خَرّاش » فله الحالّتان : ارتجالٌ ورويّةٌ ، وكلّتاها فيه مرثيّةٌ ،
وعنه مرويّةٌ .

وبعضُ هذا مأخوذ من قول الشاعر :

تكاثرت الطبّاء على خراش

فمسا يدري خراش ما يصيد

ومن هذا القسم ما ذكرته في النجوم ؛ وهو فصل من كتاب :

ولقد ترهّمت اهل التنجيم بالتسيير والتقويم ، والحكم على افعال (١٦٢)
العليم الحكيم ، فأخبروا (١٦٣) عن النجوم في سُعودها ونحوسها ، بما
لم تخبره من نفوسها . وقضوا في ترتيب ابراجها ، واختلاف مزاجها ،
وحكموا على حوادث العمر ، من حال وجوده الى عدمه ، في سعادته
وشقائه ، وصحته وسقمه . واشباه ذلك من الزّخارف التي نصبوها حبال
الإكتساب ، على غير ذوي الألباب ، وكلّها اضغاث احلام ، وأوضاع
لا تخرج عن خطّ الأقلام .

وبعض هذا المعنى ، مأخوذ من شعر ابي تمام ، في قوله :

(١٥٩) المخدجة : من الخداج ؛ وهو : القاء الناقة ولدها قبل تمام أيام الحمل .
واخذجت الناقة : جاءت بولد ناقص ، وان كانت أيامه تامة .

(١٦٠) السوانح والبوارح ؛ السنح : اليمن والبركة . وسنح الطيبي سنوحاً : ضد برح . . .
وفي القاموس : « من لي بالسائح بعد البارح » اي بالمبارك بعد الشوم .

(١٦٢) في ع : « والحكم على العليم الحكيم »

(١٦٣) في ن : « فأخبر »

أين الرواية أم أين التجوم وما
صاغوه من زُخرفٍ في القول أو كَذِبٍ
تَخَرُّصاً واحاديثاً مُلَفَّقَةً
ليست بنبع اذا عُدَّتْ ولا غَرَبٍ
وصيروا الأبرج العليا مرتبةً
ما كان مُنْقَلَباً أو غير مُنْقَلَبٍ
يقضون بالأمر عنها وهي غافلة
مادار في فَلَكَ مِنْهَا وفي قُطْبِ (١٦٤)
ومن هذا الاسلوب ، ما ذكرته في ضمن كتاب الى بعض الإخوان ،
انذب فيه عصر الشباب ، وهو :
ولم أَبْلُكْ إلاّ عصر الشباب ، الذي هو في الأعمار بمنزلة الربيع من
الأعوام . وما كنت اعرف كُنْه امره ، حتى مضى فترجّلت (١٦٥) معه الحياة
بسلام . فالأيام فيه غوافل ، والسنون لقرب عهدها مراحل . ولم اقض به
وطراً ، إلاّ اخلفتُ اندى (١٦٦) منه مرتعاً ، واحسن مرأىً ومسمعا .
ايام لا اعاقر خمرة الالمى (١٦٧) . ولا وردة إلاّ خدّاً ولا نقلاً (١٦٨) إلاّ فما .

(١٦٤) الأبيات من قصيدة مشهورة له يمدح بها المعتصم ، في الديوان : ٤٢/١ ، مطلعها :
السيف اصدق انباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

وفي المقدمة : « ان المنجمين حكموا ان المعتصم لا يفتح عيورية ، ... وانها لا تفتح

الا وقت ادراك التين والعنب ... فأبى ان ينصرف عن غزوها .

والتخرص : التكذب وافتراء القول . والنبع : شجر صلب .

والغرب : شجر رخو . يريد : ان هذه الأحاديث غير شيء .

والأبرج : بروج السماء . والفلك : مدار النجوم الذي يضمها .

والقطب : كل ما ثبت فدار عليه شيء (انظر شرح التبريزي للديوان ٥٤/١)

(١٦٥) في ع : « فترجّلت »

(١٦٦) في ع : « اخلفت اترى مرتعاً »

(١٦٧) اللمى : مثلثة اللام : سمة في الشفة . واللمى : البارد الريق

(١٦٨) النقل : ما يتنقل به على الشراب ، (القاموس)

واذا تألّيتُ لم أحلف إلاّ بالقُدود وهيفها ، والجفون ووطفها (١٦٩) ،
وليالي الدوائب وسُدَفِها (١٧٠) ، ووجوه الأقمار التي لاتشان بكَلَفِها .
ولا تُرى في غُرر الشهور ولا في منتصفها . فأصبحتُ الان وبيكر ايامي
عوان ، وغواني الحيّ عنيّ غوان . قد بُدّلت غريب الأحوال بأليفها ،
وعوّضتُ من نضرة الأوراق ببُشّ خريفها . فلا الأوطار عندي بأوطار ،
ولا ليلي بايلي ، ولا النّوار بنّوار .

فعلى الصبّا الآن (١٧١) السلام ولوعةٌ
يُثني عليها الدّمع في مُرْفَضَه
وليُفَنّ تفاح الخدود فلستُ من
تقييله غَزَلًا ولا من غَضَه (١٧٢)

ولطالما كانت الحاجات تطالبني بإنجاحها ، واللذات تلقاني (١٧٣) بسعد
مسائها ، ويؤمن صباحها . وعلى عَقَبِ هذا القول ، فإني اقول : اللهم
غفرا . وقد ينطق المرء بما يكون فيه لسانه آثما ، وفعاله برّا . ولربما شهد
القلم بما لم يسع اليه القدم . ولولا اتباع حكم الفصاحة ، لما ذكرت بانه
ولا علكم (١٧٤) ولا وقف المتغزّل بأقواله موقف التّهم ، فليعلم الأخّ أنّي
عفّ الضمير والنظر ، وليظنّ (١٧٥) بي خيرا ، ولا يسأل عن الخبر .

(١٦٩) الوطف : طول الأهداب

(١٧٠) السدفة ، ويضم : الظلمة . وأسدف الليل : اظلم

(١٧١) في ع : فعل الصبا منى الآن ... »

ولعل الناسخ اراد : « .. منى السلام .. »

(١٧٢) في ن وع : « عضه »

(١٧٣) في ع : « تلقك »

(١٧٤) بانه وعلم :

(١٧٥) في ع : « وليظنن »

في هذا الكلام ، ما هو مأخوذ من الشعر ؛ فمن ذلك قول منصور (١٧٦)
النَّمْرِي :

ما كنتُ أوفي شبابي كُنْهَ غرَّتْهُ
حتى مضى ، فاذا الدنيا له تَبَعُ
ومن ذلك قول ابي الطيّب المتنبي :

ليس القِباب على الرّكاب واتّما
هُنَّ الحِياة ترحّلتْ بسلام (١٧٧)

ومن هذا القسم ما ذكرته في فصل من كتاب ، الى الديوان العزيز
النَّبويّ ، يتضمّن مجادلة خصمٍ للمكتوب عنه ، وهو :

الملك لا يستحقّه وارثه ، وانما يستحقّه كاسبه . والمال لا يحظى
به جامعه ، وانما يحظى به واهبه . فما بال قوم يفخرون بانتقال الملك اليهم
عن الآباء والأجداد ، ولا يفخرون بانتقاله اليهم عن حدّ البيض الحداد ؟
وفرقٌ بين شرف يُراق الدم على جوانبه ، وشرف يراق الأمل على مطالبه .

(١٧٦) منصور النمرى : توفى سنة ١٩٠ هـ . كان تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي . اتصل
بالرشيد ومدحه بقصائد كثيرة ، والبيت هنا من قصيدة له في مدحه ، اولها :

ما تنقضي حيرة مني ولا جزع
اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع

ومنها :

اي امرئ بات من هارون في سخط
فليس بالصلوات الخمس ينتفع

وفي الأغاني : ان الرشيد سمع بيته : « ما كنت أوفى » « فتحرك لذلك ،
ثم قال : احسن والله ، لا يتنهأ أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب » الأغاني : ١٢

١٤٥/١٢

(١٧٧) البيت في الديوان : ٨/٤ من قصيدة قالها في صباه ، مطلعها :

ذكر الصبا ومرايح الآرام جلبت حمامي قبل وقت حمامي

وبعض هذه المعاني مأخوذ من شعر أبي عبادة البحراني وأبي الطيب
المتنبي . اما أبو عبادة ، فقلوه :

وظلّت تحسب ربّ المال مالكة
على الحقوق . وربّ المال واهبه (١٧٨)
واما أبو الطيب ، فقلوه :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدّم (١٧٩)

ومما يجري على هذا النهج ما ذكرته في وصف معركة الحرب ، وهو :

فلا ترى إلاّ بحرّاً من الحديد ، يسير به طوّدٌ من الجياد ، او غاباً من
الوشيج ، تُقلّهُ فرقة من الآساد . فكل فرّق قد أصبح بمواكبها هضبا ،
واذا شاعت الريح ان تمرّ به ، فلا تعبر على القنا الا وثبا . ولما عود الطير من
جزر أعدائه ، فقد تبعته اسرابا ، واستسقى سحابها ما تحته من سحاب
خيله ، فاستسقى سحاب سحابا . ولقد مرّت عليه الشمس فضعت ان
تخرق جناحا ، وان تحمي (١٨٠) بحرّها سلاحا ، فلم تلق بين الريش (١٨١)
فرجة تنثر فيها دراهمها . ولربما خالستها النظر ، اذا هزّت قوادمها .

(١٧٨) البيت في الديوان ؛ ٢٢٦/١ من قصيدة يمدح بها محمد بن بدر ، مطلعها :
عهبي بريمك مانوسا ملاعبه

اشباه ارامه حنا كواعبه

(١٧٩) البيت في الديوان ؛ ١٢٥/٤ من قصيدة يقولها في ابن كيغلف ، مطلعها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم

عرضاً نظرت وخلت اني اسلم

(١٨٠) في ن وع : « او ان تحمي »

(١٨١) في ع : سقطت لفظة « الريش »

وهذا الفصل ، فيه ما هو مأخوذ من شعر ابي الطيّب المتنبي ، فمن ذلك قوله : (١٨٢)

وذي لَجَبٍ لاذو الجناح امامه
بناجٍ ولا الوحشُ المثارُ بسالم
تمرُّ عليه الشمس ، وهي ضعيفةٌ
تطالعه من بين ريش القشاعم (١٨٣)
إذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة
تدور فوق البيض مثل الدراهم

ومن ذلك قوله :

حواليه بحرٌ للتجافيف مائجٌ
يسير به طَوْدٌ من الخيل أيهم (١٨٥)

ومن ذلك قوله :

(١٨٢) الأبيات في الديوان ، ١١٣/٤-١١٤ من قصيدة يمدح بها ابا محمد الحسن بن عبيدالله بن طنج ، مطلعها :

أيا لائمي إن كنت وقت اللوائم
علبت بما بي بين تلك المعالم
(١٨٣) اللجب : الكثير الأصوات في الحرب . ومعنى البيت جملة : ان هذا الجيش قصعبه
الفهود والبزاة والكلاب ، فلا يسلم الطائر منه ولا الوحش .
القشاعم : النسور الكبار ، واحدا : قشعم . يريد : تمر الشمس عليه ضعيفة ، لكثرة
غباره ، وطيره واسلحته .

(١٨٥) البيت في الديوان : ٣٥٦/٣ ، من قصيدة له في سيف الدولة ، مطلعها :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم

أكل فصيح قال شعراً متيم ؟

التجافيف ؛ واحدا التجفاف : ضرب من السلاح تلبسه الرجال والخيل .
والطود : الجبل . الأيهم : الذي لا يهتدى به ؛ يقال : بر أيهم وفلاة يهماء .
جمل كثرة التجافيف حوله بحرأ مانجاً ، وجمل خيله التي تسير بهذه التجافيف طوداً ...
يشير بذلك الى موكب خيله

سارٍ ولا قَقَرٍ في مواكبه

كَأَنَّمَا كُلُّ سَبَسَبٍ جَبَلٌ (١٨٧)

ومن هذا الباب ، ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمن استعطاف بعض الملوك على قرابته ، وهو :

قد أَلِفَ من شيم المولى التي هي شيم الكرم ، وضرائر الدِّيم انه اذا ألين (١٨٨) له غُلِبَ على امره ، وازيلت مغیظة صدره . وهذه خليفته مع البعيد (١٨٩) الذي لا يسمه بلحمة ، ولا يمتُّ إليه بحُرمة ، فما الظن بالقريب الذي فاز بمزية الشركة في عرقه ، وفضل الحوار الذي لاحقَّ أوجب من حقه . فكيف نسى المولى عادة كرمه ، ووضع وجوه قومه تحت قدمه ، وجعلهم حصائد سيفه وقلمه . وحاشاه ان يقطع رَحماً امر الله بوصلها ، ويعضد شجرة اصله الكريم من اصلها . ولعمري انهم اخرجوه عن (١٩٠) معهود خلائقه ، وبدلوا انواء غيوثه بمخيلة صواعقه . ولكن شفَعوا (١٩١) الذنب بالاعتذار ، وعلموا ان خيط ارشيتهم لا يؤثر في كَسَدَ البحار ، وقد قدر (١٩٢) ، والمقدرة تصغر كبار الذنوب ، وتذهب ترات القلوب . فإن نقم منهم ان جمعوا قلّة الآداب ، الى اذلال ذوي الأنساب ؛ فتلك سُنّة سنّها حُكْمُهُ ، وجَبَلَتْهُمْ عليها حِلْمُهُ . وما يتحدث الناس ان الكريم عاد عن عادة

(١٨٧) البيت في الديوان ؛ ٢١٥/٣ ، من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار ، مطلعها :

أبعد نأى المليحة البخل في البعد ما لا تكلف الإبل

سار : صفة للدوح . والسبب : المتسع المستوى من الارض .

يريد : عم القفار والأماكن الخالية بجيوشه ، وشبه السبب بالجبل ؛ لكثافة جيوشه

وارتفاعها بالأسلحة والرماح

(١٨٨) في ع : « اذا لين » بغير الف

(١٨٩) في ع و ن : « مع الذي ... » بحذف لفظة « البعيد »

(١٩٠) في ع : « اخرجوه من معهود »

(١٩١) في ن : « شفَعوه »

(١٩٢) في ن : « وقد قدرُوا ... »

إغضائه أو رجوع في حكم قضائه « وأول راضٍ سُنَّةً مَنْ يسيرها ». فليُسَبِّل المولى عليهم ستر فضله ، وليَجْزِ اساءةَ فعلهم بإحسان فعله ، وليأخذُ بأدب الله وأدب رُسُلِهِ ، في الإِعْرَاضِ عن الجاهل وجهله . ويعلمُ أن قوم المرء كُنَانَتُهُ التي بها يُنَاضِل ، وذِرْوَتُهُ التي بها يُطَاوِل . وإذا لم يحمل ما يريبه من ادانيه رَمَتُهُ اقاصيه . ولا بُدَّ للانسان من طاعة ومعصية ، ومن اجل طاعاته تغفر معاصيه « ان الحسنات يُذْهِبْنَ السيئات » .

وبعدُ ، فإذا شاء المولى ان يقتل حُرّاً ، فليَعَفُفْ عن زكَّله ، فإن اصابة عِرْضِهِ ، اشدُّ من اصابة مَقْتَلِهِ .

في هذا الكتاب معان كثيرة شريفة . وهي في الميزان ثقيلة ، وعلى القلوب خفيفة . ومنها ما اخذ من الشعر ؛ فمن ذلك (١٩٤) ما هو مأخوذ من أبيات الحماسة :

إذا انت لم تعرُك بجنبك بعضَ ما
يُريبُ من الآدنى رَمَتَكَ الْآبَاعِدُ (١٩٥)
ومنها ما هو مأخوذ من شعر ابي تمام ، وهو قوله (١٩٦) :
همُ صَيَّرُوا تِلْكَ الْبُرُوقَ صَوَاعِقًا
عليهم ، وذاك الْعَفْوَ سَوَاطِ عَذَابِ
فإذا كَشَفْتَهُمْ وَجَدْتَ لَدَيْهِمْ
كِرَمَ الْنَفُوسِ ، وَقَالَةَ الْآدَابِ

-
- (١٩٤) في ع : « فمنها ما هو مأخوذ »
(١٩٥) البيت ثانى ابيات من مقطوعة لمحمد بن ابي شحاذ الضبي .
ص ١٢٠٠ من شرح الحماسة للمرزوقي .
يقال : عركت كذا بجنبى : اى احتملته
(١٩٦) البيتان في الديوان ؛ ٧٥/١ من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق التغلبي ، مطلعها :
لو ان دهرآ رد رجع جوابي
او كف من شأويه طول عتاب
يريد : قومك هم الذين تعرضوا لغضبك . وروى الشطر الأخير
ب : « كرم النفوس وكثرة الآداب » د : ٨٤/١

ومنها ما هو مأخوذ من شعر أبي الطيّب المتنبي ، وهو قوله :
وما قتلَ الأحرارَ كالعضو عنهمُ
ومن لك بالحُرِّ الذي يحفظ اليدا (١٩٧)
ومن هذا القسم ، ما ذكرته في خلع الممدوح على مادحه ، وهو : سلب
المدائح أبهج حسناً من الغُصون المكسوة بأوراقها ، والحمايم المتحلّية باطواقها .
فهو عار من اللباس مكسو من المحامد ، التي صاحبها هو الكاس «
وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر بشّار :
سلبته يدُ المدائح ثوباً
فهو كاس من المحامد عمار

ومن هذا الاسلوب ما ذكرته في المودة ، وهو :
خير الودّ ما عطف عليك اختياراً ، لا ما أعدته بالعتاب اقتساراً . فإن
شيمة التبرّع كحسن البداوة غير مجلوب ، والإلحاح في الطلب اتعابٌ لوجه
المطلوب .

وهذا مأخوذ من ابيات الحماسة ، وهو :
ألا إن خير الودّ ودٌ تطوّعتُ
به النفس ، لا ودٌ أتى وهو مُتّعب
ومن شعر أبي الطيّب ، في قوله :
حُسن الحضارة مجلوبٌ بتطّرية
وفي البداوة حسنٌ غيرُ مجلوب (١٩٨)

(١٩٧) البيت في الديوان : ٢٨٨/١ ، من قصيدة يقولها في سيف الدولة ، مطلعها :
لكل امرئ من دهره ما تمودا
وعادات سيف الدولة الطمن في العدا

(١٩٨) في ن : « من المدائح »
من قصيدة له في الديوان ؛ ١٦٨/١ يمدح بها كافور الأخشيدي ، مطلعها :
من الجأذر في زي الأعاريب
حمر الخلى والمطاييا والجلايب ؟

ومن هذا الباب ما ذكرته في الشيب ، وهو :
الشيب بعد جدّة الشباب إخلاق ، وهو على كراهة بقائه مكروه
الفراق . فواهاً (٢٠٠) لنزوله ، وواهاً لرحليه ! وسُحَقاً له بديلاً من
الشباب ، وسُحَقاً لبديله !

وهذا مأخوذ من شعر ابي نواس ، وهو قوله :
الشيبُ كُرْهُ ، وكرهٌ ان يفارقني
أَحْبَبُ بشيء على البغضاء مَوْدود
يمضي الشباب ويأتي بعده بَدَلٌ
والشيب يذهب مفقوداً بمفقود (٢٠١)

ومن هذا الفن ما ذكرته في الهجاء ، وهو :
لم ار له في حظوظ المساعي من قِسم ، كأنه فيها واو عمرو أو الف
بسم . فهو لا يزال منكراً غير معروف ، فإمّا زائدٌ لا حاجة اليه ، وإمّا
محذوف . والسّند (٢٠٢) نبي الشيء لا يكون كالنسيب . وفرق كثير (٢٠٣)
بين انس الأتيس ووحشة الغريب .

وبعضُ هذا مأخوذٌ من شعر ابي عبادة البحرري :
خَلَّ عَنَّا فائِماً انت فينا
واو عمرو او كالحديث المُعَادِ
وقد اتيت بهذا المعنى على وجه آخر ، فقلتُ :
لم ار له في حظوظ المساعي من اثر ، فهو في عدم الحاجة اليه كواو
عمرو ، وفي الإمتناع من الصرف كراء عُمر .

(٢٠٠) في ن : « فأهاً لنزوله وآهاً لرحيله »
(٢٠١) ابيات ابي نواس في الشيب لم اجدها في الديوان
(٢٠٢) السند : الدعوي
(٢٠٣) في ع : « كبير »

ومن هذا الباب ، ما ذكرته في وصف السرّ ، وهو :
السرّ امانةٌ لا تُباع ، ووديعة لا تُضاع . فالعين تكاتم القلب فيها
ما تبصره ، والقلب يكاتم اللسان ما يُضمّره . واذا (٢٠٤) حوُظ على السرّ
كذلك ، فقد القي في مَهْوَاةٍ لا يُرامُ اطلّاعها . ونيط بصخرةٍ اعيا الرّجال
انصداعُها .

وبعض هذا مأخوذٌ من ابيات الحماسة ، وهو :
وفتيانٍ صِدْقٍ لستُ مُطْلِعَ بعضهم
على سرّ بعضٍ غير أني جِماعُها
يظَلّون شتّى في البلاد وسِرُّهم
الى صخرةٍ اعيا الرّجال انصداعُها (٢٠٥)
ومن شعر ابي الطيّب المتنبي :

كأنّي عَصَتُ مُقْلَتِي فيكم
وكا تمت القلبَ ما تُبصر (٢٠٦)

ومن هذا القسم ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمّن قتال قوم ؛
كانوا معنصمين بجبل فزلوا الى الصحراء ، وهُزِموا :
وبعدُ ، فإنّ العساكر ركبت لارتياح مواقف الحرب ، واختيار
المصعد السهل في الجبل دون الصعب ، لتكون على بصيرة من امورها .

(٢٠٤) في ع : « فإذا »
(٢٠٥) البيتان لمسكين الدارمي ، ومسكين لقب له ، واسمه ريبة بن أنيف الدارمي . شاعر
اسلامي هاجى الفرزدق ، ترجمته في الأغاني : ٦٨ - ٧٢
والجماع : اسم لما يجمع به الشيء . انظر شرح المرزوقي للحماسة ، ص : ١١١٦ .
(٢٠٦) البيت في الديوان : ٩٢/٢ من ابيات يقولها في سيف الدولة اولها :
رضاك رضاي الذي اوثر
وسرك سري فما اظهر
يريد كأن عيني حين نظرت اليكم ، سترت ما فيها عن قلبي .

ولتأتي البيوت من ابوابها لا من ظهورها . فانبسطت كتابتها في كلّ منخفض ومنحدر ، وعميت على العدو كثرة عددها فاعتمد في ذلك على مرأى البصر . فحيث نفخ الشيطان في انفه ، وساقه الى حتفه . فبرز فيمن قبله من الجنود ونزل عن قلل الأوعال الى مُصْطَحِر (٢٠٧) الأسود . وقد كان حَزَنُ الخطب في احزانه ، وتباعُدُ مناله في تباعد مكانه ، فلمّا اسهل ، اسهلَ النصر (٢٠٨) في طلبه وامكن يده من سَلَبه . لا جَرَمَ انّهم رُدّوا على لأعقاب ، ونُسِفوا نَسْفَ الرّيح السّحاب (٢٠٩) . فلم يكن لهم من سلاح اوفى من الفرار ، ولا عاصم إلاّ الجبل ؛ الذي إن عصم من طُوفان السيف ، فما عَصَمَ من طوفان العار .

في هذا الفصل (٢١٠) ، ما هو مأخوذ من شعر ابي تمام ، وشعر أبي الطيّب المتنبي . أمّا أبو تمام فقلوه :

لَبِستُ له خُدَعَ الحروب زخارفاً

فرّقن بين المَضْب والأوعال

قد كان حَزَنُ الخطب في أحزانه

فدعاه داعي الحين للإسهال (٢١١)

واما ابو الطيّب ، فقلوه :

(٢٠٧) الأصحر والمصحر : الأسد (القاموس)

(٢٠٨) في ع و ن : « البصر »

(٢٠٩) في ع : « نسق الريح التراب »

(٢١٠) في ع : « في هذا الكلام »

(٢١١) البيتان في الديوان : ١٣٢/٣ من قصيدة يمدح بها المعتصم ، ويذكر فتح الحرمية ، مطلعها :

ألت اسور الشرك شر مآل

واقر بعد تخبط وصيال

يريد أن بابك النخري كان في الجبال فكانت معاقلم ، فلما فارقوها ونزلوا الى السهول ، غلبوا واهلكوا .

فلزّهم الطّراد الى قتالٍ . أحدٌ سلاحهم فيه الفِرارُ (٢١٢).

ومن هذا القسم ، ما ذكرته في جملة رسالة (٢١٣) ، اصف فيها صيد
الفهود فقلت :

وثار (٢١٤). بين ايدينا سِرْبٌ ظِباءٍ مُدَرَّبٌ على القَنَصِ ومقانيصه ،
عارفٍ بغوائله ومخالِصه . قد طُرِقَ مكانه حتى لم يتهنَّ بمزتنه ومشرّعه ،
ولا امن نبوة (٢١٥) مصرعه . وليس منه ما تمتع برؤية اشباهه من الفرقدين (٢١٦)
ولا نسي (٢١٧) الفجيعة بإلفه ، الذي خرَّ للفم ولليدين . فلما احسَّ بنا
طار خيفة (٢١٨) حتفه ، وكاد ان يخلّف (٢١٩) ظلّه من خلفه . فأرسلنا
عليه فهذا سلس الضريبة ، ميمون النقية ، منتسباً الى نجيب من الفهود
ونجبية ، كأنما ينظر من جمرة ويسمع في خَمرة ، ويطأ من كل
برثن على شَقرة . وله اهاب قد حيك من ضِدّين : بياض وسواد ، وصُور

(٢١٢) البيت في الديوان : ١٠٤/٢ من قصيدة يقولها [في] مدح سيف الدولة ، وقد اوقع ببني

تشير وعقيل وبني العجلان وبني كلاب ، مطلعها :

طوال قنأ تطاعنها قصار

وقطرك في ندى ووغى بحار

ولزه الشيبى : الجأ واضطره

(٢١٣) في ن.وع : « رسالة طردية » . وهذا الفصل من رسالة طويلة كتبها الى بعض اصدقائه .

يذكر الصيد بالفهود والبزاة »

انظر هذا في : « ص ١٠٠ - ١٠٣ » من رسائل ابن الأثير - نشرها الاستاذ انيس المقدسي .

(٢١٤) في ع : « وسار » ولا نراه يستقيم

(٢١٥) ولا امن نبوة مصرعة » رسائل ابن الأثير

(٢١٦) الفرقدان : نجمان . والفرقد : ولد البقرة الوحشية وهو المقصود هنا .

(٢١٧) في ن : « ولا على الفجيعة »

(٢١٨) في ع : « طار حتفة » وهو من وهم الناسخ

(٢١٩) في الرسائل : « ان يختلف »

على اشكال العيون (٢٢١) ، فتطَلَّعتْ الى انتزاع الأرواح من الأجساد . وهو يبلغ المدى الأقصى في ادنى وثباته . ويسبق الفريسة فلا يقبضُها (٢٢٢) إلاَّ عند التفاته . وقد علمت الأطباء ان حبالها في حبل (٢٢٣) ذراعه ، وان نفوسها محبوبة بين اضلاعه . فلم يكن الا نبضة عرق او لمحة (٢٢٤) برق ، حتى ادرك عقيلة تلك (٢٢٥) العقائل ، فأناخ عليها ككَلَّكَلَه (٢٢٦) ، ووقف بإزائها ينتظر (٢٢٧) مُرْسِلَه .

وفي هذا الكلام معنى مأخوذ من شعر ابن بابك ، وهو (٢٢٨) :

وَكأنَّ جِلْدَتَه عِيونٌ كُلُّها

بُثَّتْ على الأرواح ، فهي تَطْلَعُ

ومن هذا القسم ، ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمَّن ذكر التاريخ ،

فقلت :

والتاريخ معاد معنوي يعيد الأعصار ، وقد سلفت ، ونُشِرَ (٢٢٩) اهلها

وقد ذهبت آثارهم وعَفَّتْ ، وبه يستفيد عقول التجارب من كان غيرا ،

ويلقى آدمَ وَمَن بعده من الأمم ، وهُلِمَّ جرًّا . . . فهم لديه احياء ،

وقد تَضَمَّنَتْهم بطون القبور .

(٢٢١) شبه بقع جلده بالعيون

(٢٢٢) في ن وع : « فلا يقنصها » وفي الرسائل : « ولا يقنصها »

(٢٢٣) في الرسائل : « في حل »

(٢٢٤) في الرسائل : « او لمحة ومض برق »

(٢٢٥) في ع : « عقيلة من تلك العقائل »

والعقيلة : من كل شيء . اكرمه

(٢٢٦) الكلكل : الصدر

(٢٢٧) في ع : « ينتظر » :

(٢٢٨) ابن بابك : ابو القاسم عبدالصمد بن بابك ، من الشعراء الذين كانوا يقدون على صاحب

ابن عباد ، ترجم له الثعالبي في اليتيمة : ٣٤٣/٣ - ٣٥٠ ، واثني على شعره ،

ورآه يشبه في الجزالة والقصاحة شعر المفلحين من متقدمي الشعراء ، ويشبه في الرشاقة

والملاحة شعر المحدثين والمولدين .

(٢٢٩) في ع : « وتشر »

ولولا التأريخ لجُهِلَتِ الأنساب ، ونُسيتِ الأحساب ، ولم يعلم الإنسان أنَّ أصله من تراب . وكذلك لولاه ماتت (٢٣٠) الدول بموت زعمائها وعمي على الأواخر حال قدمائها ، ولم يُحَظَّ (٢٣١) علماً بما تداولته الأرض من حوادث سمائها . ولمكانة العناية به ، لم يخلُ منه كتاب من كتب الله المتنزلة (٢٣٢) فمنها ما اتى بأخباره المجملة ، ومنها ما اتى بأخباره المفصلة . وقد ورد في التوراة مفرداً في سيفرٍ من (٢٣٣) اسفارها ، وتضمن تفصيل احوال الأمم السالفة ومُدَدَ اعمارها . وقد كانت العرب على جهلها بالقلم وخطه ، والكتاب وضبطه ، تصرف الى التواريخ جُلَّ دواعيها ، وتجعل لها اوفر حظاً من مساعيها ؛ فتستغنى بحفظ قلوبها عن حفظ مكتوبها ، وتعتاض برقم صدورها عن رقم مسطورها . كلُّ ذلك عناية منها بأخبار اوائلها ، وايام فضائلها . وهل الإنسان إلا ما أسَّسه ذكره وبناه ؟! وهل البقاء لصورة لحمه ودمه ، لولا بقاء معناه ؟!

في هذا الكلام شبيء من الشعر ، وهو مأخوذ من ابيات الحماسة :

واذا الفتى لاقى الحِمام وجدَّته

لولا الثناء كَأَنَّهُ لم يُولَدِ (٢٣٤)

ومن هذا القسم ما ذكرته في عيادة مريض ، وهو فصلٌ من كتاب فقلت :

والخادم يعود من شكاة جسمه ، والناس يعودون الخادم من شكاة همِّه . واذا مَرَضَ المولى المنعم ، سرى مرضه الى عبيده وخدمه . فهم مشاركون في اسم مرضه ، وإن خالفوه في صورة أَلَمِه . وقد تمرض ارواح لمرض اجساد ، ويشتركان في كلِّ شبيء ؛ حتى في عيادة العُوداد .

(٢٣٠) في ع : « لولاه لماتت »

(٢٣١) في ع : « لم تحط علماً »

(٢٣٢) في ع : « المنزلة »

(٢٣٣) في ع : « في سفر اسفارها »

(٢٣٤) البيت اول ابيات ثلاثة في الحماسة ص : ١٧٥٦ ، ليزيد الحارثي ، شاعر جاهلي .

وانظر : معجم المرزبانى ؛ ص : ٤٩٤ ، وروايته في الحماسة :

« واذا الفتى رأيت »

وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر ابي تمام ، في قوله :
وإن يَجِدْ عِلَّةً نَعْمُ بها
حتى كأننا نَعَاد من مَرَضِهِ (٢٣٥)

ومن هذا الباب ما ذكرته ، في وصف السير ، وهو :
كم ازعجتُ من عِنان وزِمَام ، وكم ودّعت من بلد بغير سلام . فوطئ
حيث رَحَلُ (٢٣٦) الرِّكَّاب ، واهلي حيث صَحِبتُ من الصَّحَاب .
وهذا مأخوذ ، من ابيات الحماسة (٢٣٧) :

لا يَمْنَعَنَّكَ خَفَضُ العِش في دَعَاة
نُزُوعٌ نَفْسٍ الى أَهْلِ وَاوْطَان (٢٣٨)
تلقى بكلِّ بِلَادٍ إِن حَلَلْتَ بها
اهلاً بأهلاً وجيراناً بجيران

وكذلك قلتُ في وصف السير ، ايضاً :
ولقد سرتُ سير الأَخْبَار ، واخذت بمطالع الليل والنهار ، حتى
عَدِمْتُ رُفْقَةً وَرِيقاً ، وصرت للغرب غرباً ، وللشرق شرقاً .
وهذا مأخوذ من شعر ابي عبادة البحتري :
فأكون طُوراً مَشْرِقاً للمشرق الـ
اقصى ، وطوراً مغرباً للمغرب

(٢٣٥) البيت في الديوان : ٣١٧/٢ وهو من ابيات قالها في احمد بن المعتصم في مرضه ، اولها :

أقلق جفن العينين عن غمضه
وشد هذا الحشا على مضغه

وفي الديوان : « حتى ترانا نعاد ... »

(٢٣٦) في ع : « حيث حل الركاب »

(٢٣٧) البيتان في الحماسة ص : ٢٧٨ بشرح المرزوقي ، الحماسة ٨٢ ورواه « نزاع نفس ... »

(٢٣٨) نزوع نفس : قال المرزوقي : « ... والنزوع اشتهاؤه في الكف عن الشيء » ،
والنزاع في الشوق ، وإن كان جائزاً وقوع احدهما موقع الآخر في الشوق ،
ويقال : ناقة منازع ونزوع . وقد انزعوا : اذا حنت ابلهم »

ومن هذا الباب ، ما ذكرته في مسألة الديار ، وهو :

إذا وقفت بالدار تسائل احجارها ، وتبكي آثارها ؛ فإنَّك لا تبكي
التراب بل الأثراب ، ولا تندب الآثار الخاملة ، بل الأَحباب الزائلة .

وكذلك قلت في هذا المعنى ايضاً ، وهو :

لا فائدة في سلامك على الطَّلَل الذي لا يعي خطابا ، ولا يردُّ جوابا .
فإنَّما تخاطب اصداءً ، لا تملك إعادةً ولا إبداءً . وإذا شغلتَ نفسك بسؤال
التراب والجنـدل ، فلا فرق بين سؤال مَنْ لا يُجيب ، وجواب مَنْ لا يسأل .

وهذان الفصلان فيهما ما هو مأخوذ من شعر ابي تمام ، وهو :

فعليك السلام لا اشرك الأطلـ

للال في لوعتي ، ولا في نحبي (١٤١)

فسواء إجابتي غير داعٍ

ودعائي بالقاع (٢٤٢) غير مُجيب

ومن هذا الباب ، ما ذكرته في ادعية الكتُب ، فمنها هذا الدعاء ، وهو :

وهبه الله عمراً طويلاً ، وبنى له مجدداً اثيلاً (٢٤٣) ، وصوّر وجه ايامه

(٢٤١) البيتان في الديوان ؛ ص : ٣٨ ط بيروت و : ١٢٣/١ بشرح التبريزي . وهما من

قصيدة يمدح بها سليمان بن وهب ، مطلعها :

اي مرعى عين ووادي نسيب

لجنته الأيام في ملحوب

في الديوان ، بالطبعين السابقتين :

« فعليه السلام » وفي ط بيروت : « عبرتي » بدلا من « لوعتي »

(٢٤٢) في ط بيروت : « بالققر » بدلا من « بالقاع »

(٢٤٣) الأثيل : الأصيل او الموروث

جميلا ، ونصب سعيه للشمس والقمر رسيلا ، وحمى بعدله رعية
وبأسه رعيلا (٢٤٤) . واقام جودة عن اخوينه : البحر والسحاب ،
بديلا . ومثل معنى شيمه دقيقاً ، ومحلّ عليائه جليلا . وانطق السيوف
بشكره صليلا (٢٤٥) ، والجياد بمدحه صهيلا . وجعل هام العدى لرماحه
مقيلا ، ووحش الفلا لجيوشه نزيلا .

وبعض هذه المعاني مأخوذ من شعر ابي الطيب المتنبي ، وشعر مسلم بن
الوليد . امّا مسلم بن الوليد ، فقلوه (٢٤٦) :

قومٌ اذا احمرّ الهجيرُ من الوغى
جعلوا الجماجم للرماح مقيلا

واما ابو الطيب ، فقلوه :

نَطَقَتْ بِسُودِ دِرْكِ الْحَمَامِ تَغْنِيًا
وبما تجشّمها الجيادُ صهيلا (٢٤٧)

ومن الأدعية المشار اليها ، دعاء آخر ، وهو :
اعاد الله مجده كما ابداه (٢٤٨) ، وفسح في البقاء عمره ، كما فسح في

(٢٤٤) الرعيل : القطعة المتقدمة من الخيل او الرجال

(٢٤٥) في ع : « ضليلا » وهو من وهم الناسخ

(٢٤٦) البيت من قصيدة في ديوانه ؛ ص : ٥٠ ط ليدن ، مطلقها :

هلا بكيت ظمائنًا وحمولا

ترك الفؤاد فراقهم مخبولا

وفي الديوان : « جعلوا الجماجم للسيوف ... »

(٢٤٧) البيت في الديوان : ٢٤٥/٣ من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار ، مطلقها :

في الخد ان عزم الخليط رحيل

مطر تزيد به الخدود محولا

السودد : السيادة والرفعة

وتجشمت الأمر : تكلفته على مشقة . وعلق العكبري على هذا ، بقوله : « ... وهذا من

ابن الملح » ٢٤٥/٣

(٢٤٨) في ن و ع : « وبداه »

العلياء مداه . ووكّل إحسانه بحادث الدهر ، فلا تمتدّ يده الا كفتّتهما يده .
وجعل له عاقلةً ، فلا يعرج (٢٤٩) جريحاً من الناس إلاّ وداه . ولا زال
واحداً في فضله ، حتى يكون الأفاضل اشباها (٢٥٠) ما عداه .

وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر ابي نواس ، في قوله :

وَكَلَّتْ بِالْدَّهْرِ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةٍ

من جود كفّك تأسو كلما جرحا (٢٥١)

ومن الأدعية ، دعاء آخر ، وهو :

أقرّ الله عيونَ المعالي بإعتلاء مراتبه . واسعده بشرف همه لا بشرف
كواكبه . وجعل صباحه عند كتائبه ، اذا كان صباح غيره عند كواعبه .
ورفع مجده عن اقوال الواصفين ، حتى تكون مدائحها من معاييه ، لا من
مناقبه . واغناه بمكافحة اقلامه عن مكافحة جنوده . وببديهة ارائه عن
روية تجاربه . ولا زال محموداً في السلم بلسان مواهبه ، وفي الحرب بلسان
قراضبه .

في هذا الدعاء ، معنى من قول ابي الطّيب المتنبّي :

اعيدوا صباحي فهو عند الكواعب

وردّوا رُقادي فهو لحظّ الحبايب (٢٥٢)

(٢٤٩) في ع : حتى لا تجرح »

(٢٥٠) في ع : « حتى تكون الأفاضل اشباه »

(٢٥١) البيت في الديوان ؛ ص : ٤٥٦ من ابيات يمدح بها ابا العباس مظهرها :

قد عذب الحب هذا القلب ما صلحا

فلا تمدن ذنباً ان يقال صحا

(٢٥٢) البيت في الديوان : ١٤٧/١ وهو مطلع قصيدة يمدح بها ، طاهر بن الحسين العلوي .

والكواعب : جمع كاعب ، وهي الجارية علا نهدا

وكنّت الثّفت كتاباً في ذكر ادعية مخصوصة ، وضمّنته مائة دعاء ممّا
توضع في الكتب السلطانيات والإخوانيات . وضمّنت على نفسي ، ان اودع
كلّ دعاء منها ، معنى آية من القرآن ، او خبرٍ من الأخبار النبوية ، او
معنى بيت سائر . وكثيراً ما اشتمل الدعاء الواحد منها على هذه المعاني الثلاثة .



القسم الثالث في حل الشعر بغير لفظه

وذلك هو الطبقة العليا ، وهي اخفى لأمره ، فإنه لا يعلم من اين اخذ النثر . وإن عُلِمَ كان في موضع الاستحسان ، لا في موضع الإستهجان . ومن المعلوم أنَّ الآخر لا يستغني عن الإستفادة من الأوّل . وليس هذا لفضيلة اختصّ بها الأوّل ، دون الآخر ؛ بل لأنه سبق زماناً ، فسبق الى استخراج المعاني . واذا جاء الاخر بعده ، واستخرج تلك المعاني ، كما استخرجها ، قيل : « هذا اخذ من ذاك ! » .

وما زال ارباب النثر والنظم ، يتناقلون المعاني مناقلةً ؛ ويتداولونها مُداولةً ، والفضيلة انما تقع في سبك الألفاظ ، وابرازها في حلية رائقة . وخواطر الناس متشاكلة ، في الوقوع على المعاني ، وكثيراً ما يقع للآخر ، كما يقع للأوّل ، من غير وقوف على ما ذكره الأوّل .

وقد جرّبت هذا في معان كثيرة ، فكان يقع لي معنى ثم اجدته (١) بعد ذلك في كلام من تقدّمني . وكثير من الناس يستوعرون الطريق في نقل الكلام من لغة الى لغة اخرى .

وهذا القسم الثالث من حلّ الشعر ، الذي هو نقل المعنى من لفظ الى لفظ آخر ، او عر عندي واضيق مجالاً ؛ وذلك ان نقل الكلام من لغة الى لغة يسهل ؛ بسبب ان الفاظ هذه غير الفاظ هذه ، ولا يحتاج العارف بألفاظ اللغتين ، ان يرتاد الفاظاً مترادفة ، يعبر بها في نقله ، فإنّ اكثر ما يستعمل في الموضع من الألفاظ ، انما هو الألفاظ المترادفة ؛ التي هي

(١) في ع « ثم اخذه » وهو من وهم الناسخ

اسماء كثيرة ، واقعة على مسمى واحد . ثم اذا كان ناقل المعنى من لفظ الى لفظ عارفاً بذلك فيحتاج مع هذه المعرفة الى معرفة اخرى فوقها ؛ وهي اختيار الأحسن الأليق من الألفاظ المترادفة ؛ الذي هو متّصف بأوصاف الفصاحة . وهذا لا يحتاج الى تَطَلُّبه في نقل لغة الى لغة اخرى ؛ فإنّ لهذه الفاظاً ، ولهذه الفاظاً (٢) . فإذا اراد (٣) نقل المعنى من لغة الى لغة عبّر بهذه الألفاظ ، عن هذه الألفاظ ، من غير كبير كلفة .

وبلغني ان محمود بن (٤) سبكتكين ؛ احد الملوك الذين جاءوا على عَقِب الملوك السامانية ؛ كان في خدمته شاعر مُفْلِق من شعراء العجم ، يقال له : « العنصري » وانه حَضَرَ الى خدمته بعض شعراء العرب وافداً ، فراجت سوقه لديه . ونفق عليه حتى اختصه لمناذمته ومجالسته ؛ فأنشده في بعض الأيام بيتين من الشعر ؛ في وصف الخمر . وكان « العنصري » حاضراً ، فسأله الملك عن تفسير البيتين ، فأنشده بيتين بالفارسية ، ارتجالاً ، يتضمنان معنى البيتين . وهذا من الغريب العجيب ؛ لمكان نقل الكلام العربي الى الفارسي ، سواءً بسواء . وهذا لا يقع إلا نادراً .

(٢) في ع سقطت : « ولهذه الفاظاً » الثانية

(٣) في ن : « فإذا اردت »

(٤) محمود بن سبكتكين الغزنوي : هو السلطان يمين الدولة ، ابو القاسم ابن الأمير ناصر الدولة ابي منصور فاتح الهند ، واحد كبار القادة .

امتدت سلطته من اقاصي الهند الى نيسابور ، وكانت عاصمته « غزنة » . وفيها ولادته ووفاته . صمد لقتال ملك الترك بيا وراء النهر ، وجعل دأبه غزو الهند مرة في كل عام فافتتح بلاداً شاسعة .

كان من اعيان الفقهاء ، فصيحاً بليفاً ، استعان بأهل العلم على تأليف كتب كثيرة في فنون مختلفة نسبت اليه ، منها « كتاب التفريد » في فقه الحنفية ، وخطب ورسائل وشعر . انظر : معجم الأعلام للزركلي وابن الأثير : ١٣٩/٩ في الكامل وابن خلكان : ٨٤/٢ وعاش بين ٣٦١ - ٤٢١ هـ

وكننت سافرت الى بلاد الروم سنة ستمائة ، فلما دخلت مدينة مَلْطِيَّة (٦) ،
أخبرت عن خطيبها ، انَّ عنده ادباً وفضلاً ، وانه يقول الشعر ، فقصدت
لقاءه ، فألفيته (٧) كما أخبرت عنه . وعرض عليّ قصيداً من شعره ؛
وهو مائة بيت ، كلّ عشرين منها على لغة ؛ فكان مضمّناً خمس لغات :
العربية والفارسية والتركية (٨) والرومية والأرمنية ، والجميع على وزن
واحد وقافية واحدة ، إلّا انه كان في غير اللغة العربية ابرع منه في اللغة
العربية . وهذا من اغرب ما شاهدته .

ولنرجع الي غرضنا ، ومهمتنا في حلّ الشعر بغير لفظه ، فمن ذلك
ما ذكرته في وصف الكرم ، وهو :

قطعت مواهبه الىّ مدى البلاد ، ولم اقطع اليها مدى . ومدّت يدها
نحوي ، ولم امدد نحوها يدا ؛ فهي المسافرة الى كلّ مقيم ، وطاردة
الإعدام عن كلّ عديم . والكريمة (٩) اذا غدا صوّبُ الغمام ، وهو لثيم .
فشكري لها شكران : شكر على العطاء ، وشكر على التبرّع . ومن احسن
اوصافها ، انها تأتي للصنع لا للتصنيع (١٠) .

وهذا مأخوذٌ من قول ابي الطيّب المتنبي :

وانفسهم مبنولة لوفودهم

واموالهم في دار من لم يَفِدْ وفدُ (١١)

(٦) ملطية : من بلاد الروم ، أشار إليها المتنبي في حروب سيف الدولة معهم .

(٧) في ع : « والفتية »

(٨) في ع : « سقطت » التركية « وهذا سهو من الناسخ

(٩) في ع : « والكريم »

(١٠) في ن : « الصنيع »

(١١) البيت في الديوان : ٧/٢ من قصيدة يمدح بها الحسين بن علي الهمداني ، مطلعها :

لقد حازني وجد بسن حازه بعد

فياليتني بعد ويا ليتني وجد

الا انني غيرت هذه الألفاظ ، ونقلتها الى صورة اخرى ، مع ما
اضفته الى المعنى من الزيادات . وهذا ضرب من الكيمياء ، الذي تقدم ذكره .

ومما ينتظم بهذا المعنى ؛ قولي ايضاً ، وهو :

مَنْ يسأله غير درجات المعالي ، فقد قدح في مواهبه ، وخطاً من
مراتبه . لكن الهبة على قدر الموهوب . ومطلب الناس هو هذا الأدنى
من المطلوب . فمن كان ذا فخر يبذل ماله ، الذي هو عَرَضٌ " يذهب ، وعارضٌ "
ينضب ، وقد جعل حادث هلاكه في ضمن امساكه ، فلم يكن المولى بذلك
فاخيراً ، ولا له ذاكرة .

وهذا المعنى مُستمدٌ من شعر ابي عبادة البحرى :

واذا اجتداه المجتدون فإنّه

يهب العلى في ماله الموهوب (١٢)

غير ان الذي ذكرته فيه من الزيادة ، ما لا خفاء به . واما فضيلته على الشعر
وحسنه ، فسكوتي عن وصفه بيان ، وسيترى لإحسانه احسان .

وقد اوردت هذا المعنى على اسلوب آخر ، فقلت :

ولقد قصد منه كريماً ، لم تزل معاهد اكنافه معهوده ، ومن شيمة (١٣)
مواهبه ، الا تكون قاصدة قبل ان تكون مقصودة . فلو حلف سائله :
انه يصفاح السحاب لبراً في يمينه بمصافحة يمينه . وليس هذا من المجاز
الذي يُتوسّع في مقاله ، بل هو من حقيقة القياس ، الذي يحمل على
اشباهه وامثاله . وبيعض هذا تتم السيادة ، وتكمل العليا ، حتى لا زيادة .

(٢١) البيت في الديوان : ٢٤٥/١ من قصيدة يمدح بها اسحاق بن اساعيل بن نوبخت ،
مطلما :

كسم بالكثيب ممن اعتراض كثيب

وقوام غصن في الثياب رطيب

واجتداه : سأله المطاء

(١٣) في ع : « ومن شيم »

ولقد اغنى بيته ، وهو اول بيت وُضع للجود وزخرف بالعطايا البيض في المطالب السود ، عماً ابتنته اوائله ، وسنته فضائله .

وهذا المعنى مأخوذ من شعر ابي تمام ، وشعر ابي عبادَة البحتري :
اما ابو تمام ، فقوله (١٤) :

يرى اقبح الأشياء اوبةً آمِل
كسّته يدُ المأمول حُلّة خائب

واحسن من نور تفتحه الصبّا (١٥)

بياضُ العطايا في سواد المواهب

وامّا ابو عبادَة البحتري فقوله (١٦) :

اغنى جماعة طييء عماً ابتنت

آباؤها الكرّماء (١٧) للأبناء

فلذا هم فخرّوا به لم ينجحوا (١٨)

بقديم ما ورثوا من العتياء

ومن هذا الباب ما ذكرته في وصف الرّماح ، وحاملها ؛ وهو :

وبأيديهم كلُّ لدن شدته في لينه ، وتمكّنُ النصر منوط بتمكينه .

فما منهم الاّ من اعتقل (١٩) ما يماثله قدّا ، ويناسبه حدّا . فإذا مثلتُ

(١٤) البيتان في الديوان : ٢٠٥/١ من قصيدة يمدح بها ابا القاسم بن عيسى المعجلي ، مطلعها :

على مثلها من اربح وملاعب

تذال مصونات الدموع السواكب

وبياض العطايا : يريد سرورها

(١٥) من روايات الديوان : « يفتحه الندى »

(١٦) البيتان في الديوان : ٨/١ من قصيدة له مطلعها :

زعم الغراب منبىء الأبناء

ان الأجرة آذّنوا بتناء

(١٧) في الديوان : « آباؤها القدما »

(١٨) في الديوان اختار الرواية : « لم ينجحوا ... » وفسرها بالحاشية ، ب : « لم

يفرحوا »

(١٩) في ن : « اعتقل بما يماثله »

شُكُولها وشكولهم ، قيل : صعاد في ايدي صعاد (٢٠) . واذا مُثِّلَ غناؤها وغناؤهم ، قيل : اساوِدُ (٢١) في ايدي آساد . ومن صفاتها انها لا تُنشد الا اذا كانت قصائد ولا تجود (٢٢) إلا اذا كانت قواصد . قد ادبَّها الثِّقاف من عهد فطامها وكانت منابت الترب من شرابها ، فأصبحت منابت التراب (٢٣) من طعامها . فهذه هي الرماح التي تعتقلها (٢٤) ايدي الأبطال وتأوى منها الى معاقل (٢٥) بذلك الإعتقال .

بعض هذه المعاني مأخوذ من شعر ابى الطيب المتنبي :

قلوبهم في مضاء ما امتشقوا

قاماتهم في تمام ما اعتقلوا (٢٦)

واذا انصف الواقف على هذا الفصل (٢٧) ، مال من الطرب ، وعلم ان في الخمر معنى ليس في العنب ، وقال : ليس القلم بقلم في يد كل من كتب .

ومن هذا القسم ، ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمن هزيمة ،

(٢٠) « صعاد في ايدي صعاد » الصعدة : القناة المستوية . يريد أنهم طوال ، والعرب تمدح بالطول .

(٢١) « اساوِد في ايدي آساد » الاساود : جمع الاسود : الحية العظيمة .

(٢٢) في ع : « و لا تجوز »

(٢٣) في ع : « منابت التراب » وهو من سهو الناسخ . والترائب : عظام الصدر

(٢٤) تعتقلها ؛ من قولهم : اعتقل الرمح : وضعه بين ركابه وساقه

(٢٥) المعازل : جمع معقل ؛ وهو الملجأ

(٢٦) البيت في الديوان : ٢١٦/٣ من قصيدة يقولها في بدر بن عمار ، مطلعها :

ابعد نأي المليحة البخل

في البعد مالا تكلف الإبل

وامتشق : اقتل من المشق ؛ وهو ان يسل السيف بسرعة .

والاعتقال : ان تجعل الرمح بين الساق والركاب .

يريد : ان قلوبهم في مضاء سيوفهم ، وقودهم في طول رماحهم .

(٢٧) في ن : « الوصف »

وهو : مَنَّا عليهم من الآسلا ب بالبيض القواطع ، ليجعلوا حلِّيها اساور
في ايدي البيض ذوات البراقع . وحلية السيف لاتحسن الا في كف يكون به
ضارباً ، لا له حاملاً . واذا عَطِّل في مواقف الجلاد ، فالأولى له : ان
يُجعل عاطلاً .

وهذا المعنى ، ينظر الى قول ابي العتاهية ، وهو :

فَصُغَ ما كُنْتَ حَلِيَّ سَتَ به سيفك خَلْخالا
فما تصنع بالسيب ف اذا لم تك قتالا ؟! (٢٨)

ومن هذا القسم ما ذكرته في كتاب يتضمن تعزية وتهنئة لملك ،
قام (٢٩) في الملك ، بعد موت ابيه ، وهو :

ولقد تعقبت الأيام نقصها بإتمامها ، ونقصها بإبرامها ، ونُسيي نعي
ميثها يبشرى حيَّها . ونُشِرت المكارم التي كانت طُويت ، فوفى اُنس
نشرها بوحشة طيَّها . واصبح عزاء الناس مستدركا بالهناء . وعوضوا
من كثر العناء بكثر الغناء ، حتى استرجعت العبرات ما جادت به سحاب
مُزْنها ، واستبدلت بردَ مَسَرَّتْها من حرارة حُزْنها .

وبعض هذه المعاني ، مأخوذ (٣٠) من شعر الشريف الرضي ، في قوله :

تمضي العلى والى ذراكم ترجع
شمس تغيب لكم واخرى تطلع

(٢٨) قال الصولي : « تهدد عبدالله بن معن بن زائدة ابا العتاهية ، وخوفه ، فهجاه بمقطوعة
منها هذان البيتان ، اولها :

الاقبل لابن معن ذا الـ لذي في السود قد حالا
الديوان ؛ ص : ٣٨٠ ط : دار بيروت - صادر

(٢٩) في ع : « اقام في الملك »

(٣٠) في ع : « مأخوذة »

بؤسى ونُعْمَى اعْقِبْتُ فكَأْتَمَا
رُدَّتْ عَلَى أَعْقَابِيهِنَّ الْأَدْمُعُ (٣١)

وفي الذي ذكرته من الزيادة ، مالا خفاء به . وهو باب نقل المعاني
الذي هو الكيمياء ، وقد تقدّم ذكره .

ومن هذا الباب ما ذكرته في العفو والصفح ، وهو :

تدافعه الأعداء عن نفوسها ، بجُهد قِراعها ، فإذا اسيرت حاطها
حِلْمُهُ (٣٢) بما لم تُحِيطه قوّة دفاعها . فلها من تغمُّده (٣٣) عند الإذعان
انصار . والكريم يلقي عداته في الحرب ، بالإقدام وعند السلم بالفرار .

وهذا المعنى مختلس ، من قول مسلم بن الوليد :

يغدو عَدُوّك خائفاً فإذا رأى

ان قد قدرّت على العقاب رجاً (٣٤)

ومما ينتظم بهذا المعنى ما ذكرته في فصل من كتاب ، وهو :

إذا حكمت قُدْرَتُهُ عَلَى (٣٥) الذنوب ، كان العفو لها عايقاً ، وإذا
أحبّ الشفعاء ان يشفعوا اليه ، كان كرمه لهم سابقاً . فقد ايس الشافع (٣٦)
من اجرٍ له يدّخره ، كما امن المذنب لديه من عقاب يزجره .

(٣١) البيت الاول مطلع قصيدة قالها ، وكتب بها الى حضرة الملك الأجل ، ابي شجاع فناخسرو
ابن قوام الدين ، وقد عقد له بأرجان بعد ابيه و ذلك في جمادى الآخرة سنة ٤٠٣ ،
والبيت الثاني هو العاشر في القصيدة نفسها ، الديوان : ٦٠٣/١ طبعة صادر ببيروت .

(٣٢) في ع : « حكمه »

(٣٣) في ع : « من تغمده »

(٣٤) البيت ثالث ابيات ثلاثة ، في ديوانه ؛ ص : ٣٣١ قالها في مدح الرشيد ، اولها :

بأبي وامي انت ما اندى يدأ

وابر ميثاقا وما ازكاكا

شرح ديوان صريع الغواني بتحقيق الدكتور سامي الدهان

(٣٥) في ع و ن : « في الذنوب »

(٣٦) في ع : « ايس الشافع عنده من .. »

ولقد صَغُرَ قَدْرَ الإنتقامِ حتى صَغُرَ به كبير الذنب . ومحا اثر الغضب من وجهه ، وهو في الوجه كالصَّدَأِ في متن العَضْب . فلا بارقة من بوارقه ، إلاّ وهي مَغْشِيَّةٌ بِغَمَامَةٍ حِلْمِهِ ، ولا بادرة من بواده إلاّ وهي محبوسةٌ في قبضة كظْمِهِ . وعلى هذا فإن الجاني غير مُفْتَقِرٍ لديه الى اقامة الأعذار ، ولا الى التوبة التي تستر عَوْرَةَ الإصرار (٣٧) . ويوشك ان يتخلّق بخلق الله — سبحانه — في عموم المغفرة . ورأى الاّ اثر يبقى في صدر المَغِيْظِ ، اذا تولّت إذهابه يدُ المقدرة (٣٨) .

هذا الفصل ، فصلٌ من القول ، وله على غيره بسطة الطول (٣٩) ، وهو شبيه بخمر الجنة التي لا فيها غَوْلٌ (٤٠) . وقد ابرزته في هذه الصورة ، التي الفاظها معان . واذا قيس اليها غيرها ، قيل : النثر والنظم يسجدان ! وبعض ما تضمّنه هذا القول (٤١) ، مستمدٌ من شعر ابي تمام في قوله :

اذا سيفه اضحى على الهام حاكماً

غدا العفوُ منه وهو في السيف حاكم (٤٢)

والأحسن منه استفاد من كتاب الله تعالى ؛ في سورة حم عسق والذين اذا ما غضبوا هم يغفرون (٤٣) .

ومن هذا القسم ما ذكرته ، في فصل يتضمّن ذكر السعادة ، وهو :
الجدُّ لا يفتقر الى فضيلة تستوجبهُ ، والا الى سعى يستجلبهُ ، ولذلك

(٣٧) في ع : « الأحرار » (٣٨) في ع : « يد القدرة »

(٣٩) الطول : الفضل والسعة

(٤٠) الغول : الصداق والسكر

(٤١) في ن و ع : « الفصل »

(٤٢) البيت في الديوان ؛ ١٧٦/٣ من ابیات يمدح بها احمد بن ابي دؤاد ، اولها :

الم يأن أن تروى الظماء الحوائم

وان ينظم الشمّل المشتت ناظم

(٤٣) الآية ٣٦ في سورة الشوى « وإذا ما غضبوا ... » .

قيل : قيراطٌ من سعادة خيرٌ من قنطار من سيادة . وهي شبيهة بالحُبِّ ؛
في انه لا يفتقر الى زيادة (٤٣) اوصاف الجمال ، من نطق النطاق ،
وخرّس الخلخال وانتظام لؤلؤ الثغر في العذب الزُّلال ، واهتزاز غصون
القدود في كثران الرمال . بل هو نائبٌ عن هذا كُلِّه ، ولو تنهى المحبوب
في قبح شكله . وسريرة المحبة مكنونة ، وفِطنتُها بيلكه المسوى مغبونة .

وبعض هذا المعنى يتسوّر على قول (٤٤) ابي تمام ، من بعد :

ينال الفتى من دهره (٤٥) وهو جاهل

ويُكدي الفتى في دهره وهو عالم

ولو كانت الأرزاق (٤٦) تجري على الحجي

إذاً هلكتُ من جهلهنَّ البهائم (٤٧)

فانظر ايها المتأمل الى هذين البيتين ، والى الفصل من الكلام المنشور ودقق
النظر حتى تعلم ان بينهما بوئاً . وترى لهذا لوناً وهذا لوناً .

ومن هذا القسم ما ذكرته ، في وصف الخمر ، وهو :

خمرة سُقيتْ مغارِسُها بالسُرور بدلاً من الماء ، وجُمع لها بين وصفين
من تذكير الأفعال ، وتأنيث الأسماء . وما سُجِنَتْ في دَنِّها إلا لما عندها
من النِّفار . وكانت حمراء اللون فألبسها السجن (٤٨) ثوب الصُّفار . وقد

(٤٣) في ع : « لا يفتقر الى اوصاف الجمال »

(٤٤) البيتان في ديوانه ؛ ص : ٢٥٤ ط بيروت و ١٧٦/٣ بشرح التبريزي له ، وهو من القصيدة السابقة .

(٤٥) « من عيشه » بشرح التبريزي

(٤٦) « ولو كانت الأقسام » ط بيروت

(٤٧) في التبريزي : « هلكن اذاً من جهلهن البهائم »

(٤٨) في ن وع : « طول السجن »

شُبِّهَتْ بالنار الموسويّة (٤٩) في تألّق ضرامها ، وبالنار الخليليّة (٥٠) في تغمّد (٥١) بردها وسلامها . فإذا نُظِرَ اليها والى زُجَاجها ، اشكل الأمر بينها وبين الزجاج ، وقيل : هذه سراجٌ في كأسٍ أم كأس في سراج ؟ . في هذا الفصل معان حسنة ؛ فمن جملتها ، قولي : « إن أفعالها مذكّرة » ، واسماؤها (٥٢) مؤنّثة « اي انّ فعل اسكارها قويٌّ شديد ، واسماؤها جميعها — على اختلافها — مؤنّثة » ؛ كالخمر والراح والمُدام وغير ذلك . . . ومن جملتها : « انّ السجن البسها (٥٣) ثوب الصّفار » ؛ فإن المسجون يشحّب (٥٤) لونّه ويصفّر . ومن جملتها : « انها شُبِّهَتْ بالنار الموسويّة ، وبالنار الخليليّة »

وامّا المأخوذ من الشعر ، فهو :

لست أدري من رقعةٍ وصفاءٍ

هي في كأسها أم الكأس فيها ؟!

فأخذتُ هذا المعنى من هذا البيت ، وغيّرتُ اللفظ الى غيره .

ومن هذا القسم ما ذكرته في الشيب ، وهو :

وقد نَعَمْتُ قوم في وصف المشيب ، حتى سمّوا صاحبه وقورا ، وما

أراه الافترة حدثت لحركة الشباب ، فكان الوقار فيها فتورا ، وعلى هذا ،

فكلُّ ساكن وقور ، واشبهنا بذلك اصحاب القبور .

وهذا المعنى مستلٌّ من حشاشة قول أبي تمام :

(٤٩) النار الموسوية : يشير بها الى قوله تعالى : « فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله ،

آنس من جانب الطور نارا . قال لأهله امكثوا إني آنست نارا ، لعلّي آتيكم منها بخبر

او جذوة من النار لعلكم تصطلون » سورة القصص ؛ الآية : ٢٨

والى قوله تعالى : « وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني

آنست نارا لعلّي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى » سورة طه ، الآية : ١٠

(٥٠) النار الخليلية : يشير الى قوله تعالى : « قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم

، وارادوا به كيّدا فجعلناهم الاخسرين » سورة الانبياء ، الآية : ٦٨ ، ٦٩

(٥١) في ن وع سقطت لفظة : « تغمّد »

(٥٢) في ع : سقط الكلام من « واسماؤها الاولى الى جميعها » .

(٥٣) في ن وع : « اورثها » بدلا من البسها (٥٤) في ن : « يتغير »

دقة في الحياة تُدعى جلالاً

مثل ما سُمِّي اللّدين سكيما (٥٦)

ومن هذا القسم ، ما ذكرته في تهذيب النفس ، وهو :

النفوس تؤثر الخير تكلّفاً ، والشرّ طبعاً ، وهي على حبّ الشهوات قلباً
ولساناً وبصراً وسمعاً . وما كان في اصل الخلقه فإن نقله خلقاً ثان ، وهل
في الممكن ان يُهدَم ما الطبع له بان ؟ ! . إلا ان للتدريج أثراً في تقويم
الإعوجاج ، واصطناع احجار الياقوت من الزجاج ؛ ولهذا استخرج من اوراق
الشجر وشايع الديباج . فلا تيأس من اصلاح نفسك ، وإن اعياك فسادها ،
وإلانة عريكتها ، وإن عصاك قيادها ، وكثيراً ما رأينا صعباً ، صار مُسمعاً ،
ومفسداً عاد مصلحاً .

وهذا المعنى ينظر الى قول (٥٧) ابي تمام :

لا تُذيلنّ صغيرَ همّك وانظره

كم بذى الأثل دوحه من قضيب (٥٨)

(٥٦) البيت في الديوان : ٢٢٢/٣ من قصيدة يمدح بها ابا سعيد ، مطلعها :

ان عهداً لو تعلمان ذميما

ان تناما عن ليلتي او تنيما

يقول عن الشيب - وقد مر حديثه عنه في الأبيات السابقة ، يقول : الشيب دقة ، والناس

يسمونه : « جلا لا » ؛ فيجلون الشيخ بقولهم لا بفعلهم . شرح التبريزي : ٢٢٤/٣

(٥٧) البيت في الديوان : ١٢٠/١ من قصيدة يمدح بها سليمان بن وهب

(٥٨) الهم : هنا يحتمل ان يكون من الهمة ، ويحتمل ان يكون واحد الهوم التي هي الأحزان .

الأثل : شجر معروف يعظم ، ثم كثر حتى سميت كل شجرة عظيمة اثله .

والدوحة : الشجرة العظيمة

ولا تذيلن : لا تهمل نظرك فيه .

وهو والذي قبله ، وما يأتي بعده ، من باب الكيمياء ، الذي هو نقل الأعيان .

ومن هذا الاسلوب ما ذكرته في الشكر والثناء ، وهو :

إذا افضتُ في الثناء عليه تنافس النظم والنثر في الاستقلال بأوصافه ، وما منهما إلاّ من فضّ ختام طيبه ، ونشر مطاوي افوافه . غير أنّ سماء مجده ، لم ترض إلاّ بالكواكب وشهرتها ؛ فلذلك قلّدت عقود نظمي بجوّزائهما ، وفرائد نثري بنثرتها . فما يرى بكلمي من حسن ، فليس لها مخلوقا بل من اوصاف سيّدنا مسروقا . والأشياء تُقاس على اشباهها ، وانظارها ، ونور القمر مُستمدّ من الشمس وانوارها .

وهذا المعنى ينظر الى قول (٥٩) ابي تمام ، وهو :

إذا القصائد كانت من مدائحهم

يوماً فأنت لعمرى من مدائحها (٦٠)

ومن هذا القسم ما ذكرته ، في وصف الجود ، وهو :

المال يكون في خزائن اربابه صامتاً ، فإذا اخرج في العطايا صار ناطقا . فيأقبّحه في ايديهم حبيساً ، ويأحسّنه عنهم آبقاً ، (٦١) ولم يُسمع قبله بآبقٍ أفاد صاحبه حمداً ، وبنى له مجداً ، وقال له : كنتُ عندك حرّاً ، وقد صرتُ الآن عبداً .

وهذه المعاني غريبة لم اسمعها ، إلاّ أنّ حاشية منها تُسارق النظر الى بيت من الشعر لأبي الطيّب المتنبي ، وهو :

(٥٩) البيت في الديوان : ٣٤٦/١ من قصيدة يمدح بها الفضل بن صالح الهاشمي ، مطلعها :

أهد الدروع الى دار وماصحها

فللمنازل سهم من سوافحها

(٦٠) في ع : « إذا الفضائل »

(٦١) الآبق : من ابقى العبد ابقا و ابقا ؛ ذهب بلا خوف

يا أيُّها المُحسن المشكورُ من جهتي

والشكرُ من قِبَل الإحسان ، لا قِبَلِي (٦٣)

وهذا نظرٌ من خصائص الستور ، وما أقول : إنه مُغامزةٌ بلحظ
العيون ، بل مناجاةٌ بوحى الصدور .

ومما يلتزم بهذا الفصل ايضاً ، قولي ؛ وهو :

جود مولانا قد هوّن على الناس مشقّة الاغتراب ، وأراحهم من نعيم
الإنعام ما حبّب اليهم فراق الأحباب . فما متهم الا مَنْ يَحْمَدُ خطوب
الأيام ، التي اخرجته من دياره ، ونقلته عمّا لم يؤثر الإنتقال عنه الى
ما الفتة (٦٤) من اثاره . فمثال بابّه الكريم لقتلى الأيام ، كمثل الجنة لقتلى
الحمام . فلو علم داخل الجنة انها تكون له مصيراً ، لاستعذب كأس الحمام
ولإن كان مريراً .

بعض هذا المعنى مُستمدّ من شعر ابن الخياط (٦٥) الدمشقي ، في قوله :

لأشكرنّ زماناً كان حادثه

وصرفه بي الى معروفكم سيبا (٦٦)

(٦٣) البيت في الديوان : ٨٥/٣ من قصيدة يمدح بها سيف النولة ، مطلعها :

اجاب دمعي ، وما الداعي سوى طلل

دعا قلباه قبل الركب والابل

وتفسيره في العكبري : « يا ايها المحسن بطعمه ، المشكور من جهتي بما حملني من
فضله ، فالشكر من قبل احسانه ورفده لا من قبلي فيما اهديه من مدح »

(٦٤) في ع : « لقيه »

(٦٥) ابن الخياط الدمشقي : عاش بين ٤٥٠ - ٥١٧ هـ . ولد ومات بدمشق وطوف مسافراً
في البلدان . وكان أبوه خياطاً فاشتهر بالنسبة اليه . وعرف بابن الخياط الكاتب قبل ان
يشتهر بالشعر ، كان تلميذاً وصاحباً للأمير ابن حيوس الشاعر . وحين سمع شعره هذا ،
قال : قد نماني هذا الشاب الى نفسي ، فقلنا نشأ ذو صناعة ومهر فيها الا كان دليلاً على
موت الشيخ من إبناء جنسه »

(٦٦) البيت في الديوان ، ص : ٧٠ بتحقيق خليل مردم بك . وهو من قصيدة طويلة يمدح بها

القاضي فخر الدين ابا علي عمار بن محمد بن عمار ، مطلعها :

اعطى الشباب من الآراب ما طلبا

وراح يختال في ثوبي هوى وصبا

إلا أن في هذا (٦٧) الذي ذكرته ، من تمثيل قتلى الأيام بقتلى الحمام ،
ودخول الجنة بالإنهاء الى باب الكريم (٦٨) ، معنى غريب لم اسبق اليه
فيما علمته ، وهو من المعاني اللطيفة .

ومما يجري هذا المجرى ، ما ذكرته في فصل كتاب ، وهو : اذا
حكمت سيوفنا في اموال العدى ، حكمت فيها وسائل الندى ؛ فهي
طالبة مطلوبة (٦٩) ، وسالبة مسلوبة . إلا انها تأخذ ما تأخذه اقتسارا ،
وتعطي ما تعطيه اختيارا . فلها بسطة الغالب ومينة الواهب . وشرف العلياء لا
يزدان الا بهاتين الوسامتين ، ولا يبنى إلا على هاتين الدعامتين .

وبعض هذا المعنى ينظر الى قول ابي تمام ؛ حبيب بن أوس الطائي :

اذا ما اغاروا فاحتووا مال معشر

اغارت عليهم فاحتوتها الصنائع (٧٠)

واعلم ان من هذا القسم الذي نحن بصدد ذكره ، ضربا يقال له :
توليد (٧١) المعاني ، وهو اخص بأن يسمّى بالكيمياء ، الذي يبدل
صور (٧٢) الأعيان ويبرزها في عدة من الألوان ؛ فتارة يخرج منها لؤلؤا ،
وتارة ياقوتا ، وتارة ذهباً ، وتارة فضة . وهذا هو اشرف الدرجات في
حل المنظوم . ولا يكاد يُفطن لمكان الأخذ منه ، بل يُظن ان النثر هو
المفرد بصوغ تلك المعاني . غير ان الطريق الى ذلك كثير الإشكال ، دقيق
المسلك ، لا يستطيعه إلا من اقدره الله على سلوك مضايقه ، وثبت قدمه
في مزالقه .

(٦٧) في ع : « في الذي ذكرته »

(٦٨) في ن : « الى باب الكريم »

(٦٩) في ن : « فهي طالبة ومطلوبة ، وسالبة ومسلوبة »

(٧٠) البيت في الديوان : ٥٨٠/٤ من قصيدة عنوانها « وقال يفخر بقومه » مطلعها :

الا صنع البين الذي هو صانع فإن تك مجزاعاً فما البين جازع

(٧١) في ع : « ضرب يقال له المعاني » بسقوط توليد . وهذا من سهو الناسخ

(٧٢) في ق : « صورة »

وقد مهّدته لك هاهنا وسهّلته عليك ، إن كنت ذا خاطرٍ جوّال ولسان
قوّال ؛ فمن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمّن شكر بعض
المنعمين ، وهو :

إذا تقابلت مدائحي وسجاياه ، رأيتَ مرآةً صقيلةً ، تقابل صورة
جميلة ؛ فلولا هذه ورونق صقالها ، لما تمثّلت تلك على هيئة جمالها .
وانا أوّل مَنْ طبع مرآة من الكلام ، وصوّر الأخلاق (٧٤) بصور
الأجسام . فإذا علم ذلك منّي فلا يجعل لساني مُغمّداً ، ولا قلّمي (٧٥)
مُقنّداً ؛ فإن له من أحدهما صارماً بتّاراً ، ومن الآخر فارساً كرّاراً .
ولا يُغدّدُ هذا ، ويُقنّدُ هذا إلا أن يضعني في غير موضعي ، ويلحق بي
مَنْ لم يؤمّل لحاقي ، ولم يجر في ميدان معي . والغيرة حيرة والغينة ضغينة .
وذيل هذا ينسحب على قول أبي تمام :

أولى المديح بأن يكون مهذباً

ما كان منه في اغرّ مهذب (٧٦)

غرّبتْ خلّاتقهُ واغرب واصف

فيه فأحسن مغرباً في مغرب (٧٧)

إلاّ أنّ هذا الذي ذكرته ، ما كآته (٧٨) من هذين البيتين ، وكأنّه
منهما . ألا ترى (٧٩) أن معنى هذين البيتين ، هو أولى المديح بأن يكون

(٧٤) في ع : « صور الأخلاق فيها »

(٧٥) في ع : « وقلّمي مقعداً »

(٧٦) البيتان في الديوان : ١٠٧/١ ، من قصيدة يمدح بها عمر بن طوق التغلبي ، مطلعها :

أحسن بأيام العقيق وأطيب

والعيش في اظلالهن المعجب

(٧٧) في رواية التبريزي :

« واعزب شاعر » وفسره بقوله : « أي شاعر يأتي بغرائب المعاني ، في رجل

غريب المكارم والأخلاق »

(٧٨) في ع : « ما كان »

(٧٩) في ع : سقطت « ترى »

حسناً ، ما كان في حسن مثله ، وليس فيهما زيادة على ذلك . فلما اردت ان آخذ هذا المعنى ورّيت في اخذه عن الطريق المعهود ؛ فمثّلته بمثال ملائم ، وهو (٨٠) : مقابلة المرأة للصورة ، ثم قلت : لولا مدائحي لما ظهرت محاسن فضلك ؛ كما انه لولا صقال المرأة لما تمثّلت فيها هيئة الصورة الجميلة . ثم اتبعت ذلك بما ينسحب على اثره من معان اخر ، وخرجتُ فيها الى معرض العتاب آخر .

وهكذا ينبغي ان تؤخذ المعاني على حكم الاختلاس ، لا على حكم الافتراس ، وعلى سبيل المساترة ، لا على سبيل المجاهرة .

ومن هذا الضرب ما ذكرته في جواب على رسالة ، وردت من بعض الأصدقاء ؛ من اهل الأدب (٨١) :

وردت اشارة سيّدنا ان انظم في فلان قصيدا ، يكون في نظمه فريدا وقد علم انّ احرار الكلام لها عزة الأحرار ، وهي كالنفوس الأبيّة في الاستعلاء والإستكبار . فإذا كُلفت مدح لثيم صدّت مجانبه (٨٢) ، وذهبت مغاضية . ولهذا ابى كلامي ، وهو الحرّ في نسبه ، الكريم في حسبه ، ان يمدح من عرّضه حرّاق قادح ، وفريسة جارح ، وطُعْمَةُ هاج لا مادح . وقال (٨٣) : لطيمة (٨٤) الطيّب لا تلتئم بالكنيف ، وصورة الشوّهاء لا يزين منها التسوير (٨٥) والتشنيف (٨٦) . وقد تركته على ابائه ، وحفظت له حسب آبائه .

(٨٠) في ع : سقطت : « وهو » سهواً من الناسخ

(٨١) في ع : « من اهل الأدب وهو »

(٨٢) في ع : « مجانبه »

(٨٣) في ن : « وقيل » وهو الأنسب

(٨٤) لطيمة الطيب : اللطيمة : فافجة المسك

(٨٥) التسوير : من تسور : لبس السوار

(٨٦) التشنيف : من لبس الشنف ؛ وهو ما علق بأعلى الأذن من الخلى .

وهذا المعنى يغامر النظر الى قول ابني تمام (٨٧) :

مالي اذا ما رُضْتُ فيكَ غريبةٌ

جاءت مجيئ نجيبةٍ في مِقْوَدٍ

واذا اردتُ بها سواكَ فَرَضْتُهَا

واقْتَدْتُهَا بثنائه لم تُقْتَدِ

إلاّ انه لا يظهر للمتأمل أنّه منه ، ولا أنّ بينه وبينه علاقة . وفي الكلام الذي اورده زيادات كثيرة ، لا خفاء بحسنها ولطافتها .

ومن هذا الضرب ما ذكرته في فصل من الفصول وهو :

الإنسان في هَيْجٍ اخلاط ماله كهو في هيج اخلاط جسده ، وكلاهما شيء واحدٌ في تقويم أَوْدِهِ (٨٨) ؛ فهذا يطبُّ بتنقيص شيء من دمه ، وهذا يطبُّ بتنقيص شيء من درهمه . وقد قيل : إنّ الغنى دائماً عند بعض الناس ، ولا يسكن من سَوْرته الا استعمال مُسَهِّلات الأكياس : وهذا فلان قد طغى حيث استغنى ، وامتلاً عيناً ويدا وبطناً ؛ فينبغي أن يعالج بهذا العلاج ، الذي فيه اصلاح للمزاج .

وهذا المعنى يسترق السَّمْع من بيتين من الشعر ، لأبني تمام ، وهما :

ارى فضل مال المرء دائماً لِعِرْضِهِ

كما أنّ فضل الزاد دائماً لجسمة

فليس لداء العِرْض شيءٌ كَبِذْلِهِ

وليس لداء الجسم شيءٌ كَحَسَنِهِ

(٨٧) البيتان في الديوان : ١٣٩/٢ من قصيدة يمدح بها ابا سعيد الثغري ، مطلعها :

داع دعاً بلسان هاد مرشد

فأجاب عزم هاجد في مرقد

(٨٨) تقويم اوده : الأود ، من : « أود » : اعوج وانحنى ، والأود : الإعوجاج ، او الكد والتعب

وقد تقدّم ذكر هذين البيتين ، في موضع آخر من هذا الكتاب ؛ وهو القسم الثاني من حلّ الشعر . وقد اعدتُهما هنا ؛ لأنّي ولدت منهما معنى آخر ؛ وهذا هو الكبريت الأحمر ؛ الذي هو الكيمياء على الحقيقة .

فانظر الى كلامي في هذا الفصل ، والى هذين البيتين ، وتأمل ! إن كنت متأملاً . واحكم بينهما إن كنت حاكماً . فإذا فعلت ذلك أذعنت لي تسليماً ، وعلمت أنّ فوق كلّ ذي علم عليم .

ومن هذا الضرب ، ما ذكرته في وصف القلم ، وهو :
اخرسُ ، وهو فصيح الإيراد . واصمٌ ، وهو يسمعُ مناجاة الفؤاد .
ومن عجيب شأنه ، انه لا ينطق الا إذا قُطع لسانه ، ولا يضحك إلا إذا بكتُ
اجفانه .

وبعض هذا المعنى ينظر الى قول ابي الطيّب المتنبيّ (٩٠) :
يَمُجُّ ظَلاماً في نهارٍ لسانه
ويخبر عمّن قال ما ليس يسمعُ (٩١)
ومن هذا الضرب ، ما يُعكسُ فيه المعنى الى ضدّه ؛ وهو مما يصعب تناوله ، ويقلُّ تداوله ؛ فمن ذلك ما ذكرته في الشكر ، وهو :
الشكرُ اخفّ من الإحسان وزناً ، وصاحبه يستبدل الذي هو خيرٌ بالذي

(٩٠) البيت في الديوان : ٢٤٤/٢ ، وروايته فيه :

... ويفهم عن قال ...

وهو من قصيدة يمدح بها علي بن احمد الخراساني ، مطلعها :

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا

فلم ادر اي الظاعنين اشيع

(٩١) يمج : يقذف . والظلام : اراد به الحبر . والنهار : اراد به القرطاس . ولسانه : طرفه المحدد .

وفي حاشية الديوان : « وهذا منقول من قول حبيب :

احذ اللفظ ينطق عن سواء

فيفهم وهو ليس بذي سماع

د . / ٢٤٤

هو ادنى . ولقد ربحته صفقته اذ باع اقوالا ، وحاز (٩٢) اموالا ، واعطى كلمات خفاناً واخذ عروضاً ثقالا . ومن زعم انّ شكرَ الشاكر افضل من مَوْهبة الواهب ، فقد جهل في هذا او كذب ، فهو لا ينفكُّ من عذر الجاهل او ريبة الكاذب . ولقد اغلى القول (٩٣) فيما ليس بغال ، وأتى ويدُه السفلى من مكان عال . وايُّ فضل لمن يكون غايته مُجازياً لا موازياً ، ومعاملاً لا مُعادلاً . واذا انصف علم انّه جاء اخيراً ، ولا فرق بينه وبين من أعطي اجره ، فصار اجيراً . وما ارى الشكر إلاّ حديثاً يذهب في الرياح ، لو لم تُقَيِّده مكارم السماح . فلا حاجة اذاً مع لسانها الى شكر الشاكر . واذا نطقت الحقايب (٩٤) ، اغنت بنطقها عن مديح الشاعر .

هذا الكلام يشتمل على معان كثيرة ، غير انّ مبناه على (٩٥) بيت من الشعر ؛ في قول ابي تمام ؛ وهو :

الشكر بالمأمول ابهى من يد
غراء يُودِعُهَا رجاء الآمل

ومن هذا النوع ، ما ذكرته في فصل يتضمّن شكوى الزمان ؛ وهو فصل من كتاب :

من كان يشكو الأقوامَ فإن الخادم لا يشكو إلاّ الأيام ، فإن المعدي على قدر العدو ، والمشكو اليه على قدر الشكوى . وما يشكوه منها انّها تُبادِهُهُ ، ولا تواجهه ، وتساوره (٩٦) ولا تجاهره . ولو كان لها

(٩٢) في ع : « واخذ »

(٩٣) في ع : « اغلى السوم »

(٩٤) في ع : « نطقت الحقايب فقد »

(٩٥) في ع : « على عكس بيت »

(٩٦) تساوره ؛ من ساوره مساورة وسواراً : واثبه ، او وثب عليه . تقول : ساورت الحية الراكب . وساوره الشراب : اخذ برأسه

شخص للقيه بعزم مولانا فقارعه ، وأرهبه باسمه فوادعه . على انها عبيده ، تجنى وهو المطلوب بعنايتها ، واذا رأت بأحدٍ عناية من جاهه ، قرنته بعنايتها .

والخادم يطالب مولانا بأرش (٩٨) جراحها ، ويسأله عنايةً تكفُّ من غرَب جماحها .

وبعض هذا المعنى معكوس بيت من شعر عبدالسلام بن رغبان ؛ المعروف بديك الجنّ ، وهو :

ودافعتُ في صدر الزّمان ونَحْرَه
وأَيَّ يدٍ لي ، والزّمانُ المحاربُ

ومن هذا النوع ما ذكرته ، في فصل من فصول الكلام ؛ وهو :

كم للرّكاب من يد لو علمتها لجعلت تراب (١٠٠) اخفافها للعيون
اثمدا (١٠١) ، وخطط مباركها للوجوه مسجدا ؛ فهي الحاملة اعباء الهمم ،
والممكنة من نواصي النّعم . فلا اجحد حقّها ، وقد صافحت بي سحب
الجود ، الذي هو اغزر من سحب الماء . وادتني من سماء المعالي ؛ التي
هي اشرف محلاً من السماء .

وشيء من معاني هذا الفصل مُستنبطٌ (١٠٢) من معكوس قول
الشّماخ (١٠٣) ، وهو :

(٩٨) الأرض : الدية او الرشوة

(١٠٠) في ع : « لجعلت ترابها »

(١٠١) الإثم : حجر يكتحل به

(١٠٢) في ع : « مستغبط » وهو سهو من الناسخ

(١٠٣) الشماخ : الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان اللفطاني ؛ شاعر مخضرم ، ادرك الجاهلية والإسلام ، قالوا : كان ارجز الناس على البديهة .

إذا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي

عرابةً ، فاشْرِقِي بدم الوَتَيْن (١٠٤)

وهذا القدر (١٠٥) كاف ، في حلّ المعاني الشعريّة . والله الموفق

للصواب .



(١٠٤) البيت في الديوان ؛ ص : ٣١٩ ط دار المعارف بمصر ، يمدح بها عرابة بن اوس - رضي الله عنه - مظلّمها :

كلا يومسي طوّالة وصل اروي
ظنون ، آل مطرح الظنون

(١٠٥) في ع ؛ بحذف : « كاف »

الفصل الثاني في حل آيات القرآن

إِعلَمُ أن القرآن بضاعة زاكية ، فإذا رُزِقَها انسان يدبّرها في يده ، وَيَتَجَهَّبُ (١) بها ، ويحسن التجارة في معانيها والفاظها ، فإنه يستغني بها عن غيرها . وما ذلك شيئاً (٢) يرزقه كلّ احد . فكم في الناس من حافظ للقرآن عالم بتفسيره ، ولكنه في استعماله كالتاجر الجبان ؛ الذي لا يركب برّاً ولا بحرّاً . وليس يُسرّه ، منه على هذه الحال الا عُسراً .

وهذا الأمر ، قد لا يسته ومارسته ودارسته ، فوجدته يحتاج الى تلاوة دائمة ، ومواظبة لازمة . وكنت اذا مررت بسورة من السُور ، يسبح لي في حلّ معان منها مآرب وأوطار . واظنّ انّي قد استوفيت ما اريده منها ، ثم اتلوها من بعد ذلك ، فتسبح لي (٣) معان غير تلك المعاني الأول . وكذلك .. كلما تجددت التلاوة تجددت معان بعد معان . فينبغي للمتصّب لفنّ الكتابة ان يتقن حفظ القرآن الكريم . واذا حصلت له الملكة التامة في حلّ الآيات ؛ التي يحتاج اليها في الخطب والمكاتبات ، فحينئذ تنفتح لديه ابواب ، وتوصله اسباب الى اسباب ، ويأتيه خاطره بما لم يكن له في حساب . واعلم ان كتاب الله ، هو افصح الكلام ، وما ينبغي ان يُسلّك به مسلك الأشعار في حلّها ، بل ينبغي ان يحافظ على الفاظه ، لعدم القدرة على مماثلتها ومشابهتها . لكنّ اخذ الآية في جملتها ليس من هذا الفنّ في شيء ؛ لأنه من باب التضمين . وهذا الذي نحن بصدد هاهنا ضربان ؛ احدهما :

(١) يتجهّب ؛ الجهبذ : الناقد العارف بتمييز الجيد من الرديء .

(٢) في ن : « شيء »

(٣) في ع : « يسبح في حل »

ان يؤخذ بعض الآية فيجعل اولاً لكلام ، او آخرآ . والآخر : ان يؤخذ معنى الآية .

وقد اوردت لك ، في هذا الفصل ، امثلة تسلك (٤) بها الطريق ، وتجعلها هادية لك اليه . فمن ذلك مذكرته في ذمّ بخيل ، وهو :

جوده (٥) بعيد على الأمل ، غير مُفتقر الى العَدَل (٦) . واذا احتفل فهو نهر طالوت ؛ الذي حُلِّلَ (٧) للغرّة لا للنهال .

وهذا مأخوذ من سورة البقرة ؛ في قوله تعالى : « فلما فصل طالوت بالجنود ، قال : إن الله مبتليكم بنهر ، فمن شرب منه فليس مني ، ومن لم يطعمه فإنه مني ، إلاّ من اغترف غرفةً بيده » (٨) .

وهذا من باب اخذ معنى الآية والتصرّف فيه . فتأملهُ — ايها الناظر — وأعطه حقّه من التأمل ، حتى تعلم كيف تضع يدك في اشباهه وامثاله . ومن ذلك ما ذكرته ، في وصف كريم ، وهو :

الكريم لا تبعثه التجارب على النظر في العواقب . ويرى الإيثار والمواساة اعلى في درجات المواهب . واذا عُدِّلَ تمثّلَ بقول الشاعر :

« اذني عن الفَحْشاءِ صماء » وقال : « إن هي إلاّ أسماءٌ سمّيتوها » (٩) ، ولا تُتَّبَعُ الأسماء .

وبعض هذا الفصل مأخوذ من سورة النجم .

وعلى هذا الأسلوب ورد قولي ايضاً ، في وصف كريم ، فقلتُ : لا يضرب بين ماله حجاباً ، وبين السائلين ، واذا عُدِّلَ على الجود ،

(٤) في ن : « تكفيك »

(٥) في ن : « إن فلا نا بعيد على الأمل »

(٦) في ن : « الى الفداء »

(٧) سقطت « حلل » من

(٨) سورة البقرة ؛ الآية ٢٤٩

(٩) سورة النجم ، الآية : ٢٢ .

اجاب ، بقوله تعالى : « وأعرض عن الجاهلين » . وقد علم ان المعذرة والبخل ، اخوان ؛ فلا فرق عنده بين المعتذرين وبين الباخلين . وفي شرعة هذا الخلق الكريم تكثر (١٠) اسباب الإمتياح ، ولو عداه سائل ، لناداه : حيّ على السّماح كما ينادي : حيّ على الفلاح ! .

وبعض هذا الفصل ، مأخوذ من سورة الأعراف ، في قوله تعالى : « خذ العَفْوَ ، وأمرْ بالعُرْفِ ، وأعرضْ عن الجاهلين ! (١١) »

ومما يجري هذا المجرى ، ما ذكرته في الإقتصاد في طلب الرزق ؛ وهو : الإنسان في كفالة الله برزقه غير واثق . وهو في كلّ طريق سالك ، ولكلّ باب فيه طارق . وكثيراً ما يأتيه ، وهو عنه نائم ، ويقعد عنه ، وهو اليه قائم . وهذا تعريف في ان الله تعالى فاتح ابوابه ، ومُسبّبُ اسبابه . ولوفاته المقدور منه بإهماله ، لأدرك غير المقدور بطلا به . ويكفيه من الإيمان بذلك : انه لا يصرف الأرزاق الا القادر على خلقها . وكم من دابة مرزوقة ، وهي ضعيفة عن حمل رزقها . ولو اعطى الإنسان رُشدَه ، لألقى عن نفسه ثقل المجيء والدّهَاب ، وعلم ان راحة الإتكال اعتودُ عليه من تعب الإكتساب . وهذه معان شريفة عالية ، لا يُلِمُّ بها الاّ خاطرٌ كان على المعاني غوّاصا ، ولأوابد وحشها قنّاصا .

وبعض ذلك مأخوذ من سورة العنكبوت ، في قوله تعالى : « وكأين من دابةٍ لا تحمِل رزقَها ، الله يرزقها ، وإياكم (١٢) »

ومما ينتظم بهذا السلك ، ما ذكرته في وصف الكريم وهو : شيمة كرمه مَسِيحِيَّةٌ في طبّها ، كليميَّةٌ في تسهيل شربها . فإذا أُعِلَّتْ الآمال تلقّتها بشفاء غليلها ، واذا ذيدت عن الورود تلقّتها بشفاء غليلها . فلها

(١٠) في ع : « يكثر اسباب الإمتياح »

(١١) الأعراف ؛ الآية : ١٩٩

(١٢) سورة العنكبوت ؛ الآية : ٦١

الفضل الذي ليس بمطروق ، والخلق الذي لم يكن قبلها لمخلوق . ولا جُناح على من سَبَّحَ لها متعجباً ، وسجد لها متعبداً ، وصلى بالثناء عليها موحداً ومتوجداً .

وقد تضمّن هذا الكلام معنيين من القرآن ؛ احدهما : في سورة المائدة في قوله تعالى : « وتُبرىء الأكفَه والأبرص يا ذني (١٣) » والآخر ؛ في سورة القصص ، في ذكر موسى عليه السلام ؛ وهو قوله تعالى : « ولما ورد ماء مَدْيَنَ ، وجد عليه أُمّةٌ من الناس يسقون . ووجد من دونهم امرأتين تذودان . قال : ما خطبكما ؟ قالتا : لانسقي ، حتى يُصدر الرّعاءُ ، وابونا شيخٌ كبيرٌ . فسقى لهما ثم تولى الى الظِّلِّ » (١٤) .

وهذا الموضع ، قد اخِذَ فيه المعنى دون اللفظ .

ومن هذا الضرب ما ذكرته في صدر كتاب ، يتضمّن خطبة مودة ، وهو :

هذه المكاتبة قد جاءته تمشي على استحياء ، تدعوه الى خلة من ارسلها ، وترغم ان اباهها وهو القلب قد اهداها له ، وبَدَلَكها . غير انه لا يطلب لذلك اجرا ، ولا يسأل ثماني حِجَج ولا عشرة . بل فحوى مطلوبه هو المودة التي تُمسك بالمعروف ، ولا تُسرّح ، وقد صرّح في خطبتها وما عرض ، اذا عُرّض في خطبة الحسان ولم يُصرّح . وملاك الأمر فيها ان يكون حرثها مطعما ، وعقدها في عدم الفراق نصرانياً ، وفي وجوب القبول مسلماً .

في هذا الكلام ، ما هو مأخوذ من القرآن في سورة القصص ، وهو قوله تعالى : « فجاءته احدهما تمشي على استحياء . قالت : إن ابني يَدْعوك ليجزيك اجرًا ما سَقَيْتَ لنا . فلما جاءه ، وقصّ عليه القصص ، قال : لاتخفْ نَجْوتَ من القوم الظالمين . قالت احدهما : يا أبت استأجره . إنَّ

(١٣) سورة المائدة ؛ الآية : ١١٠ ، وفي الأصل : « وإذ » وهو سهر من الناسخ .

(١٤) سورة القصص ؛ الآية : ٢٣ وما بعدها

خيرَ من استأجرتَ القويَّ الآمين . قال : إنني أريدُ أنْ أنكحكَ إحدى ابنتي هاتينِ ، على أنْ تأجُرني ثماني حِجَجٍ ، فإنْ أتممتَ عَشْرًا فمِن عندك (١٥) .
ومن هذا النوع ما ذكرته ، في فصل من كتاب ، الى الديوان العزيز النبويّ ، وهو :

لو ساغ لوليّ من اولياء الدولة ان تمتّ بولائه ، بما ابلاه من الخدمة ، في حسن بلائه ، لكان لسان الخادم في هذا المقام اكرم صدقا ، ومكانه منه اشرف سبقا ، لكن ليس لقائم بخدمتها ، ان يمنّ بقيامه ، كما انه ليس لمسلمٍ ان يمنّ بإسلامه ، وهي الدولة التي ملكت الجسوم والقلوب بمهابتها وإحسانها ؛ فلها من هذه طاعة اسرارها ، ومن تلك طاعة اعلانها .

على انّ مزيّة فضلها ، تقود اليها طاعة الناس ، وان لم يقدها رغبة الندى ولا رهبة الباس . وما مثل المنتمين اليها والى غيرها إلّا مثل الأُمّة الموحّدة ، والأُمم العاكفين على آلهة متعدّدة .

والخادم ، وان امسك عن ذكر خدمته ، فقد نطقت بها شهرة سساتها ، واصبحت مواقفها في المواقف ابكارا ، ونطق البكر في صُلماتها ، ولم تزل معروضةً بالديوان العزيز ، وكلُّ وقت إِبّانٌ وقتها . وهي كالأيات ، التي لاتأتي منها آية ، إلّا كانت اكبر من اختها .

في هذا الكلام ، موضعان مأخوذان من القرآن الكريم :

الأول : مأخوذ من سورة الحُجرات ؛ في قوله تعالى : « يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ، قل : لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُكُمْ (١٦) » .

والثاني : مأخوذٌ من سورة المؤمنِ ، في قوله تعالى : « وما نريهم من آية إلّا هي اكبر من اختها (١٧) » .

(١٥) سورة القصص ؛ الآية : ٢٥ وما بعدها

(١٦) سورة الحُجرات ؛ الآية : ١٧

(١٧) الآية في سورة الزخرف / ٤٨ ، وليس في « سورة المؤمن » كما وردت في النص سهواً .

وفي هذا الكلام ايضاً ، معنى من معاني الأخبار النبوية ، وهو :
قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « الأيِّم (١٩) احقُّ بنفسها من
وليِّها ، والبكر تُستأذن في نفسها ، وإذئُثها صُماتها (٢٠) » .

وقد اوردتُ انا هذا المعنى ، في هذا المعرض المشار اليه ، على وجه
غريب ، لم يأت به احدٌ قبلي ؛ وهو من جملة معاني المبتدعة .

ومما يجري هذا المجرى ما ذكرته في الإغتراب ، وهو :

ولطالما أورث الإغترابُ عِزّاً ، واستثار كُترا ، حتى انَّ الله جعله
سُنَّةً في انبيائه ورُسُلِهِ ، ونهَجَ لهم سبيل العِزِّ بسلوك (٢١) سُبُلِهِ . ويكفي
من ذلك ما سنَّته الغربة الیثريَّة (٢٢) ؛ من القوة بعد الفرار والكثرة بعد ثاني
اثنين اذ هما في الغار . والتقلُّلُ سبب (٢٣) السكون ، والسُّهاد داعية
لهدوء العيون . ولو لزم السيف غمده ، لم يبن اثر مضاربه ، ولا خدَمَته
لسان المدح ، في نظم شاعره ولا نثر خطابه . ومن فوائد (٢٤) الإغتراب
عذوبة ماء البحر بمرافقة السحاب .

في هذا الكلام معنى واحد مأخوذ من القرآن ؛ في سورة التوبة ، وهو
قوله تعالى : « إلاًّ تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانيّ
اثنين ، إذ هما في الغار (٢٥) »

ومن هذا الضرب ، ما ذكرته ، في وصف القلم ، وهو :

(١٩) الأيِّم - ككيس - : من لا زوج لها بكراً او ثيباً (القاموس) .

(٢٠) والصمات : السكوت (لسان العرب)

(٢١) في ع : « سلوك »

(٢٢) الیثريّة : نسبة الى « يثرب » : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢٣) في ع : « والتقلُّلُ مسبب للسكون »

(٢٤) في ع : « ومن فائدة الإغتراب »

(٢٥) سورة التوبة ؛ الآية : ٤٠ . وفي تفسير الكشاف للزمخشري : « احد اثنين ، وهما

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابو بكر الصديق - رضي الله عنه - » ٢٧٢/٢

له القلم الذي يصرع الخطب الجليل بضعفه ، ويسبق الحرف (٢٧) الأمون بحرفه . واذا نكّس رأسه رأيت أبهة الخيلاء في عطفه ؛ فهو يجلُّ بأساً ، ويدقُّ جسماً ، ويمجُّ من لسانه شهداً وسماً . فإذا ارتقى انامله ، قيل : خطيبٌ رقي منبراً ، واذا اهتزَّ في يده كأنه جانٌّ ولَّى مُدبراً .

وهذا الفصل يشتمل على معانٍ كريمة ، ذات احساب صميمة ، ومعارف جمّة ، ذات رياضٍ جَمِيمة . وهو من محاسن ما يؤتى به في وصف القلم . وفيه معنى واحد من القرآن ؛ في سورة النمل ؛ في قوله تعالى : « واليق عصاك ، فلمّا رآها تهتّزُّ ، كأنها جانٌّ ولّى مُدبراً ولم يُعقّب (٢٨) » ومن هذا الضرب ، ما كتبتُه الى بعض الإخوان من اهل الأدب جواباً عن كتابه ، وهو :

كُتِبَ سيّدنا رياضٌ ، وإن جلّت عن التمثيل ، وأبت ان تكون كَلِمُها التي تبقى على الأيام كزهرة نبت يذهب (٢٩) عما قليل . ولولا أن يرخص في حمل المعنى على المعنى ، وتشبيه الأعلى منها بالأدنى : لما ضرب الله لنبيه مثلاً بسراج ، ولا لنوره مثلاً بمصباح في زُجاج . فلا (٣٠) يُنكير سيّدنا ، اذا ما مثّلتُ به صفحة كتابه ، وليعُدَّ ذلك من ضروب التوسّعات المجازية ، لا من أضرابه . وكما أنّه يجلُّ عن ضرب الأمثال ، فكذلك الشوق (٣١) الى مرسله يجلُّ عن احاطة الأقوال . وكلاهما قد حار الخادم في ملابسة امره ، فهو مُمتّعٌ من احدهما برونق حُسْنِه ومُروّعٌ من الآخر ، بتوقُّد جمّره . وقد حصل منهما في فصليْن من فصول عامه ؛ فطَرَفُه في ربيع من النظر واجتلائه ، ، وقلبه في مصيف من الشوق وغرامه .

(٢٧) الحرف الأمون : الناقة الضامرة العظيمة . والحرف من كل شيء : طرفه وجانبه (القاموس)

(٢٨) سورة النمل ؛ الآية : ١٠

(٢٩) في ع : « ... تذهب عما قليل »

(٣٠) في ع : « ولا ينكر ... »

(٣١) في ع : « فكذلك الى مرسله » وفي ن : « وكذلك رسله يجل ... »

في هذا الكتاب محاسن من البلاغة كبيرة (٣٣) ، وقد تضمن معنيين من القرآن الكريم ؛ أحدهما : من سورة النور ؛ في قوله تعالى : « مَثَلُ نوره كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ » (٣٤)

والآخر : في سورة الأحزاب ؛ في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ، وَمُبَشِّرًا ، وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا » (٣٥) والمعنى المأخوذ من سورة النور ، قد سبق إليه أبو تمام ؛ في قصيدته السينية :

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَن دُونَهُ
مَثَلًا شُرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
قَالَ اللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَ لِنُورِهِ
مَثَلًا مِّنَ الْمِشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ (٣٦)

لكن لا ينبغي للواقف على هذا الشعر ، وعلى ما أورده في الكلام المنشور ان يجحدني حقّي ، بل ينبغي له ان ينظر بعين الإنصاف ، وينتقد نقد صرّاف ، ولا يلتفت الى الوقوف مع الزمن القديم ، فإنه شبهة (٣٧) يتمثل بها تقليد الجهول لاجتهاد العليم . واذا فعل ذلك فقد شهد لي شهادة خزيمة (٣٨) بن ثابت . وإن لم يشهد ، شهدت لي الفضيلة ، وانا صامت .

(٣٣) في ع : « كثيرة »

(٣٤) سورة النور ؛ الآية : ٣٥

(٣٥) سورة الأحزاب ؛ الآية : ٤٦

(٣٦) البيتان في الديوان ، ص : ١٥٣ من قصيدة يمدح بها أحمد بن المعتصم ، مطلعها :

ما في وقوفك ساعة من باس تقضي ذمام الأربع الأدراس

(٣٧) في ع : « فإن شبهته تمسك بها ... »

(٣٨) خزيمة بن ثابت : خزيمة بن ثابت بن شماس من الأنصار . وخزيمة بن ثابت بن الفاكه ابن ثعلبة الأنصاري .. صحابي ، من اشراف الأوس في الجاهلية والإسلام ، ومن شجعانهم المقدمين ، حمل راية بني خطمة من الأوس يوم فتح مكة . واختلف المؤرخون في : أيهما الملقب بذي الشهادتين .

ومن هذا الضرب ما ذكرته ، في وصف الشكر ، وهو فصل من كتاب :

الخادم يشكر احسان المولى ، الذي ظلّ عنده مقيماً ، وغدا بطلبه زعيماً . واصبح بتواليه اليه مُغرماً ، كما اُصبح له غريماً . ولما تمثّل في الاشتمال عليه كهفاً ، تمثّل شكره فيه رقيماً .

هذا المعنى مأخوذ من القرآن في سورة الكهف ؛ وهو : قوله تعالى :
« إنَّ اصحاب الكهف والرقيم ، كانوا من آياتنا عجبا » (٣٩) .

وهذا المعنى ، وإن كان مأخوذاً من هذه السورة ، فهو مُبتدع لي ، لم أسبق اليه ؛ وذلك أنّي نقلته عن المعنى المذكور في السورة ، الى معنى الإحسان ، ومثّلته في اشتماله بالكهف استعارةً ، الى معنى الشكر ، ومثّلته بالرقيم ، وهو الكتاب . وانا في هذا الموضع مُبتدع لهذا المعنى ؛ كأبي تمام في ابتداعه : حين قابل ضرب المثل ، في وصف الممدوح ، بإقدام عمرو ، وسماحة حاتم ، وذكاء إياس ، بضرب المثل في وصف نور الله - سبحانه وتعالى - بمشكاة فيها مصباح .

ومن هذا الضرب ، ما ذكرته في وصف كتاب ، يتضمّن تعزية ، وهو : لو ذهب الحزن بالدمع وانهماله ، والجزع وإعواله ، لكان الصبر بصاحبه اخرى ، ولو لم ينل به اجرا . فكيف وصلاة الله ورحمته من ثوابه ! ؟ والجلالة والتقى مطويّان في ضيمن ثيابه ! ؟ . وما اعتاض المرء صبراً عن المصاب ، إلاّ كان فيه عيوض عن مُصابه .

في هذا الكلام معنى مأخوذ من القرآن ؛ في سورة البقرة ؛ في قوله

(٣٩) سورة الكهف ؛ الآية : ٩ « أم حسبت أن أصحاب الكهف . . . »

تعالى : « الذين اذا اصابتهم مصيبةٌ ، قالوا : إِنَّا لَنَلَّهُ ، وإنا اليه راجعون .
اولئك عليهم صلوات من رَبِّهم ورحمة » (٤٢) .
ومما يجري على هذا النهج ، ما ذكرته في وصف المكر والخداع ،
وهو :

المكر ضرباً من تحت الثياب . وسيفه لا يقطع إلاّ وهو في
القرب . ومن شأن صاحبه ان يلقي الأعداء بوجوه الأحباب ، ويرى وهو
كالجبل الذي يُحسب جامداً ، وهو يمرّ مرّ السحاب . فإذا لاقته الجموع
فرّقها ، وقد كادت تكون عليه لبداً (٤٣) . وجعل قوتها اضعف
ناصرها ، واقلّ عدداً .

وكذلك الحازم (٤٤) ؛ يستغني بلين كيدِه عن شدة أيديِه ، وبهمس
احتياله عن ضوضاء قتاله . وكثيراً ما يطعن اقرانه قبل الطعان ، ويغزوهم
بفجأة الذُّعر ، وهم من الأمن في صِوان (٤٥) .

في هذا الفصل ، ثلاثة معان من القرآن :

الأول : قوله تعالى ؛ في سورة النمل : « وترى الجبال تحسبها
جامدةً ، وهي تمرّ مرّ السحاب » (٤٦) .

والثاني : في سورة الجنّ ، وهو قوله تعالى : « وأنه لما قام عبدُ الله
يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً » (٤٧) .

(٤٢) سورة البقرة : « الآية : ١٥٦ والآية : ١٥٧

(٤٣) تكون عليه لبدا : ولبدا : جمع لا بد - كساجد - وفي تفسير هذا يقول الزمخشري :
كاد المشركون لتظاهرهم عليه ، وتعاونهم على عداوته ، يزدحمون عليه متراكبين (لبدا) :
جمع لبدة : وهو ما تلبد بمضه فوق بعض ، ومنها « لبدة الأسد »

(٤٤) في ع : « الخادم »

(٤٥) الصوان : الوعاء الذي تصان فيه الثياب او الكتب

(٤٦) سورة النمل ؛ الآية : ٨٨

(٤٧) سورة الجن ؛ الآية : ١٩

والثالث : في قوله تعالى ؛ في سورة الجين أيضاً : « حتّى اذا رأوا ما يؤعدون ، فسيعلمون مَنْ أضعفُ ناصراً ، وأقلُّ عدداً » (٤٩) .

ومن هذا الضرب ، ما ذكرته من فصل من كتاب كتبه عن الملك (٥٠) الأفضل ؛ عليّ بن يوسف ، الى اخيه الملك العزيز (٥١) عثمان ، لما حصّره في مدينة دمشق ، وانتزعها من يده ، وذلك في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، فقلتُ :

وانا اسأله بالرحيم ، التي امر الله باتقائه واتقائها ، وتكفّل بالإسقاء (٥٢) يوم القيامة ، لمن تكفّل بإسقائها . ولولا كرامتها عليه لما اشتق لها اسماً من اسمه ، وقسم لواصلها ببسط العمر والرزق ، اللذين هما من افضل (٥٣) قسمه . فلا يتركني (٥٤) أتأوّه بقلب المتألم ، واجهر بلسان المتظلم . وعند ذلك أناضله بسهام الدعاء القاصدة ، واحاكمه الى صرعة البغي التي ليست عن الباغي برافدة ، واتمّثلُ بقوله تعالى : « إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة » ، ولي نعجة واحدة (٥٥) ، ويعزّ عليّ ان القاه بهذا القول ، الذي انا فيه مُكره (٥٦) لا مختار ، وإن كان من المحظورات المنهي عنها ، فالمحظور مُباح (٥٧) لمرتكبه عند الإضطرار .

(٤٩) سورة الجن ؛ الآية : ٢٤

(٥٠) الملك الأفضل ؛ علي بن يوسف (صلاح الدين) بن ايوب : استقل بملكة دمشق بعد وفاة ابيه سنة ٥٨٩ هـ ، واخذها منه اخوه العزيز وعمه العادل سنة ٥٩٢ هـ ، قال ابن الأثير ، صاحب الكامل : « كان من محاسن الزمان ، خيراً عادلاً فاضلاً ، حليماً كريماً ، حسن الإنشاء . لم يكن في الملوك مثله » .

(٥١) الملك العزيز عثمان : عثمان بن يوسف (صلاح الدين) بن ايوب : من ملوك الدولة الأيوبية بمصر . استقل بها سنة ٥٨٩ هـ بعد وفاة ابيه صلاح الدين ، واخذ الشام من اخيه الملك الأفضل . قال المقرئزي : « سمع الحديث من السلفي وابن عوف وابن بري ، كان عادلاً محبوباً من رعيته فاضلاً » .

(٥٢) في ع : « تكفّل بالإسقاء لمن تكفّل بإسقائها »

(٥٣) في ع : « هما افضل قسمه »

(٥٤) في ع : « فلا تتركني »

(٥٥) سورة ص ، الآية : ٢٣

(٥٦) في ع : مكره غير مختار »

(٥٧) في ع : « يباح »

هذا الفصل يشتمل على آيتين ، وخبرين من الأخبار النبوية ، وليس هذا موضع ذكر الأخبار ، لكن لابد من التنبيه عليها (٥٨) . وأما الآيتان ؛ فإحداهما في سورة النساء ، في قوله تعالى : « واتقوا الله الذي تساءلون به والآخرى » (٥٩) وأما الأخرى ؛ ففي سورة « ص » ؛ في قصة داود — عليه السلام — في قوله تعالى : « إنَّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ، ولي نعجة واحدة » (٦٠) .

إلا أن الآية التي في سورة النساء ، أخذ معناها ، وهذه الآية التي في سورة (ض) اخذ لفظها بعينه .

ومن هذا الضرب ، ما ذكرته في فصل من كتاب ، الى بعض الطغاة ، وهو :

تذكير الطاغية من سنة الله التي خلت في عبادته ، وإن عسر نقله عما جُبلت عليه فطرة ميلاده . وقد أمر موسى بتذكير فرعون ، مع انه لم يستفد ذكرى ، بل زاد الى طغيانه طغياناً ، والى كفره كفراً .

وهذا الكتاب صادر الى من اخذته العزة بالإثم ، وأضلَّه الله على علم ؛ الذي ظلم نفسه ، وقطع غرسه . واخذ اهل بيته بسالف حقوقه ، وكان كالسامري في عبادة (٦١) عجَّله ، وعافر الناقة في ثموده . ولا لوم عليَّ ان جهرتُ بسوء قولي لمن جاهرني بحيفه ، وكلَّمته بلساني ، إذ كلَّمني بسيفه .

في هذا الفصل ما هو مأخوذ من عدة آيات من القرآن ، احدها في البقرة ؛ في قوله تعالى : « وإذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالإثم » (٦٢)

(٥٨) في ع : « من المتنبيه عليه »

(٥٩) سورة النساء ، الآية : ١

(٦٠) سورة ص ، الآية : ٢٣

(٦١) في ع : « في عبدة »

(٦٢) سورة البقرة ؛ الآية : ٢٠٦

والأخرى ؛ في سورة : « حم الجاثية » في قوله تعالى : « أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ
إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ، وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ » (٦٣) والأخرى ؛ في سورة النساء ؛ في
قوله تعالى : « لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ » (٦٤) .
ومن ذلك ما ذكرته في فصل من كتاب ، الى الملك العادل ؛ ابي بكر (٦٥)
ابن ايوب ، جواباً عن كتاب ورد منه ؛ يخبر ان فرقة من الفرنج — خذلهم
الله — خرجوا من وراء البحر ، لقصد بيت المقدس ، في سنة تسع وتسعين
 وخمسمائة ، فجاءتهم في طريقهم ، حجارة من السماء ، فأهلكتهم ، فقلت
 في الجواب : .

والله قدّ فهم باللباس من موضع النعماء ، وأمطرهم بالحجارة بدلاً من
الماء . وتلك سنة (٦٦) لا تحوّل ، وآياته التي لا تُؤوّل . وفعله الآخر الذي
ينبني (٦٧) على فعله الأوّل . وقد ارسل اباييل (٦٨) الطير على قاصدي
بيته الحرام ، وجعل ذلك آية في الجاهلية ، وذكرى في الإسلام . وكذلك
اجرى (٦٩) مثلها على قاصدي بيته الذي سمّاه مقدّساً ، وجعله بعد تأسيس
البيت الحرام مؤسساً .

ولو نجى (٧٠) هؤلاء ، من العذاب ، للقوا من سيف مولانا عذاباً ،
ومسخهم الله بذبابة ذبابا (٧١) . حتى لقد كانوا يعدّون نقمة الحجارة
نعمى ، ويرون انها هي الصغرى ، بالنسبة الى تلك العظمى . فإن في
الشرّ خياراً ، والمستأصل بالسيف ، يودّ لو القت السماء عليه احجاراً .

(٦٣) سورة الجاثية ؛ الآية : ٢٣ (٦٤) سورة النساء ، الآية : ١٤٨

(٦٥) الملك العادل ، ابو بكر بن ايوب : هو عم الملك الأفضل والملك العزيز

(٦٦) في ع : « وتلك سنته التي لا تحوّل »

(٦٧) في ع : « يبتنى »

(٦٨) اباييل : حزام ؛ الواحدة : إبالة ، وفي امثالهم : « ضغث على إبالة » وهي الحزمة
الكبيرة . شبهت الحزمة من الطير في تضامها بالإبالة . وقيل : اباييل مثل عبايد وشماطيط ؛
لا واحد لها .

(٦٩) في ع : « اجرى مثله » (٧٠) في ع : « ولو نجوا هؤلاء »

(٧١) ذباب السيف : طرفه الذي يضرب به

في هذا الفصل ، ما هو مأخوذ من سورة الفيل ، وهو قوله تعالى :
« وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ » (٧٢)
وفيه ما هو مأخوذ من الأخبار النبوية ، وإن لم يكن هذا من بابه ،
وانّما جاء ضمناً وتبعاً .

قال النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - : « أوّل بيت وضع للناس المسجد
الحرام » فقليل : يارسول الله : ثمّ ايّ ؟ قال : البيت المقدّس . قيل :
كم كان بينهما ؟ قال : اربعون سنة .

ومن هذا النوع ، ما ذكرته في وصف معركة حرب . وهو :
فأرسلنا عليهم غمامة خيل ، رعدوا ركض العتاق ، وبرقها لمع البيض
الرقاق ، فجاءهم طوفان لم تغن فيه حيلة ، ولا حول ، ولا نجتهم منه
سفينة ، كيف وكلّهم سبق عليه القول ، فأغرقهم بحر من الدماء ، لم
ينضب بابتلاع الأرض ، ولا إقلاع السماء .

وهذا المعنى ، مأخوذ من سورة هود - عليه السلام - ، وهو قوله تعالى :
« وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ، وَيَأْسَمَاءُ اقْلَعِي . وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ،
وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ، وَقِيلَ : بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ! » (٧٣) .
ومن هذا القبيل ، ما ذكرته في فصل الى بعض الفضلاء ، اصف فيه
فصاحته وبلاغته ، وهو :

(٧٢) سورة الفيل ، الآية : ٤
والسجّيل : قال الزمخشري : « كأنه علم للديوان الذي كتب به عذاب الكفار ... كأنه
قيل : بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون . واشتقاقه من الاسجال : وهو الإرسال
لأن العذاب موصوف بذلك . وعن ابن عباس : « هو طين مطبوخ » كشف الزمخشري ؛
٧٩٩/٤

(٧٣) سورة هود ، الآية : ٤٤

وقد سُخِّرَتْ له حِكَمَ البيان ؛ يأتي باعاجيبها ، فاذا لم يظفر غيره
إلاّ (٧٤) بوحشها ، ظفر هو بربيبها . فهو يسحر بألفاظه ، ولا لفظ إلاّ
لمن سَحَرَ ، ويصوّر ارواح المعاني ، والمعاني غير الصّوَر . فما ابرز منها
معنى ، إلا قيل : ما هذا بشر ، إن هذا إلاّ مَلَك . ولا جلا محاسنه على
بنت فكر من الأفكار إلاّ قالت : « هَيْتَ لك » .

في هذا الكلام معنى مأخوذ من سورة يوسف — عليه السلام — ؛ في
قصته مع المرأة التي راودته عن نفسها : « وغلّقت الأبواب » ، وقالت :
هيت لك (٧٥) .

ومن هذا النوع ، ما ذكرته في وصف حصار ، ونصب المنجنيق (٧٦) ،
فقلت :

ونُصِبَتْ المجانيق (٧٧) ، فأَلْقَتْ عِصِيَّهَا وحبّالها ، وصَبَّتْ
على اقطار البلد نيكالها . فسجدت لها الأسوار سجود السَّحَرَةِ لفعل العصا ،
وبادرت بالإيمان لها مبادرة من اطاع وما عصى . إلاّ انه لم يكن ايمانها
إلاّ بعد إذن الأحجار ، التي ما اذنت لمشيدٍ ، إلاّ أُخِذَ في البوار ،
وخرّ من الأقطار . واصبح كشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار .

في هذا الفصل ، ما هو مأخوذ من قصة موسى — عليه السلام — مع
السَّحَرَةِ . وقد ورد ذلك في القرآن الكريم ؛ في عدّة سور . وفيها ما هو
مأخوذ من سورة ابراهيم — عليه السلام — ، وهو قوله تعالى :

(٧٤) في ع : « لم يظفر غيره بوحشها »

(٧٥) سورة يوسف ، الآية : ٢٦

وهيت : قيل بفتح الها وكسرهما مع فتح التاء ، وبنائه كبناء « اين » . وهت : بمعنى
تهيات ؛ يقال : هاء يهيه . كجاء يجيء . اذا تهيأ . وقيل : هيت لك : اي هلم لك .
وهلم يا رجل : بمعنى تعال . « حاشية تفسير الكشاف — للزمخشري .

(٧٦) المنجنيق : آلة حربية ، كانوا يرمون بها الحجارة ، ومنها قالوا : جثق الحجر : رماه
بالمنجنيق .

(٧٧) في ع : « المناجيق »

« وَمِثْلُ كَلِمَةِ خَيْثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ اجْتَثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٧٨) » .

وقد ذكرتُ في وصف المنجنيق ، في معنى غير هذا ، فقلت :
وَنُصِبَتِ الْمَجَانِيْقُ (٧٩) فَأَنْشَأَتْ سُحُبًا يُخْشَى مَحْلُهَا ، وَلَا يُرْجَى
وَبَلُّهَا ، فَمَا سَيَقَتْ إِلَى بَلَدٍ حَيٍّ إِلَّا أَمَاتَتْهُ ، وَلَمْ تَأْتِهِ إِلَّا أَنَّهُ أَمَرَ اللَّهَ
إِذَا أَتَتْهُ . فَهِيَ تُنْبِتُ لِأَهْلِ كُلِّ أَمْرِ مَرِيحٍ (٨١) ، لَا كُلَّ زَوْجٍ بِهِيج .
فَلَمْ تَزَلْ تَقْدِفُ السُّورَ بِصَوْبِهَا (٨٢) الْمِدْرَارِ ، وَتُنْزِلُ عَلَيْهِ جِبَالًا مِنْ بَرَدٍ ،
غَيْرَ أَنَّهَا مِنْ أَحْجَارٍ .

في هذا الفصل اربعة معان من القرآن الكريم :

الأوّل : من سورة فاطر ؛ في قوله تعالى : « وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ ،
فَتُفِيرُ سَحَابًا ، فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ ، فَأُحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا . كَذَلِكَ
النُّشُورُ » (٨٣) .

والثاني : اول سورة النحل ؛ في قوله تعالى : « أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا
تَسْتَعْجِلُوهُ » (٨٤) . ومن سورة يونس ؛ في قوله تعالى : « ... أَتَاهَا أَمْرُنَا
لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ، فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا ، كَانَ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ » (٨٥) .

واخذُ هذا المعنى من « سورة يونس » في هذا الموضع اولى من اخذه
من « سورة النحل » لمكان قوله تعالى : « فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا » وكذلك فعل
المنجنيق في الأسوار .

(٧٨) سورة ابراهيم ؛ الآية : ٢٥ .

(٧٩) في ع : « نصبت المناجيق »

(٨١) امر مريج : ملتبس مختبط

(٨٢) بصوبها المدرار ؛ من قولهم : صاب المطر : انصب ونزل .

(٨٣) سورة فاطر ، الآية : ٩

(٨٤) سورة النحل ، الآية : ١

(٨٥) سورة يونس ، الآية : ٢٤

والثالث : من « سورة ق » ؛ في قوله تعالى : « بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ، فهم في أمرٍ مريج » (٨٦) وقوله تعالى : « وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ، وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ، وَانْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ » (٨٧) .

والرابع : من سورة النور ؛ في قوله تعالى : « وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ » (٨٨) .

ومن هذا القسم ما ذكرته في فصل من فصول الكلام ؛ في معنى التوكُّل : ووثقت بالطف الله ، التي جعلت النار برداً وسلاماً ، ومُسْتَقْبَرًا ومقاماً . ولم اكن ممن كفر بياسه ، وضلَّ بإبلاسه (٨٩) . فالطف الله لا يعرفها إلاَّ مَنْ عرفه فوقاه حقه ، ولم يكن ممن ضرب له مثلاً ونسى خلقه .

في هذا الفصل ، اربعة معان من القرآن ، كالفصل الذي قبله : الأول : في قصّة ابراهيم عليه السلام ، وقد تكرر ذكرها في عدّة من السُّور (٩٠) .

والمعنى الثاني : في سورة الصافات ، في قصة يونس — عليه السلام — ، في قوله تعالى : « فَالْتَقِمَهُ الْحُوتُ ، وَهُوَ مُلِيمٌ ، فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ، لَكَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ » (٩١) .

والمعنى الثالث : في « سورة يوسف » — عليه السلام — في قوله تعالى : « يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ، وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ » (٩٢) .

(٨٦) سورة ق ، الآية : هـ

(٨٧) سورة ق ، الآية : ٧

(٨٨) سورة النور ، الآية : ٤٣

(٨٩) ابليس : قل خيره . وأبلس من رحمة الله : يشس

(٩٠) في سورة الأنبياء ، الآية : ٦٩ ، في قوله تعالى : « قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ »

(٩١) سورة الصافات ، الآيات : ١٤٢ — ١٤٤

(٩٢) سورة يوسف ، الآية : ٨٧

والمعنى الرابع : من سورة يس ؛ في قوله تعالى : « وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ، قال : مَنْ يُحيي العظامَ ؛ وَهِيَ رَمِيمٌ » (٩٣) .

وهذا الفصل يكفيك - ايها المترشح لتعلم هذه الصناعة . ألا ترى الى قصر متنه ، وتقارب طرفيه ، واختصار الفاظه . وهو مع ذلك منتظم من اربعة معانٍ من القرآن ، حتى كأنه لا يزيد عليها ، ولا ينقص عنها . !

وهذا إنما يستطيعه ، من آتاه الله قدرةً على التصرف ، في تناول المعاني ، من مظانها ، واقتطاعها من معادنها .

ومن هذا القسم ، ما ذكرته في وصف كتاب ، ورد عن بعض الإخوان ، وهو :

ورد كتابه فطلع طلوع الصباح السافر ، على المدلج (٩٥) الحائر . بل قدم قدوم البرء على السقم ، والثروة على العدم ، بل اضاء اضاءة النار للكليم ، وورد ورود القميص على وجه الكظيم ، لا بل اقبل اقبال الحياة على الأجساد ، والحيا على السنة الجماد ، فعمظم موقعه أن يُدال باليد : او ينال بالنظر ، او يعدد في الآيات لا في السور ، او يقال : إنه جاء في حسنه وإحسانه على قدر ، او يوصف بأنه ثاني المطر ، او ثالث الشمس والقمر .

ومن هذا القسم ما يأتي (٩٦) ذكره ، في ذمّ رجل ؛ وهو كتاب كتبه اليه ، فقلت :

إذا كتبت مثالبه في كتاب ، اجتمع عليه بنات ورددان (٩٧) ، وحرّم عليّ ان ابدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم ؛ لأتّهم القرآن .

(٩٣) سورة يس ، الآية : ٧٨

(٩٥) المدلج : من ادلج : سار الليل كله او في آخره

(٩٦) في ع : « ما ذكرته من جملة كتاب كتبه اليه »

(٩٧) بنات ورددان : دوية كريمة الريح ، تألف الأماكن القذرة في البيوت .

وهذا معنى غريب لم أَسْبَقَ إليه ، ولا جاء به احدٌ غيري .

ومما ينخرط في هذا السلك ، ما اورده ، في صدور الكتب من الأدعية . وقد عرّفتك فيما تقدّم من هذا الكتاب ، أنني انشأتُ مائة دعاء ، وأودعتُ كلاً منها معنى آية من القرآن ، وخبر من الأخبار النبويّة ، أو معنى بيت سائر ، واوفرتُ لتلك الأدعية كتاباً يخصّها .

ومما ذكرته (٩٨) هاهنا دعاء في صدر كتاب يتضمّن الهناء بعود امر بعد ذهابه ، وهو :

ردّ الله حقوقه الى نصابها ، وخصّه من أحرار المعاني بملك رقابها ، وزاد مناقبه بكثرة ضرائبها ، وعدم اضرباها . وجعله من الأسرة التي تفخر بطريف (٩٩) مساعيها ، لا بتليد احسابها . وحفظ سماء مجده من شياطين الأعداء ، فلا يختطف منها خاطف الا تبعه ثاقب شهابها . وجمع الناس على ودّه وحسده ، حتى يحظى من نخائل (١٠٠) القلوب بلبابها ، ومن حيرة العقول بتعجّب ألبابها .

في هذا الدعاء ، معنى واحد ، من القرآن ، في سورة الصافات ، وهو قوله تعالى : « إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ، لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ، وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دَحُورًا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ، إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ ، فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ » (١٠١) .

وها هنا دعاء آخر ، من هذا الأسلوب ، وهو :

جعله الله في اقتناء المعالي من المكثرين ، وخلّد ذكره تخليد المنظرين .

(٩٨) في ع : « وما ذكرها هنا »

(٩٩) في ع : « بطريق »

(١٠٠) النخيلة : الطيعة والنصيحة الخالصة . يقال : « لا يقبل

الله الا نخائل القلوب »

(١٠١) سورة الصافات ، الآيات : ٦-١٠

واحضره السعادة ، ولا جعله في الآخرة من المحضرين . ورفع مكانه فوق الناس ، حتى لا يكون فيه احدٌ (١٠٢) من المُستترين ، وقرن النصر بمساعيه ، فإذا نزل بساحة قوم ، فساء صباح المُندَرين .

هذا الدعاء من غرائب الأدعية ، ولا يكاد (١٠٣) يقع مثله ؛ لأن معاني الآيات ، قد جاءت في اواخر الفقر كلها على نهج واحد .

اما الفقرة الأولى ، ففي قوله تعالى ؛ في سورة (ص) : « قال ربّ فأُنظرنِي الى يوم يُبعثون » ، قال : فإنّك من المُنظَرين الى يوم الوقت المعلوم » (١٠٤) .

واما الفقرة الثانية ؛ ففي قوله تعالى ، في سورة الصافات (١٠٥) ، في مواضع منها ؛ في قصص الأنبياء — عليهم السلام — .

واما الفقرة الثالثة ؛ ففي قوله تعالى ؛ في سورة يونس : « فإن كنتَ في شكٍّ مما أنزلنا إليك ، فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك . لقد جاءك الحقُّ من ربِّك ، فلا تكوننَّ (١٠٦) من المُستترين » .

واما الفقرة الرابعة ؛ ففي قوله تعالى ؛ في سورة الصافات : « أفعذابنا يستعجبون ، فإذا نزل بساحتهم ، فساء صباح المُندَرين » (١٠٧) .

وهاهنا دعاء آخر من هذا الضرب ، وهو :

ادام الله سلطان الديوان العزيز النبويّ ، وأعلى له أمرا ، ورفع له ذكرا . وارسل رُسُلَ جدوده تترى . وخلق له نسباً من المعالي وصهرا . ودوّن مدائح احسابه قرآناً ، إذا دوّنت الأحساب شعرا . واخدمه من مطايا

(١٠٢) في ع : « لا يكون احد فيه من المستترين »

(١٠٣) في ع : « لا يكاد » بحذف « الواو »

(١٠٤) سورة ص ، الآيات : ٧٩ — ٨١

(١٠٥) سورة الصافات ، الآية : ٥٧

(١٠٦) سورة يونس ، الآية : ٩٤

(١٠٧) سورة الصافات ، الآية : ١٧٧

الدهر بيضاً وسوداً . ومن مقاليد النصر بيضاً وسُمرًا ، واره في اعداء دولته ،
ما يقال فيه معه : « إذا هلك قيصر ، فلا قيصر ، وإذا هلك كسرى ، فلا
كسرى » .

في هذا الدعاء من معاني القرآن معنيان ؛ احدهما في سورة المؤمن ،
والثاني في سورة الفرقان .

الأول ؛ في قوله تعالى : « ثم ارسلنا رسلنا تترى » (١٠٨) .

والثاني ؛ في قوله تعالى : « وهو الذي خلق من الماء بشراً ، فجعله نسباً
وصيهراً » (١٠٩) .

وفيه حديث من الاحاديث النبوية ، وهو قوله ، صَلَّى الله عليه وسلم :
« اذا هلك قيصر ، فلا قيصر بعده ، واذا هلك كسرى فلا كسرى
بعده » (١١٠) .

وينتظم بهذا الدعاء دعاء آخر ، وهو :

أُوحِدَ (١١١) الله مساعي المجلس السامي ، وشرع له منها شرعةً
ومِنْهَاجا ، وخلق محامد افعاله ازواجاً . وصوّر مجده في سماء المعالي
سِراجاً ، ونجاه من طُور السعادة ، حتى يظلّ منها مناجي ، ولا اغلق دونه
من المطالب رِثاجاً (١١٢) ، وأعذب عيشة حياته ، اذا كان العيشُ
ملحاً أجاجاً (١١٣) .

في هذا الدعاء اربع آيات من القرآن :

(١٠٨) سورة المؤمنون ، الآية : ٤٤ وليس سورة الفرقان

(١٠٩) سورة الفرقان ، الآية : ٥٤

(١١٠) رواية الحديث في مسند احمد بن حنبل ١٦/٢ : « ويهلك قيصر فلا يكون قيصر بعده ،
ويهلك كسرى فلا يكون كسرى بعده »

(١١١) في ع : « اوجد »

(١١٢) الرتاج والرتج : الباب العظيم . ورتج الباب : اغلقه

(١١٣) اجاج : من اج الماء اجاجا : صار ملحاً مرّاً

احدها : في سورة المائدة ؛ في قوله تعالى : « لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا » (١١٤) .

والآخر في سورة النبأ ! في قوله تعالى : « وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا » (١١٥) .

والثالث ؛ في هذه السورة ايضاً (١١٦) .

والرابع ؛ في عدة من سور القرآن (١١٧) .



(١١٤) سورة المائدة ، الآية : ٤٨ ، وليس سورة الأنعام

(١١٥) سورة النبأ ، الآية ٨ وليس النازعات ، كما في ق .

(١١٦) سورة النبأ ، الآية : ١٣

(١١٧) اشارة الى عدة سور منها البقرة ، الآية : ٦٣ والآية : ٩٣ ، وسورة النساء ، الآية

١٥٤ ، ومريم ، الآية : ٥٢ وطه ، الآية : ٨٠ ، والمؤمنون ، الآية : ٢٠

الفصل الثالث

في حل الأخبار النبوية

والخطبُ في حفظ الأخبار ، غير الخطب في حفظ القرآن ؛ وذلك أن الأخبار لا حاصر لها ، ولا ضابط . وينبغي (١) لصاحب هذه الصناعة ، ألا يقتصر على حفظ الصحيح منها ، الذي ثبتت صحته ، بل يحفظ الصحيح وغير الصحيح طلباً للاستكثار من المعاني التي تقتضيها الحوادث الطارئة ، والوقائع المتجددة . وقد اكثر الوصيَّة في هذا فيما تقدّم . ومن لم تنبهه نحيزة (٢) طبعه ، لم تنبهه قوارع سمعه .

والسيفُ ما لم يُلفَ فيه صيقلٌ

من سنخه (٣) لم يتففع بصقالٍ

واذا احوجك الفرس الى حركة سوطه وعينانه ، فإنه لا يبلغ الغاية من ميدانه . واعلم ان حلّ الأخبار النبوية ، كحلّ الآيات ، في انقسامها الى قسمين : احدهما : ان يؤخذ بعض اللفظ فيجعل اولاً .

والآخر : ان يؤخذ المعنى ، وحده ، ويتصرف فيه بوجوه التصرفات . وقد اوردت لك هاهنا ما تجمله لوردك مساعاً ، ولذكرك (٤) بلاغاً ؛ فمن ذلك ، ما ذكرته في ذمّ المشيب ، وهو :

المشيب إعدامٌ لايسار ، وظلام لا انوار . وهو الموت الأوّل الذي يُصلي ناراً من الحمّ ، اشدّ وقوداً من النار . ولئن قال قومٌ إنه جلاله ؛ فإنهم

(١) في ع : « ولا ينبغي لصاحب هذه الصناعة ان يقتصر »

(٢) النحيزة : الطبيعة ؛ يقال : « هو كريم النحيزة »

(٣) السنخ : الأصل . وسنخ الكلمة : اصل بنائها .

(٤) في ع : « ما يجمله لوردك مساعاً ، ولزادك بلاغاً »

دَقُّوا به وما جَلَّوْا ، وافتَوْا في وصفه بغير علم ؛ فضلَّوْا وأضلَّوْا . وما اراه
الآ محراثاً للعمر ، ولم تدخل آلة الحرث دار قوم الآ ذَلَّوْا .

ومن عجيب شأنه انه المملول الذي يُشَفِّق من بُعْده ، والخالق الذي
يُكْرِه نَزْع بُرْدِهِ . ولما فُقِدَ الشباب ، كان عنه عِوَضاً ، ولا عِوَض
عنه في فَقْده .

في هذا الكلام معنيان من الأخبار النبويّة :

احدهما : قوله — صَلَّى الله عليه وسلم — : « ان الله لا يقبض العلم
انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى اذا لم
يُبقِ عالماً ، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ؛ فضلَّوْا
وأضلَّوْا . . . »

والآخر : ان النبيّ صَلَّى الله عليه وسلم ، رأى آلة حرث فقال :
« ما دخلت هذه دار قوم إلا ذَلَّوْا .

ومن ذلك ما ذكرته في فصل من فصول الكلام ، يتضمّن الحثّ على
الصّدّقة ، وهو :

ليست الصّدّقة لمن مرَدَّتْ (٥) على المسألة نفسه ، حتى صار فيها
لحوا (٦) ، وكلمت المطالب وجهه ، حتى اصبحت فيه كدوحا (٧) . إنما
الصّدّقة لمن قَمَّصه الفقر لباساً ؛ فستره ذلك اللباس ، وكان لا يُفْطَن به
فِيْتَصَدَّق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس .

وهذا مأخوذ من موضعين من الأخبار النبويّة :

(٥) مردت ، من قولهم : « مرد على النفاق » : مرد واستمر

(٦) في ع : « لجوجاً » ولا يستقيم بها السجع

(٧) الكدح : الخدش .

الأوّل : قول النبي ، صلى الله عليه وسلّم ، : « المسائل كندوح يكدح بها المرء وجهه ، إلاّ ان يسأل السلطان (٩) ، او في أمر لا يجد منه بُدّ »
والثاني : قوله صلى الله عليه وسلّم ، : « ليس المسكين من تردّه اللقمة واللّقمتان ، والتمرّة والتمرّتان ؛ انما المسكين من لا يجد غنى (١٠) يغنيه ، ولا يَفْطَن (١١) له فَيُتَصَدَّقُ عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس (١٢) . »
فانظر كيف تسوّرتُ على هذين الحَبَرَيْنِ ، واخذتُ المعنى منهما ، ثم اني صُغّته في هذه الأسجاع ، التي تشرق في جوانب الأسماع . وأودعته في هذه الفِقَر ، التي الأذهان لها فقيرة ، وللبصائر منها بصيرة .
ومن هذا الباب ، ما ذكرته في صدر كتاب الى الديوان العزيز النبويّ ببغداد ، وهو :

الخادم يبدأ كتابه بتمجيد المواقف المقدّسة ؛ التي لها (١٣) من أوّل كلّ كتاب مكان البَسْمَلَة ، ومن آخره مكان الحمدلّة . ولولا ذلك لكان كاليد الجَدَماء ، او كالكلمة العَجَماء . ولا تُقْبَلُ صلاة بغير تطهير ، ولا يتمّ افتتاحها بغير تكبير . وقد تفاعل الخادم بنجح طِلابه ، اذ تيمّن بذلك في صدر كتابه . فإن تقديم الوسيلة قبل الإقترّاح ، من أوكد الأسباب في تسهيل النجاح .

في هذا الكلام معنى خبرين من الأخبار النبويّة :

-
- (٩) في ع : « إلا ان يسأل ذا السلطان » . وفي ن : « الا ان يسأل ذا سلطان »
(١٠) في ع : « لا يجد غني يمينه » وفي ن : « غناء »
(١١) في ع : « ولا يَفْطَن به » وقد سقطت « به » من الاصل .
(١٢) ورواية الحديث في مسند احمد بن حنبل ٣٨٤/١ : « ليس المسكين بالطواف ولا بالذي تردّه التمرّة والتمرّتان ، ولا اللقمة ولا اللقمّتان ، ولكن المسكين المتعفف الذي لا يسأل الناس شيئاً ولا يَفْطَن له فيتصدق عليه »
(١٣) في ع : « التي لها من كل كتاب »

الأول : قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، : « كلُّ كلام لا يُبدَأُ فيه ب : « الحمدُ لله » ، فهو كاليد الجذماء (١٥) » .

والثاني : قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم : « إن الله لا يقبل صلاة بغير طهور » (١٦) .

ومن هذا النوع ما ذكرته في فصل من كتاب ، وهو (١٧) :
لو كنت جاراً لمولانا ، لما اقدمتُ عليّ صروف الايام . ولا نظرتُ اليّ إلاّ بعين الإجلال والإعظام . ولكنّي بَعُدْتُ عن داره ، فأخذتُ منّي بالنّاصية . وفرّستني (١٨) ، وللذئب من الغنم القاصية .

في هذا الفصل معنى من الأخبار النبويّة ، وهو ، قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، : يدُ الله على الجماعة . ومن شدّ شدّ إلى النار ، وانما للذئب من الغنم القاصية » (١٩) .

ومن هذا الضرب ، ما ذكرته في صدر كتاب ، وهو :
الخادم يفتح كتابه بالدعاء ، الذي لا يزال لقلبه زميلاً ، وللسان رسيلاً .
واذا دُفِع ادنته الملائكة قريباً اذا تباعدت عن غيره ميلاً . ولا اعتداد بالدُّعاء إلاّ اذا صدر عن اكرم مصدر ، ووجد له فوق السماء مظهرها ؛ وإن لم يكن هناك من مظهر . ووصف باطنه بأنّه الأبيض الناصع ، الذي هو خيرٌ من ظاهره اشعث أغبر . ولا يُعامل الخادم اهل ودّه الا بمثل هذه المعاملة .
ومن خلّقه المجازفة في بذل المودّة ، اذا اخذ الناس بسُنّة المُكايلة .

(١٥) في لسان العرب ، (مادة جذم) وفي مستد احمد : ٣٤٣/٢ : « كل خطبة ليس فيها شهادة كاليد الجذماء »

(١٦) الحديث في سنن ابي داود : ٢٦١/٤ ط مصطفى محمد بالقاهرة

(١٧) في ع : لم ترد : « وهو »

(١٨) في ع : « ففرستني » وفرس الأسد فريسة : دق عنقها او اصطادها .

(١٩) في الترمذي : ١٠/٩ ط الصاوي ، : « يد الله مع الجماعة ... »

في هذا ، ما هو مأخوذ من الخبر النبوي ، وذلك : انه قال صلى الله عليه وسلم : « اذا كذب ابنُ آدم تباعد عنه الملكُ ميلاً من نتن ريحه » (٢٠) .

ومن هذا الضرب ؛ ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمن عناية ، ببعض الفقراء ، وهو :

قد جعل الله النصر والرزق منوطين بالإحسان الى الضعيف ، فمن شاء ان يحظى بهذين الأمرين فليرضخ ولو بالقدر الطفيف . وقد علم ان النار تُتقى بشقِّ تمرّة . وما سدّ رمقاً فلا يُطلق عليه اسم قِلّة ، وإن لم يكن موصوفاً بكثرة .

في هذا الكلام معنيان من معاني الأخبار :

احدهما : قول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « ابغوني ضعفاءكم فإنما تُنصّرون وترزقون بضُعفائكم » .

والآخر : قوله ، صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من احدٍ إلا سيكلّمه ربّه كفاحاً ، ليس بينه وبينه ترجمان ؛ فينظر أيّمن منه فلا يرى إلا ما قدّم ، وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدّم ، وينظر تالقاء وجهه فلا يرى إلا النار . فاتقوا النار ، ولو بشقِّ تمرّة » (٢١) .

ومن هذا الباب ما ذكرته في وصف كلام ؛ في جملة كتاب كتبتُه الى بعض الإخوان ؛ من اهل الفضل ، وهو :

ما استثار (٢٢) من معدن فصاحته لفظاً إلا اتى به زوجاً ، ولم يأت

(٢٠) في ع : « تباعد عنه الملك ميلاً من نتن ريحه » . وفي الترمذي : ١٤٧/٨ : « اذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلاً من نتن ما جاء به »

(٢١) يروى الحديث روايات ؛ في البخاري ص ٢٤٦ ط الحلبي : اتقوا النار ولو بشق تمرّة « وفي الترمذي : ٧٤/١١ : « ولا تردى المسكين ولو بشق تمرّة » . وفي مسند احمد بن حنبل ٤٤٦/١ : ليق احذكم وجهه من النار ولو بشق تمرّة »

(٢٢) في ع : « ما اشتهر »

به فَرَدَا . ولا استولد بنت فكره معنى ، الا جاءت به أَصَيَّهَبَ أَثَيَّبَجَ ، ولم تأت به أوركَ جَعْدَا . فألفاظه ذاتُ إخاء في استخراجها ، ومعانيه ذات رشدة في استنتاجها . فلهذه صحة النسب في إعزائها ، ولتلك زينة الأسجاع في اعتدال أجزائها .

وهذا الفصل من اغرب ما يأتي في هذا الباب ، وفيه معنى واحد من الأخبار النبوية ، وهو : ما ورد في قصة هلال (٢٣) بن أمية ، حين رمى زوجته بالزنا . وهو خبرٌ مُطَوَّلٌ ، لا حاجة الى استقصاء ذكره بجملته ، بل نذكر الغرض منه ، وهو أنه لما لاعن رسول الله صلى عليه وسلم بينه وبين زوجته ، وفرق بينهما ، قال : « إن جاءت به أَثَيَّبَجَ (٢٤) ، أَصَيَّهَبَ ، أَرَيَصِحَ (٢٥) ، حَمَشَ (٢٦) السَّاقِينَ ، نَاتِيءَ الإِلَيْتِينَ ، فهو لَهلال بن أمية . وإن جاءت به أورك (٢٧) جَعْدَا جُمَالِيَا (٢٨) ، خَدَلَّجَ السَّاقِينَ ، سَابِغَ الإِلَيْتِينَ ، فهو للذي رُمِيَ به . فجاءت به أورك جَعْدَا جُمَالِيَا ، خَدَلَّجَ السَّاقِينَ ، سَابِغَ الإِلَيْتِينَ ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لولا الإيمان لكان لي ولها شأن » .

ومن هذا الأسلوب ، ما ذكرته في وصف القلم ، وهو :
قلمه ، هو القلم الصَّنَاع في صناعته ، الذي اذا كسدت بضائع الأقلام نفقت سوق بضاعته . ومن خصائصه ، أنه تُهْزَمُ الجيوش ببأس شجاعته ،

(٢٣) هلال بن أمية : احد الثلاثة الذين تاب الله عليهم ، وفيه نزلت الآية الكريمة : « والذين يرمون أزواجهم ، ولم يكن لهم شهادا الا انفسهم ، فشهادة احدهم اربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين انظر كشف الزمخشري ٢١٦/٣

(٢٤) أثيبج : تصغير اثيبج ، وهو الناتىء الشج ، وهو ما بين الكتفين ، وجاء بها مصفرة ؛ لأنها صفة لمولود

(٢٥) في ع : « اريصح » والأريصح : تصغير ارحص - بصاد وحاء مهملتين - وهو خفيف لحم الإليتين

(٢٦) أحمش الساقين : دقيقتها

(٢٧) الأورك : الأسر

(٢٨) الجمالي : العظيم الخلقة ، كأنه الجمل في القد .

وَتُسْتَفْتَحُ الحصون بحكم براءته . ولَمَّا جُدِعَ انفُهُ وتَقَمَّصَ لباس السواد ، قيل : هذا (٢٩) الحبشيُّ الأَجْدَعُ الذي أَمَرَ بطاعته .

وهذا معنى غريب ، لم اسبق اليه ، ولا اخترعه احدٌ قبلي . وهو مُسْتَنْبَطٌ من قول النبي ، صَلَّى الله عليه وسلّم ، في الحثِّ على الطاعة ، وملازمة الجماعة ، فقال : « أَطِيعُوا ! ولو عبداً حبشياً مُجَدَّعاً ، ما اقام عليكم كتاب الله » (٣٠) .

ولمَّا كان القلم مجدوعاً ، لابساً لباس السواد من المداد ، استنبطتُ له هذا المعنى الشريف اللطيف . فالحظُّهُ ايُّها المتأمل ، وأنصِفْ من نفسك حتى تعلم مقدار ما أتيتُ به في هذا الموضع . ومن هذا الاسلوب ايضاً ، ما ذكرته في وصف كلام لبعض البلغاء ، فقلت :

أفكار الخواطر لا تستولد المعاني على انفرادها . وغايتها ان تتناكح في استنتاج اولادها . وهو ينكح فكره لفكره ، نكاح الأنساب للأنساب ، ولا يخاف ان يُضوي فيميل الى الإغتراب .

في هذا الفصل معنى من الأخبار النبويّة ، وهو قول النبيّ ، صَلَّى الله عليه وسلّم ، : « اغتربوا لا تَضُؤوا » ؛ يريد بذلك : ان ينكح الرجل غير القرابة القريبة ، كيلا يجيء الولد ضاويّاً .

والمعنى الذي قصده هاهنا ، غريب لم اسبق اليه ، وإن كان اصله من الخبر النبويّ .

ومن ذلك ما ذكرته في عيادة مريض ، وهو فصلٌ من جُملة كتاب : ولَمَّا بلغ الخادم خبر شكاته ، هيضَ منه ما ليس بمهيض واصبح ، وهو الصحيح ،

(٢٩) في ع : « قيل هذا هو الحبشي »

(٣٠) في مسند احمد : ١٦١/٥ : « اسمع واطع ولو لعبد مجدع الأطراف » وفي الترمذي : « اسمع واطع وإن كان عبداً مجدع الأطراف »

اشدّ شكوى منه وهو المريض . وقد ودّ لو وقاه ، وتلك اقصى درجات الوداد . ولم يبق إلا نفسه بنفسه ؛ وقد تجتمع النفسان في جسد من الأجساد . ولولا انه يؤمل بشرى العافية ، لم يكن لفوادح الهم بمطيق ، ولا من غمراته بمُفِيق ، ولكان كالذي خرّ من السماء فتخطفه الطير ، أو تهوى به الريح في مكان سحيق . وقد ناجاه امله انّ هذه الشكاة لاتلبث ، الا لبث الزائر عند المزور ، وانها لم تأت الا لتظهر ما عند الناس من مودّات الصدور . فكم من ايدٍ بالدُّعاء ممدودة ، ونذور عند الله مُعدّة وليست معدودة . وكم من آخذٍ بالخبر النبويّ في جعل الصدقة طيبيا ، ومن مُتفائل بأحاديث منامه ، ثمّ لا يُحدّث بها الا ليبيّا او حبيبا . وللخادم من ذلك مزيّة يشهد بها لسانُ الضمير ، الذي هو اصدق لسان ، وهي خُزَيْمِيَّة النسب لا يحتاج معها الى شاهد ثان .

في هذا الكلام ثلاثة اخبار :

الأول : قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم : « داووا مرضاكم بالصدقة ».

الثاني : قوله — صلّى الله عليه وسلّم — : « رؤيا المؤمن جزء من اربعين جزءا من النبوة » ، وهي على رجل طائرٍ ما لم يحدث بها ، فإذا حدث بها سقطت ، ولا يحدث بها الا ليبيّا أو حبيبا »

الثالث : ان النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، ابتاع من اعرابيّ فرساً واستتبعه الى منزله ، ليقبضه الثمن . واسرع النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، وأبطأ الأعرابيّ ، فطيفق ناس يساومونه الفرس ، ولا يشعرون ان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ابتاعه منه ، فناده الأعرابيّ : إن كنت مبتاعاً هذا الفرس ، وإلاّ بعته . فخرج اليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقال : ألم تبيعنيّه ! ؟ فقال الأعرابيّ : لا ، فقال رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، : بلى ، قد ابتعته منك ، فقال الأعرابيّ : هلّمّ شاهداً ، فاجتاز

خُزَيْمَةَ بن ثابت ، فقال ، أنا أشهد . . فقال رسول الله : بِسْمِ تشهد ياخُزَيْمَةَ ! ؟ فقال : بتصديقك يا رسول الله ؛ فجعل شهادته بشهادتين . وفي هذا الكلام ايضاً ، آية من القرآن ، مضافة الى الأخبار النبوية . ومن هذا القسم ما ذكرته في فصل من كتاب ، يتضمن وصف الحزم ، فقلت :

الحزم عُرْوَةٌ بها يُسْتَمْسَكُ ، وهو كالفرصة التي إن ضُيِّعَتْ فلا تُسْتَدْرَكُ . وقد قامت التجارب فيه بالإندار ، وعرفت مواقع الحذار . فإن شئت ان تُدعى حازماً ، فلا تأخذ بالعزائم الضعيفة ، ولا تُهمِّل الأمور في أولها حتى تأتي ، وهي رديفة . واعلم ان الحسين لم يُقتل يوم كربلاء ، وإنما قتل يوم السقيفة .

في هذا الكلام معنى الأثر المنقول في قصة يوم السقيفة . ومن هذا النوع ما ذكرته في فصل من كتاب ؛ يتضمن ذكر قتال الكفار ، ووصفت فيه المسلمين ، فقلت :

وما منهم إلا مَنْ مشى الى الحِمام ، مَشْيَ عُمَيْرِ بن الحُمام . ورأى حياة يومه طويلة فقصرها ، بمبادرة الإقدام . ولا يغلو ذلك لمن وجد سِلْعَةَ الله سوقاً ، وأحبَّ ان يكون بعد موته حياً مرزوقاً . وهؤلاء هم سيوف الله التي اذا جُرِّدَتْ زالت الهامُ عن مناكبها ، واستوى في القتل أنفُسُ مضروبها وضاربها . فلا عليها اذا جاهدت صابرةً محتسبةً ما كان من موارد هُلْكِها . ولا أَلَمَ عندها للأكلوم ، اذا جاءت يوم القيامة ، ولونها لون دمها ، وريحها ريحُ مِسْكِها .

وهذا الفصل غريب عجيب ، وقد اغتُرف من بحر ، لا من قَلْبٍ . وفيه ما هو مأخوذ من الأخبار النبوية ، وما هو مأخوذ من القرآن . وإنما نذكر هاهنا الأخبار ، دون القرآن ؛ لأنّه من مهم هذا الموضع دون غيره .

وهاهنا معنى ثلاثة اخبار :

الأول : ما ورد في حديث غزوة بدر ؛ وهو : انه قال النبي - صلى الله عليه وسلم ، : « قوموا الى جنة عرّضها السموات والأرض » ، فقال عُمَيْر ابن الحمام : بخ بخ ! يا رسول الله ! فقال : ما حملك على قولك : بخ بخ ؟ قال : رجاء ان اكون من اهلها ، فقال : انت من اهلها . فأخرج تمرات من قرنه ، وجعل يأكل ، ثم القاها من يده ، وقال : إن حييتُ حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة ! ثم مشى الى العدو ، وقاتل حتى قُتِل ..

والثاني : قوله ، صلى الله عليه وسلم ، : « ألا إن سِلعة الله غالية ؛ ألا إن سلعة الله هي الجنة » .

والثالث : ما ورد عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في فضل الجهاد ؛ وهو قوله : « والذي نفس محمد بيده ! ما من كَلِمٍ يُكَلِّمُ في سبيل الله ، إلاّ جاء يوم القيامة ، ولونه لون دَمٍ ، وريحه ريح مسك » .

وفيه ايضاً معنى آية من القرآن ؛ وهي قوله تعالى : « ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً ، بل احياء عند ربّهم يُرزقون » .
إلاّ انّ هذا الموضع . مختصّ بالأخبار ، دون الآيات ؛ فإذا ورد فيه معنى آية ، فإنّما تأتي ضمناً وتبعاً .

ومن هذا الاسلوب ، ما ذكرته في تهذيب النفس ، ودو :

القلوب متجاذبة بين لمة ملكٍ ولمة شيطان . وهما في هدايتها وإغوائها كفرسي رهان . ولذا ترددت أعمالها ؛ في الخير مرّةً ، وفي الشرّ اخرى وقال الله في مثلها : « فذكرّ إن نفعت الذكرى (٣٣) » وعلى كلّ حال فلا يصفو من كان في الحمأ (٣٤) صورة خلقه ، ولم يبلغ في النزاهة من

(٣٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٨ .

(٣٣) سورة الاعلى ، الآية : ٨ .

(٣٤) الحمأ : الطين .

الأدناس مَنْ شاركته البهيمة في معنى خلقه . والسلامة مخصصة بمن اعانه الله على قرينه فأسلم ، وجعل علمه من لدنّه ؛ فلم يفتقر الى التعليم فيما يعلم . في هذا الكلام معان من القرآن ، وليس هذا بابه ، وانما جاء في هذا الفصل ضمناً وتبعاً . وقد تَضَمَّن معنيين من الأخبار النبويّة :

احدهما : قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، : « مامنكم من أحدٍ إلاّ قد وُكِّل به قرينه من الملائكة ، وقرينه من الشياطين . فقالوا : وانت يا رسول الله ؟! قال : « وانا ، إلاّ انّ الله أعانني عليه فأسلم . »

والآخر : قوله ، صلّى الله عليه وسلّم ، : « قلب المؤمن بين لمة ملكٍ ولمة شيطان »

ومن هذا الباب ما ذكرته ، من فصل من كتاب الى بعض العُصاة ، وكان قد اذعن بعد عصيانه :

ولقد حذرناك عقبي الشقاق ، فلم يكن لك الى ذلك القول إصغاء ، واتييت اليوم كالذي يأتي يوم القيامة ، وعلى رقبتك جَمَلٌ له رُغاء ، او شاةٌ لها ثغاء . وكما لم يغن رسول الله شيئاً عن صاحب الشاة والجمل ، فكذلك لا يغني الشُّفَعاء عنك شيئاً ، فيما قدّمته من الخطئ والزَّلَل . والتوبة إن جَبَّتْ ما قبلها فإنها مُعتبرة فيمن ندم على مافات ، وأخلصَ فيما هو آت . واما مَنْ يظهر امراً ويُبْطِن خِلافه ؛ فإنه لا يلج بابها ، ولا يرجو ثوابها .

في هذا الفصل معنى خبرٍ نبويّ ، وهو ان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قام ذات يوم فخطب ، وذكر الغلول فعظّم من امره ، ثم قال : « لا ألفينَ احدكم يجيء يوم القيامة ، وعلى رقبتك جَمَلٌ له رُغاء ، فيقول : يا رسول الله أغثنني ، فأقول : لا املك لك شيئاً ، قد بلّغتك . لا ألفينَ احداً منكم يجيء يوم القيامة ، وعلى رقبتك شاة لها ثغاء ، فيقول : يا رسول الله أغثنني ، فأقول : لا املك لك شيئاً ، قد بلّغتك . »

فانظر الى هذ الخبر ، والى ما صغته انا في المعنى الذي قصدته ، حتى تدري كيف تقصد المعاني المأخوذة ، من الأخبار النبوية .

ومن هذا الباب ، ما ذكرته في ذمّ الزمان ، وهو :

وهذا زمن الفترة الذي في مثله تدول الدّول ، وتُسخ (٣٥) المِلل . فالناس فيها يتهارجون (٣٦) تهارج الحُمُر . ويتهارشون تهارش ذوات الناب والظفُر ؛ فهم فوضى لا يذودهم سرائهم ، ولا تسودهم الا شراتهم .

في هذا الكلام معنى من الأخبار النبوية ، وهو قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، في حديث الدّجال ، وعيسى ابن مريم — عليه السلام — ، وهو حديث مُطَوَّل ، لاحاجة الى ذكره بجملمته ، بل نذكر الغرض المقصود منه ، وهو قوله ، صلّى الله عليه وسلّم ، : « ثم يبعث الله ريباً طيبة ، فتأخذ الناس تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن ومسلم ، ويبقى شِرارُ الناس يتهارجون تهارج الحُمُر ، فعليهم تقوم الساعة » .

ومن هذا الباب ، ما ذكرته في المودّات ، وهو :

لو لا تنقل القلوب من شأن الى شأن ، لما قيل : إنّها بين اصبعين من اصابع الرحمن . فهي تنأى وتقرب ، وتأبى وتصحب . ومن رام بقاءها على حالة واحدة ، فقد كلّفها غير خلّفها ، وسلك بها في غير طرّفها . وفي هذا ادبٌ لمن آخى صديقا ، او صاحب رفيقا ؛ ليكون له عاذراً (٣٧) ، وعلى ما يريبه (٣٨) منه صابرا .

في هذا الفصل معنى من الأخبار النبوية ، وهو قول النبيّ ،

(٣٥) فى ع : وتنسخ .

(٣٦) تهارج الناس : وقعوا في فتنة واختلاط . وتهارج القوم : تهارشوا . واهترشت الكلاب : تحرش بعضها على بعض ، وتواثبت .

(٣٧) فى ع : غادرا ، وهو من سهو الناسخ .

(٣٨) فى ع : وعلى ما يريده منه ...

صلى الله عليه وسلم : « قلوب بني ادم بين اصبعين من أصابع الرحمن يصرفها حيث يشاء كقلب رجل واحد » .

وكذلك ، قلت في فصل آخر ، من جملة كتاب ، وهو :

كنت عنده بالمنزلة التي آمن بها ما اجنيه ، فصرت الآن اخاف ما لم أجنه . وكان لا يقبل عليّ شهادة عينه ، فأصبح الآن وهو يقبل شهادة اذنه . لكن لم يجعل الله القلوب بين اصبعين من اصابعه ، إلاّ ليذهب بها في كلّ واد . ومن ههنا كانت تنتقل من وداد الى قلى ، ومن قلى الى وداد . ولا شك أنّ لهاتين الحالتين عُمراً تنتهي اليه ، كما تنتهي اليه اعمار الأجساد . والصبر خيرٌ ما استعمل في جقاء الإخوان . والماء اذا جرى في مكان ، ثم انحرف عنه ، فلا بدّ وان يعود الى ذلك المكان .

ومن هذا الباب ما ذكرته ، في فصل من كتاب يتضمّن فتحاً من فتوح الكفّار ؛ فذكرت فيه المسلمين ، وحراستهم العدو ، وهو :

فباتوا يحرسون العدوّ باحدى العينين اللتين لا تمسّهما النار ، وفازوا بأجر القائم الصائم ، ولا الأقدام منتصية ، ولا الأكباد حيرار .

في هذه الكلمات اليسيرة ، معنى خبرين من الأخبار النبويّة :

احدهما : قول النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، : « عينان لا تمسّهُما النار ؛ عينٌ بكّت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » .

والآخر : قوله ، صلى الله عليه وسلم - : « للمجاهد اجر الصائم القائم » .

ومما يجري على هذا النهج ، ما ذكرته في صدر تقليد بولاية ، وهو : الفراسة تُعرب عيونها ، وتصدق ظنونها . والإنسان سرٌّ مكنون يظهره الاختبار . وقد عوّلنا في ولاية فلانة على فلان . وما اهتّلناه لها ، حتى توسّمنا منه ، ما يُتوسّم من الصّالحين . وعصّدنا رأينا فيه برأى من

عندنا من الناصحين . ونحن نسأل الله ان نكون ممن حظي بالأجرين في اجتهاده ، وارتاد للرعايا ، ما راقب جانب التقوى في ارتياده .

وقد اودعت هذا الكلام معنى خبرين من الأخبار النبوية .

احدهما : قول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « ابن آدم سِرٌّ مكنون تُظهره القدرة ، ويُخفيه العجز » .

وهذا موضع ، اخذت فيه بعض اللفظ ، وتصرفت فيه بالباقي ، على حسب ما اقتضاه موضعه .

والخبر الآخر : قوله ، صلى الله عليه وسلم ، : « من اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن اجتهد فأخطأ فله أجره » .

ومما ينتظم بهذا السلك ، ما ذكرته في وصف الحلم ، وهو : تركته حتى سلك ما سلك . وقال ، فما ترك . ولم انتصر خوفاً من قعود الشيطان (٣٩) ، وقيام الملك .

وهذا المعنى ، قد ذكرته بلفظ آخر ، واوردته في كتاب « المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر » ؛ وهو مأخوذ من الأخبار النبوية ، وهو : انه وقع رجلٌ بأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - فقال منه فسكت ، ثم نال منه فسكت ، ثم نال منه فانتصر في المرة الثالثة ، فقام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال ابو بكر : أوجدت عليّ حيث انتصرت ؟ فقال : كان كلما قال لك شيئاً ، كذبه الملكُ بما يقول . فلما انتصرت قام الملكُ ، وقعد الشيطان . وما كنتُ (٤٠) لأقعد حيث قعد الشيطان . وهذا من اغرب ما يجيء ، في حلّ الأخبار النبوية .

(٣٩) في : قعود السلطان ، ولا يستقيم به المعنى .

(٤٠) في ع : ولم اكن لا قعد .

ومن هذا القسم ما ذكرته ، في وصف كريم ، فقلتُ :
ويوت. امواله لا تُحرَس بحارس ، وعذارى عطائه كالبغايا لا تردُّ
يد لامس ؛ فهو الكريم (٤١) الا على كرائم امواله ، وحرَمُه هو المصون
الا عن سؤاله .

في هذا شيء من معاني الأخبار النبوية ، وهو :
انه جاء رجل الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول
الله : إن امرأتي لا تردُّ يد لامس ، فقال : طلقها ، فقال إني أحبُّها ،
فقال : امسكها .

ومن هذا القسم ، ما ذكرته في وصف الأخوة والصداقة ، وهو :
يومه في الصُّحبة كغده ، ولسانه في الطَّهارة كيده ؛ لا يحفر لأخيه
قليبا ، ولا يكون على عوراته رقبيا .

وهذا مأخوذ من قول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، : « من حفر
لأخيه المؤمن قليبا ، القاه الله فيه قريبا »

ومن هذا القسم ، ما ذكرته في فصل من كتاب إلى بعض الملوك ، وهو :
إذا دعا الناس للموكهم باعلاء الشان ، ونفاذ السلطان ، فإن الخادم
يدعو للناس ببقاء مولانا ، الذي بسط لهم قلباً ويداً ، وبَوَّأهم من احسانه
حيث شاءوا رَغَداً . وكان لِكَهْلهم أخوا ، ولناشئهم والداً ،
ولكبيرهم ولداً . فهم من دولته فيما تشتهي الأنفس ، وتلذُّ الأبصار ،
قد جمع لهم من المحبوبات الثلاث ؛ من الخفض ، والأمن ، والإكثار .

فالذي تُنبِت البلاد سرورُ

والذي تمطر السماء مُدام

والأيام قد هدَّبتْها لهم اخلاقه الكريمة ، فهي في معاملتهم أيام صوم

(٤١) في ع : فهو الغيور ، وهو أنسب .

وصلاة ، وفي صُحبتهم كالبُلد الحرام ؛ الذي لا يُنْفَر صيده ، ولا يُخْتَلَى خِلاه . ولا يُسْتَنْى منهم الا الخادم ؛ فَإِنَّهَا ظَلَمْتَهُ ، وما يقول : إِلَّا أَنِهَا كَلَمْتَهُ . وهو يحاكمها الى عدله الذي يأخذ على يد كلٍّ من ظَلَمَ . وقد اعزَّ الله كَلَمْتَهُ ، وَمَنْ عَزَّ حَكَمَ . وفحوى شكايته منها انها اقعدته عن الخدمة بمرضه ، وسدَّدَتْ اليه سَهْمًا ، فكانت العافية من غَرَضِهِ .

في هذا الكلام معان شريفة ، والفاظ لطيفة . وهو حَسَنٌ في فَنِّهِ ، بديع في حُسْنِهِ . وفيه مواضع من القرآن الكريم ، ويشتمل على معنى واحد من الأخبار النبويّة ؛ وهو قول النبيّ ، صَلَّى الله عليه وسلّم ، في فضل مكّة : « إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ ، يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ ، وَلَا يُنْقَرُ صَيْدُهُ ، وَلَا يُلْتَقَطُ لِقَطْعَتُهُ ، إِلَّا مِنْ عَرَفِهَا ، وَلَا يُخْتَلَى خِلاه » .

ومن هذا الاسلوب ، ما ذكرته في صدر كتاب ، وهو :

يَا مَنْ إِذَا قُلْتُ : يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ

في جوده ، قيل لي : يَا أَصْدَقَ الْبَشَرِ

هذا نداءٌ يعذُّبُ النُّطْقَ به على الأَفْوَاهِ ، وتُمتَحَ به قُلُوبُ السَّمَاكِ ، لَا قُلُوبُ الْأَمْوَاهِ . ولا يختص بصدقه الا مَنْ كَانَ نَدَاهُ عَمُومًا ، وقامت مواهبه في وجوه الحوادث خصوصًا . فذلك الذي إذا فودي جوده بنفي الشبيه ، لَبَّتِ الْعَلَيَاءُ مَنْ نَادَاهُ ، وقالت : انا وليُّ مَنْ والاه ، وعدوّ من عاداه .

هذا من مطالع الكتب الغريبة فيما قصد له من المعنى ، وهو يشهد لنفسه . وفيه معنى واحد ، من الأخبار النبويّة ، وهو قول النبيّ - صَلَّى الله عليه وسلّم - في وصف عليّ بن ابي طالب - عليه السلام - وهو حديث مُطَوَّلٌ ، لا حاجة الى استقصاء ذكره ، بل يُشار الى ذكر المعنى المأخوذ منه ، وهو قوله - صَلَّى الله عليه وسلّم - : « اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادَ مَنْ عَادَاهُ ! »

ومن هذا النوع ما ذكرته ، في الأدعية الموضوعة في صدور الكتب من السلطانيات ، والاخوانيات ، وقد تقدم مثله فيما اخذته من الأخبار النبوية ؛ فمنه ما اوردته ، في صدر كتاب ، وهو :

جَبَلَّ الله القلوب على ودّ الحضرة الفلانيّة ، وشفى غليل الصدور برؤائها ، وغلل الآمال برؤائها . وجعل مكارمها مَصْوَغَةً من النفوس واهوائها . ومثلها أمّا لكل عاف حتى تجمع له بين وعائها وسقائها وحوائها (٤٢) .

هذا الدعاء من محاسن الأدعية ، التي تأتي في هذا الباب . ويعزّ أن يُؤتى بمثله . وفيه معنيان من الأخبار النبوية :

احدهما : قول النبيّ — صلّى الله عليه وسلّم — : « جَبَلَّتْ القلوب على حُبٍّ من أحسن اليها » .

والآخر : أنّه جاءت امرأة الى النبيّ — صلّى الله عليه وسلّم — ، فقالت : يا رسول الله ! إنّ هذا ابني كان ثديي له سِقَاءً ، وبطني له وِعَاءً ، وحِجْرِي (٤٣) له حِوَاءً . وإن اباه طَلَّقَنِي ، ويريد أن ينزعه مني . فقال لها النبيّ — صلّى الله عليه وسلّم — : « انتِ احقُّ به ، ما لم تنكحي » . وها هنا دعاء آخر ، من هذا الضرب ، وهو :

حباه الله بالعيشة الناضرة ، وآمنه من الكثرة الخاسرة . وجمع له بين حياة عمره وذكره ، حتى لا تزال الدنيا به عامرة . وسير اقصي المطالب الى بابه اذا كانت الهمم اليها سائرة . وجعل حسن مجده خلقاً مخلوقاً ، اذا احتاج الحُسن الى الواشمة والواشيرة .

في هذا الدعاء ، ما هو مأخوذ من الأخبار النبوية ، وهو :

(٤٢) الحواء : جماعة البيوت المتدانية .

(٤٣) الحجر : حضن الانسان .

ان النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - جاءت اليه امرأة ، فقالت : إن ابنتي أمرّق شعرها ، أفأصلّيه ؟ فقال : « لعن الله الواصلة (٤٤) » ، والمستوصلة ، والواشحة ، والمستوشمة ، والواشيرة والمستوشرة »

وهاهنا دعاء آخر من هذا الضرب ؛ وهو مما يختص بقاض : « انفذ الله حكمه وأمضاه ، وجعله الواحد من القضاء . وبلغ به من الدنيا مدى رضاه . ولا خطر له خاطر أملٍ ، إلّا جاءت الأقدار بمقتضاه . وقسم الزمان بينه وبين أعدائه ؛ حتى يكون لهم اسوداه وله ايضاه . (٤٥) »

في هذا الدعاء معنى من الأخبار النبويّة ، وهو قول النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - : « القضاء ثلاثة : قاض في الجنة ، وقاضيان في النار » وفي الفقرتين الأخيرتين معنى يُسألُ عنه .

وهاهنا دعاء آخر ، مما يجري هذا المجرى ، وهو يختص بمن اسمه عليّ :

اوزعه الله شكر ما أولاه ، وأسعد آخرته كما أسعد أولاه ، وأناله فضل سميّه ، الذي قيل فيه : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيّ مَوْلَاهُ » .

في هذا الدعاء ، معنى من الأخبار النبويّة ، وهو قول النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، في وصف عليّ - عليه السلام - : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيّ مَوْلَاهُ » .

ومما يُسلّك به هذا الطريق ، دعاء من الأدعية التي توضع في كتب الديوان العزيز النبويّ ببغداد ، وهو :

ادام الله سلطان الديوان العزيز النبويّ ، وجعل امداد البقاء لدولته موطنه ،

-
- (٤٤) الواصلة : المرأة تصل شعرها بشعر غيرها . والمستوصلة : الطالبة لذلك .
والوشر : تحديد المرأة اسنانها وترقيقها . والمستوشرة : الطالبة لذلك .
(٤٥) الاسودان : الحية والعقرب . والابيضان : اللبن والماء .

ومقاليده الأيام بإعلاء كلمته مؤذنة ، وبسط يده في الأعداء "مكينة" ،
واسبغها على الأولياء ممكنة . واخدم الحدود عبيده ، حتى لا يذعن بطاعته
لسان ، إلا كانت له مُذْعِنَة . ولا تقرّ بعبوديته رقبة ، الا قالت للدهر :
أعيتقها ؛ فإنّها مؤمنة .

هذا الدعاء ، من الأدعية المستغربة المستحسنة ، وفيه معنى مأخوذ من
الأخبار النبوية . وذلك ان جارية لبعض الصحابة ، حضرت بين يديه
— صلى الله عليه وسلم — ، فقال لها : « اين الله ؟ » فقالت : في السماء !
فقال لسيدها : « أعيتقها ؛ فإنّها مؤمنة . »

ومما ينتظم بهذا السلك ، دعاء آخر :

خلّد الله سلطان الديوان العزيز النبوي ، وجدّد ليالي دولته وإيامها ،
واجفّ القلم بأن يجري في الأرض اقلامها . ونظم لها عقود سعادة ،
لاتبلغ عقود الحساء نظامها . ونصب حرمها مثابة للآمال ، وجعل اليه تليبتها
وإحرامها . وانشر بفضلها اموات المكارم ، التي ليس لغيره ان ينشر ارواحها
واجسامها . ومائل بين اسماء عزائمها ومسمياتها حتى يلقي الأعداء حرّبتها
ومرّتها ، والمساغي حارثها وهمّاتها .

هذا الدعاء فيه معنى من الأخبار النبوية ، وهو قول النبي — صلى الله
عليه وسلم — : « احبّ الأسماء الى الله : عبدُ الله وعبدُ الرحمن ، وأصدقها
عنده : الحارث وهمّام ، وابغضها اليه : حرّب ومُرّة » .

وقد اوردت هذا المعنى في دعاء آخر ، بغير هذا اللفظ ، وذكرته
في كتاب الأدعية ، التي انشأتها ، وقد تقدّم ذكره (٤٦) في هذا الكتاب ،
ونبّهت عليه ، ولم اذكر هاهنا من تلك الأدعية شيئاً .

ومما ينسحب على هذا الذيل ، دعاء آخر ، وهو :

(٤٦) تنظر صفحة ١٥١ من هذا الكتاب ، وما بعدها .

ادام الله سلطان الديوان العزيز النبويّ ، واخدمه رقاب الأيام والليالي ،
ونصّب بابه قبلةً لسجود الأعظام والإجلال . وجعل التقوى ، وطاعته
من الأسماء المترادفة التي تختلف في التسمية ، وتتفق في الأفعال . وناسب
في الاشتهار بين رايات عساكره ورايات مآثره ، حتى يُقال : أهذه عوال
أم معال ! ؟ ولازالت عطاياهُ متّصفةً بوصفين ؛ من نقل الأيدي الخفاف ،
والأيادي الثقال ، ولازال جودها مؤذناً في الناس ، فلا يعرض له سائل إلاّ
قال : « أرحنا بها يابلال ! »

في هذا الدعاء ، معنى من الأخبار النبويّة ، وهو :
أنّه كان ، اذا حضرت الصلاة ، قال النبيّ — صلى الله عليه وسلم —
لبلال — رضي الله عنه — : « أرحنا بها يابلال ! » اي عجلّ بها .



« تمّ (٤٧) كتاب الوشي المرقوم في حلّ المنظوم ووافق فراغه بكرة
السبت ، ثالث ذي الحجة من سنة احدى وخمسين وستمائة
هجريّة .

والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيّه وآله الطاهرين
وسلّم كثيراً وحسبنا الله نعم الوكيل

تمّت مقابلته بنسخة عليها خطّ المصنّف رحمه الله وصُحّح بقدر الإمكان
في أوّل ربيع الأوّل سنة تسع وخمسين وستمائة
والحمد لله وصلواته على محمد وآله الطاهرين » .

(٤٧) جاء هذا في نهاية المخطوطة .

فهارس الكتاب

الصفحة

- ١ - فهرس تفصيلي لمحتويات الكتاب ٢١٨
- ٢ - فهرس للآيات القرآنية الكريمة ٢٢٢
- ٣ - فهرس الأخبار النبوية ٢٢٦
- ٤ - فهرس الأمثال ٢٢٩
- ٥ - فهرس أوائل القطع الشعرية ٢٣٠
- والآيات المفردة في متن الكتاب
- ٦ - فهرس الكتب ٢٤٥
- ٧ - فهرس القبائل ٢٤٨
- ٨ - فهرس المدن والأقاليم ٢٤٩
- ٩ - فهرس الأعلام ٢٥١

١ - فهرس تفصيلي لمحتويات الكتاب

مقدمة المحقق

الصفحة	من
٣ - ٤٣	كتاب ابن الأثير والبلاغة العربية
٤	ابن الأثير (اسرته وثقافته)
٤	الجانب السياسي من حياته
٥	اهمية الكتاب والكاتب
٨	الكتابة تشارك الشعر في موضوعاته ومعانيه
١٢	ابن الأثير وتداول المعاني
٢٠	اعتماده في معانيه على تجاربه وعلى الشعر
٢٨	والقرآن الكريم والأخبار النبوية
٢٨	نسخ الكتاب ونشره
٣١	عمل المحقق في تحقيقه
٣٣	صور من صفحات المخطوطات

كتاب

الوشي المرقوم في حلّ المنظوم

٥٣-٤٥

١ - مقدمة المؤلف

الفصل الاول

١٧٤-٥٤

في حلّ الشعر

٥٤

مقدمة في حل الشعر

حل الشعر في ثلاثة اقسام

القسم الاول

١٠١-٥٨

حلّ الشعر بما لا يجوز تغيير لفظه

وهو عشرة انواع :

الصفحة

٥٨	الأول : ما تضمّن مثلاً من الأمثال
٦٧	الثاني : ما تضمّن قصة مشهورة
٦٩	الثالث : ما تضمّن الفاظاً تختص بالعلوم
٧٢	الرابع : ما تضمّن ذكر قبيلة أو بيت مشهور
٧٣	الخامس : ما تضمّن معنى من معاني التشبيه
٧٦	السادس : ما بلغ الغاية القصوى في البلاغة
٧٩	السابع : ما استعمل فيه التجنيس
٨١	الثامن : ما استعملت فيه الفاظ المطابقة
٨٣	التاسع : ما ينحصر معناه في مقصد من المقاصد
٨٤	العاشر : ما تضمّن الفاظاً فرائد

القسم الثاني

١٠٢-١٥٢

حلّ الشعر لبعض لفظه

الصفحة	صور من الحلّ :
١١٩	في وصف القلم
١٢٠	في ذمّ كاتب
١٢٢	في وصف الشمعة
١٢٤	في وصف سخّيّ
١٢٩	في وصف رجل بالشجاعة
١٣٠	في اليأس والطمع
١٣١	في كتاب تعزية
١٣٢	في فاتحة كتاب الى الديوان
١٣٣	العزير النبوي
١٣٥	في إباق غلام
١٣٦	في شفاعة
١٣٨	في وصف الفضائل

الصفحة	الصفحة
١٤٦	في خلع الممدوح على مادحه ١٤٠
١٤٧	في المودة ١٤٠
١٤٨	في قتال مستعصمين في جبل ١٤٢
١٤٨	في صيد الفهود ١٤٤
	في ذكر التاريخ ١٤٥

القسم الثالث

في حلّ الشعر بغير لفظه ١٥٢ - ١٧٣

الصفحة	الصفحة
١٦٢	مقدمة في حلّ الشعر بغير لفظه ١٥٢
١٦٣	في وصف الكرم ١٥٤
١٦٤	في وصف الرماح ١٥٦
١٦٦	في هزيمة ١٥٧
١٦٨	في تعزية وتهنئة بملك ١٥٨
١٦٩	في العفو ١٥٩
١٧٠	في ذكر السعادة ١٦٠
١٧١	في وصف الخمر ١٦١

الفصل الثاني

في حلّ آيات القرآن الكريم ١٧٢ - ١٩٥

الصفحة	الصفحة
١٧٦	مقدمة في حلّ الآيات ١٧٤
١٧٧	في ذم بخيل ١٧٥
١٧٩	في وصف كريم ١٧٥
١٧٩	في الاقتصاد في طلب الرزق ١٧٦
١٨٠	في رسالة من صديق

الصفحة		الصفحة	
١٨٨	في وصف حصار	١٨٢	في وصف الشكر
١٨٩	في وصف المنجنيق	١٨٢	في تعزية
١٩٠	في التوكّل على الله	١٨٣	في المكر والخداع
١٩١	في وصف كتاب لبعض الإخوان	١٨٤	في كتاب عن الملك الأفضل
١٩١	في ذمّ رجل	١٨٥	في كتاب الى بعض الطغاة
١٩٢	في الهناء يعود امر بعد ذهابه	١٨٦	في كتاب الى الملك العادل
١٩٢	في كتب ادعية	١٨٧	في معركة حرب
		١٨٧	في وصف بلاغة بعض الفضلاء

الفصل الثالث

في حلّ الأخبار النبوية ١٩٦ - ٢١٦

الصفحة		الصفحة	
٢٠٦	في كتاب الى بعض العصاة	١٩٦	مقدمة في حلّ الأخبار النبوية
٢٠٧	في ذم الزمان	١٩٦	في ذمّ المشيب
٢٠٨	في فتح من فتوح الكفّار	١٩٧	في الحثّ على الصدقة
٢٠٨	في تقليد بولاية	١٩٨	صدر كتاب الى الديوان ببغداد
٢٠٩	في وصف الحلم	١٩٩	دعاء في فاتحة كتاب
٢١٠	في الأخوة والصدقة	٢٠٠	كتاب في العناية ببعض الفقراء
٢١٠	في الدعاء لبعض الملوك	٢٠٠	في وصف كتاب لبعض اهل الفضل
٢١٢	ادعية في صدور الكتب	٢٠١	في وصف القلم
٢١٣	في دعاء لقاضٍ	٢٠٢	في عيادة مريض
٢١٣	في ادعية للديوان ببغداد	٢٠٤	في قتال الكفّار



٢ - فهرس الآيات القرآنية

مرتبة حسب أوائلها

الصفحة

- ١٨٩ أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يُشركون
- ١٨٩ أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس
- ١٩٣ أفبِعِذا بنا يستعجلون ، فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المذّرين
- ١٨٦ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم
- ١٧٩ إلاّ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار
- ١٩٢ إنّنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظاً من كلّ شيطان مارد ...
- ١٨٢ إنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً
- ٦٠ أنزل من السماء ماءً فسالت أوديةً بقدرها فاحتمل السيلُ زبدًا رابياً
- ٤٨ إنّ كتاب الأبرار لفي عليّين ، وما أدراك ما عليّون
- ١٨٤ إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة
- ١٧٥ إنّ هـي إلاّ أسماء سمّيتهنّ أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان ...
- ١٩٠ بل كذبوا بالحقّ لما جاءهم فهم في أمرٍ مريج
- ٨٣ تبّت يدا أبي لهب
- ١٩٤ ثم أرسلنا رُسُلنا تترا كلّ ما جاء أمةً رُسُلها كذبوه ...
- حتى إذا رآوا ما يُوعَدون فسيعلمون من أضعف ناصراً
- ١٨٤ وأقلّ عدداً ...
- ١٧٦ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين
- فالتقمه الخوت وهو مُليم ، فلكولا أنّه كان من المسبّحين للبيث
- ١٩٠ في بطنه الى يوم يبعثون
- فإن كنت في شكّ مما أنزلنا اليك فاستل الذين يقرؤون الكتاب من
- ١٩٣ قبلك ، لقد جاءك الحقّ من ربّك فلا تكوننّ من المُمتّرين
- فجاءته إحداهما تمشي على استحياء ، قالت إنّ أبي يدعوك ليجزيك

- أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا، فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ، قَالَ لَا تَخَفْ
 ١٧٧ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
 ٢٠٥ فَذَكَرْنَا إِنَّ نَفَعْتَ الذِّكْرَى
 فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي....
 ١٧٥ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ، وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا، قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ
 ١٣١ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ
 ١٩٣ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ، فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ
 ١٦٢ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ...
 ١٨٦ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...
 ١٩٥ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ
 ٦١ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ....
 ١٨١ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ
 ١٨٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ
 ١٨٥ وَتُبْرِئُوا الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي
 ١٧٧ وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ
 ١٨٧ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مِثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
 ٦٠ ، ٦٣ وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ
 ١٧٦ ، ١٩٩ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ
 ١٩٠ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ

- عليهم صَلَّواتٌ من رَبِّهم وَرَحْمَةٌ
 ١٨٣ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ
 فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ،
 ٢٠١ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ
 ١٨٣ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا
 وَأَلْقَى عَصَاكَ ، فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ١٨٠
 وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ١٨٣
 وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ١٩٥
 وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخِيًّا ١٢٥
 وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ
 وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ٥١
 وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ١٩١
 وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ، قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي
 أَحْسَنَ مَثْوَايَ ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ . ١٨٨
 وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَ يَا سَّمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ ،
 وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ١٨٧
 وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ١٧٦
 وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ
 الْمُوقِنِينَ ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ، قَالَ هَذَا رَبِّي ،
 فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ... ٤٦
 وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ٢٥
 وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ، وَوَجَدَ مِنْ
 دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذودان ، قَالَ : ما خَطْبُكُمَا ، قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى
 يُصْذَرَ الرَّعَاءُ وَأَهْنَأَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ١٧٧

- وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الصَّفْحَةِ
 ١٨٩ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ
 وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ
 ١٧٨ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
 ٤٨ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا
 وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي
 آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ٤٨ ، ١٦٢
 ١٨٩ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ...
 ١٩٤ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا
 وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ .
 ١٩٠ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى
 ١٨١ اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا
 يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ، وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ
 ١٩٠ اللَّهِ . إِنَّهُ لَا يِيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ
 ١٧٨ يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ ...



٣ - فهرس الأخبار النبوية

الصفحة

٢٠٠	ابغوني ضعفاءكم
٢٠٨	ابن آدم سرّ مكنون تظهره القدرة ويخفيه العجز
٢٠٠	اتقوا النار ولو بشق تمرة :
٢١٤	احب الأسماء الى الله
٢٠٠	اذا كذب ابن آدم
٢٠٠	اذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلاً
	اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، واذا
١٩٤	هلك كسرى فلا كسرى بعده
٢١٤	ارحنا بها يا بلال
٢٠٢	اسمع واطع ولو لعبدٍ مجدّع الأطراف
٢١٣	اعتقها فإنها مؤمنة
٢٠٥	ألا إن سلعة الله غالية
١٩٩	إنّ الله لا يقبل صلاة بغير طهور
١٩٧	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من الناس
٢٠١	إن جاءت به أثبيج
٦٠ ، ٥٩	إنّ من البيان لسحراً
٢١١	إن هذا البلد حرّمه الله
١٨٧	اول بيت وضع للناس المسجد الحرام
١٧٩	الأيم أحقّ بنفسها من وليّها . . .
٢٠٧	ثمّ يبعث الله ريحاً طيبة فتأخذ الناس
٢١٢	جُبِلَتْ القلوب على حبّ من احسن اليها
٤٨	الحكمة ضالة المؤمن . . .
٢٠٣	داووا مرضاكم بالصدقة

٦٢	ربّ واثق خجل
٢٠٣	رؤيا المؤمن جزء من اربعين جزء من النبوة
٧٢	صدق الله وكذب بطن اخيك
٢٠٨	عينان لاتمسّهما النار
٢٠٦	قلوب المؤمن بين لمة ملك ولمة شيطان
٢٠٨	قلوب بني آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن
٢١٢	القضاة ثلاثة : قاض في الجنة وقاضيان في النار
٢١١	اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
١٩٨	المسائل كدوح يكدح
٢١٢	أنت احق به ما لم تنكحي
٢٠٦	قوموا الى جنة عرضها السموات والأرض . . .
٢٠٩	كان كلما قال لك شيئاً كذب به الملك
١٩٩	كل خطبة ليس فيها شهادة كاليد الجذماء
١٩٩	كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد فهو كاليد الجذماء
٢٠٦	لا الفين احذكم يجيء يوم القيامة وعلى رقبتك جمل له رغاء
٦١	لا يحل لامرئ ان يسقى ماءه زرع غيره
٢١٢	لعن الله الواصلة والمستوصلة
٢٠٨	للمجاهد اجر الصائم القائم
٢٠١	لولا الأيمان لكان لي ولها شأن
٢٠٠	ليتق احدكم وجهه من النار ولو بشقّ تمر
١٩٧	ليست الصدقة لمن مردت على المسألة نفسه . . .
١٩٨	ليس المسكين بالطواف
١٩٨	ليس المسكين من تردّه اللقمة واللقمتان والتمرّة والتمرتان
٧١	ما خلق الله داء إلا خلق له دواء الا السأم والحرم
١٩٧	ما دخلت هذه دار قوم إلا ذلّوا

- ٢٠٩ ما كنتُ لأقعدَ حيثُ قعدَ الشيطان
- ٢٠٠ ما منكم من احد الا سيكلّمه ربّه كفاحاً
- ٢٠٦ ما منكم من احد الا قد وكلّ به قرينه من الملائكة
- ٥٩ ، ٦٢ مثل المجلس الصالح وجليس السوء
- ٢٠٩ من اجتهد فأصاب فله اجران ، ومن اجتهد فأخطأ فله اجر
- ٢١٠ من حفر لأخيه المؤمن قليلاً القاه الله فيه قريباً
- ٢١٣ من كنت مولاة فعليّ مولاة
- والذي نفس محمد بيده ما من كلّم يكلم في سبيل الله ، إلا جاء يوم
- ٢٠٥ القيامة ولونه لون دم وريحه ريح مسكٍ
- ٦٢ وجبت محبتي للمتحابين في ...
- ٢٠٠ ولا تردّي المسكين ولو بشق تمرة
- ١٩٩ يدُ الله على الجماعة



٤ - فهرس الأمثال

الصفحة

٦٥ ، ٦٠	اليوم خمر" وغداً امر .
٦٤ ، ٦٠	إن تردّ الماء بماءٍ أكيس .
٦٣ ، ٦٠	إن تسلم الجلبة فالنيب هدر .
٦٠	إن كنتَ ريحاً فقد لاقيت اعصاراً .
٦٠	بيض قطاة يحضنه أجدل ،
٦٦ ، ٦٥ ، ٦٠	كلّ الصيد في جوف الفرا .



٥ - فهرس لأوائل القطع الشعرية والابيات المفردة الواردة في متن الكتاب

- أ -

الصفحة

- فسقاه مسك الطلّ كافور الصّبّا
٧٤ وانحلّ فيه خيط كل سماء
فلإذا الأسنّة خالطتها خلقتها
٧٥ فيها خيال كواكب في ماء
أجرّ ولكن قد نظرتُ فلم أجد
٨٧ اجرّاً يفى بشماتة الأعداء
يعيش المرء ما استحيا بخير
٨٦ ويبقى العود ما بقي اللحاء
إذا جاريت في خلقت لثيماً
٩١ فأنت ومن تجاريه سواء
اغنى جماعة طيّبٍ عمّا ابتنت
١٥٦ آباؤها الكرماء للأبناء

- ب -

- السيف اصدق انباء من الكتب
٨ في حدة الحدّ بين الجدّ واللعب
محا السيف اسطار البلاغة وانتحى
٨ ليوث الوغى يقدمن من كلّ جانب
لعمرك ما السيف سيف الكمي
٩ سيّ بأخوف من قلم الكاتب
قبحاً لأشياء يأتي البحتري بها
١٥ في شعره الغثّ بعد الكدّ والتعب

- ستعلم من يكون ابوه قيناً
 ١٩ ومن عُرِفَتْ قصائده اجتلاباً
 قلب يطلُّ على افكاره ويد
 ٧٨ تمضي الأمور ونفس همّها التعب
 ثوى ماله نهب المعالي وأوجبت
 ٩٦ عليه زكاة الجود ما ليس واجبا
 كأنهم وقلنسى البيض فوقهم
 ٩٩ يوم الهياج بدور قلنست شهباً
 قد نابت الجزع من ارويّة النوب
 ١٠٠ واستحقبت جدةً من ربعها الحقب
 عبقات بالسمع تبدى وجوهاً
 ١٠٤ كوجوه الكواعب الأثراب
 وليس يعرف لي فضلي ولا ادبي
 ١٠٦ إلا امرؤٌ كان ذا فضل وذا ادب
 حللتهم من ملوك الناس كلّهم
 ١٠٧ محلّ سُمِر القنا من سائر القصب
 وقد يجيء بخلط فالنحاس له
 ١٠٧ وللأوائل ما فيه من الذهب
 ستصبح العيس بي والليل عندفتي
 ١١٧ كثير ذكر الرضا في ساعة الغضب
 ترفّق أيّها المولى عليهم
 ١١٨ فإن الرفق بالجاني عتاب
 لا يحتذى خلق القصي ولا يُرى
 ١١٩ متشبّهاً في سؤددٍ بغريب
 ٢٣١

- خذها ابنة الفكر المهذب في الدجى
 ١٢٠ والليل اسود رقعة الجلباب
 وكأنما ارمى المضاب على حية
 ١٢٣ من وناه بقطعة من مضاب
 وما بك غير حبك أن تراها
 ١٢٥ وعشيرها لأرجلها جنيب
 والشول ما حليت تدفق رسلها
 ١٢٧ وتجف درتها اذا لم تحلب
 الصبر كأس وبطن الكف عارية
 ١٢٨ والعقل عار اذا لم يكس بالنشب
 أين الرواية ، أم أين النجوم وما
 ١٣٣ صاغوه من زخرف في القول او كذب
 هم صيروا تلك البروق صواعقا
 ١٣٩ عليهم وذاك العفو سوط عذاب
 الا إن خير الودد ود تطوعت
 ١٤٠ به النفس لا ودد اتى وهو متعب
 حسن الحضارة مجلوب بتطرية
 ١٤١ وفي البداوة حسن غير مجلوب
 فأكون طورا مشرقا للمشرق
 ١٤٧ أقصى وطورا مغربا للمغرب
 فعليك السلام لا اشرك الاط
 ١٤٨ لال في لوعتي ولا في نحبي
 اعيدوا صباحي فهو عند الكواعب
 ١٥٠ وردوا رقادي فهو لحظ الحباب

- وإذا اجتداه المجتدون فإنّه
 ١٥٥ يهب العلى في ماله الموهوب
 يرى اقبح الأشياء اوبة آيب
 ١٥٦ كسته يد المأمول حلّة خايب
 لا تديلن صغير همّك وانظر
 ١٦٣ كم بذى الأثل دوحه من قضيب
 لأشكرنّ زماناً كان حادثه
 ١٦٥ وصرفه بي الى معروفكم سيبا
 أولى المديح بأن يكون مهذباً
 ١٦٧ ما كان منه في اغرّ مهذب
 ودافعت في صدر الزمان ونحره
 ١٧٢ وأي يد لي والزمان المحارب

- ح -

- دانٍ مُسَفٍّ فُويق الأرض هينده
 ٩٧ يكاد يلمسه من قام بالراح
 وانا له هو قد قعدت بعينه
 ١٠٨ أفليس بخل مدامعي بقبيح
 لو كنتَ بحرّاً لم يكن لك ساحل
 ١١٠ أو كنتَ غيثاً ضاق عنك اللّوح
 سمّاه سعداً ظنّ أن يحيا به
 ١١١ عمري لقد الفاه سعد الذابح
 وكَلَّتْ بالدهر عيناً غير غافلة
 ١٥٠ من جود كفك تأسو كل ما جرحا

- خ -

الصفحة

ما تجزع الشاة اذا شطحت

١٥ من ألم الذبح ولا السلخ

- د -

ألا إنَّ حلَّ الشعر رتبة كاتب

٢١ ولكنَّ منهم من يحلُّ فيعقد

فتى دفعوا بخل الزمان بجوده

٦٩ ولا طبَّ حتى يُدفع الضدُّ بالضدَّ

بلغ السيادة في اقتبال شبابه

٨٠ إن الشباب مظنة للسؤدد

إن أيامه من البيض بيض

٨٢ ما رأين المفارق السود سودا

سلفوا يرون الذكر عقباً صالحاً

٩٥ ومضوا يعدّون الثناء خلودا

سارية مسمحة القياد

٩٧ مسودة مبيضة الأيادي

في نظام من البلاغة ماشـ

١٠٣ لك امرؤ أنه نظام فريد

تثنى على قدر الطعان كأنما

١٢٤ مفاصلها تحت الرماح مراود

وما عن ذلّة غلبوا ولكن

١٣٠ كذاك الأسد تغلبها الأسود

تكاثرت الظباء على خراش

١٣٢ فما يدري خراش ما يصيد

- إذا انت لم تعرك بجنبك بعض ما
 ١٣٩ يريب من الأدنى رمتك الأبعاد
 وما قتل الأحرار كالعفو عنهم
 ١٤٠ ومن لك بالحرّ الذي يحفظ البدا
 الشيب كره* وكره* أن يفارقني
 ١٤١ أحبّ بشيئ على البغضاء مودود
 خلّ عنا إنّما انت فينا
 ١٤١ واو عمرو أو كالحديث المعاد
 وإذا الفتى لاقى الحمام وجدته
 ١٤٦ لولا الثناء كأنه لم يولد
 وانفسهم مبذولة لوفودهم
 ١٥٤ واموالهم في دار من لم يفد وفد
 مالي إذا ما رضتُ فيك غريبة
 ١٦٩ جاءت مجيء نجية في مقود

- و -

- مدحتُ ابا العباس اطلب رفته
 ١٦ فخيّبني معروفه وهجا شعري
 ولقيت كلّ الفاضلين كأنما
 ٦٩ ردّ الإله نفوسهم والأعصرا
 اطاعن خيلاً من فوارسها الدهر
 ٧٦ وحيداً وما قولي كذا ومعي الصبر
 إذا مرضتم اتيناكم نعودكم
 ٩٤ وتذنبون فتأتىكم ونعتذر

- ركنتُ الى نفسٍ كفتني عتابها
 ٩٤ ولم تمنّ من نفسٍ سواها بزاجر
 ومن ينفق الساعات في جمع ماله
 ٩٥ مخافة فقر فالذي صنع الفقر
 طعانٌ بأطراف القوافي كأنّه
 ١٠٣ طعانٌ بأطراف القنا المتكسر
 لا خير للأحياء في عيشتهم
 ١١٣ بعدك والزُلفى لأهل القبور
 وأكثر حالات ابن آدم خلفه
 ١١٣ يضلُّ إذا فكرت في كنهها الفكر
 ارادوا ليخفوا قبره عن عدوه
 ١١٤ فطيب تراب القبر دلّ على القبر
 سلبته يد المدائح ثوباً
 ١٤٠ فهو كاس من المحامد عار
 كأنني عصت مقلتي فيكم
 ١٤٢ وكاتمت القلب ما تبصر
 فلزّهم الطراد الى قتال
 ١٤٤ احدٌ سلاحهم فيه الفِرار
 يا مَنْ إذا قلتُ : يا من لا شبه له
 ٢١١ في جوده ، قيل لي : يا اصدق البشر
- ز -
- وحديثها السحر الحلال لو أنّه
 ١٠٦ لم يجن قتل المسلم المتحرّز

- س -

لا تنكروا ضربي له من دونه
مثلاً شروداً في الندى والباس ١٨١

- ض -

ما ماء كفك إن جادت بنائلها
من ماء وجهي إذا افنيته عوض ١٠٩

- ع -

لقد آسف الأعداء مجد ابن يوسف
وذو النقص في الدنيا بذى الفضل مولع ٥٨
لحقنا بأخراهم وقد حوّم الهوى
قلوباً عهدنا طيرها وهي وقّع ٦٧
أبيت اللعن إن سكاب علق
نفيس لا تعار ولا تباع ١١٠
وجاودني بأن يُعطى وأحوى
فأغرق نيله اخذى سريعا ١٠٩
ما كنت أوفى شبابي كنه غرته
حتى مضى فإذا الدنيا له تبع ١٣٥
وكان جلدته عيون كلّها
بُثّت على الأرواح فهي تطلّع ١٤٥
تمضي العلى وإلى ذراكم ترجع
شمس تغيب لكم واخرى تطلع
إذا ما اغاروا فاحتوا مال معشر
أغارت عليهم فاحتوته الصنائع ١٦٦
٢٣٧

يَمُجُّ ظِلَاماً فِي نَهَارٍ لِسَانَهُ
ويخبر عمن قال ما ليس يسمع ١٧٠

— ف —

فَكُلُّ وِدَادٍ لَا يَدُومُ عَلَى الْأَذَى
دوام ودادي للأمير ضعيف ٩٤
يَا طَالِبَ الرِّزْقِ السَّيِّئِ بِقُوَّةٍ
هيهات انت بباطل مشعوف ٩٦
كَهْلُ الْإِنَاةِ فَتَى الشَّدَاةِ إِذَا غَدَا
للحرب كان القشعم الخطريفا ١٠٠

— ك —

مَا كَانَ فِيضُ الْمِزْنِ يَطْمَعُ قَبْلَهَا
في ان يجيء نداه قبل نداكا ٩٠
تَحَاسَدَتِ الْبُلْدَانُ حَتَّى لَوِائَتْهَا
نفوس لساو الشرق والغرب نحوكا ٨٩
لَا سَفِيرَ إِلَيْكَ إِلَّا مَعَالِي
لك ولا شافع اليك سواكا ١١٧
يَغْدُو عَدُوُّكَ خَائِفًا فَإِذَا رَأَى
أن قد قدرت على العقاب رجاكا ١٥٩

— ل —

إِنَّ اسْتِرَاقَكَ يَا جَرِيرَ قِصَائِدِي
مثل ادعاك سوى ابيك تنقل ١٩
وَأَلَدُ ذِي حَنْقٍ عَلِيٍّ كَأَتَمَّا
تغلي عداوة صدره في مرجل ٢٢

- لعلّ قولك محمودٌ عواقبه
 ٥٩ وربّما صحت الأجساد بالعلل
 كأن قلوب الطير رطباً وباساً
 ٧٣ لدى وكرها العنّاب والحشف البالي
 داوى فلسطين من أدوائها بطلٌ
 ٧٦ في صورة الموت إلّا أنّه رجل
 مازال للصارخ المعلى عقيرته
 ٨١ غوثاً من الغوث تحت الحادث الجلل
 فتبّاً لدين عبيد النجو
 ٨٣ م ومن يدّعي أنها تعقل
 وقد اغتدى والطير في وكناتها
 ٨٤ بمنجردٍ قيد الأوابد هيكـل
 وكم رجال بلا ارض لكثرتهم
 ٨٧ تركت جمعهم ارضاً بلا رجل
 توانى وشيك النّجح عنه ووكلت
 ٩٣ به عزمات أوقفته على رجل
 أعلى الممالك ما بينى على الأسـل
 والطعن عند محبّتهنّ كالقُبـل ٨٧، ١٠٤
 انا القائل الهادي الى ما اقوله
 ١٠٦ إذ القول قبل القائلين مقول
 توهّم آجل الطمع المفيتي
 ١١٢ تيقنُ عاجل اليأس المنيل
 تحاسد الشعر فيه إذ سهرتُ له
 ١١٥ حتى ظننتُ قوافيه ستقتل
 ٢٣٩

- وترجعني اليك إذا نبت بي .
- ١١٦ ديارى عنك تجربة الرجال
- هو الشجاع يعدُّ البخل من جُبْنٍ
- ١٢٠ وهو الجواد يعدُّ الجُبْن من بخل
- إذا ادبرت ، قلت : لا تليل لها
- ١٢٣ أو اقبلت ، قلتَ مالها كَقَلُّ
- وكذا اسم اغطية العيون جفونا
- ١٢٨ من انَّها عمل السيوف عوامل
- سار ولا قفر من مواكبه
- ١٣٨ كأنَّما كلُّ سببٍ جبل
- لبست له خُدَع الحروب زخارفاً
- ١٤٣ فرَّقنَ بين الهضب والأوعال
- قومٌ إذا احمرَّ المهجير من الوغى
- ١٤٩ جعلوا الجماجم للرماح مقيلا
- نطقتُ بسؤددك الحمام تغنياً
- ١٤٩ وبما تجشَّمها الجياد سهيلا
- قلوبهم في مضاء ما امتشقوا
- ١٥٧ قاماتهم في تمام ما اعتقلوا
- فصُنْعُ ما كنت حليَّة
- ١٥٨ ستَ به سيفك خلخالاً
- يا أيُّها المحسن المشكور من جهتي
- ١٦٥ والشكر من قبل الاحسان لا قبلي
- الشكر بالمأمول ابهى من يدٍ
- ١٧١ غراء يودعها رجاء الآمل

والسيف ما لم يلف فيه صيقل
من سنخه لم يتفع بصقال ١٩٦

- م -

كذا قضى الله للأقلام مذ بُرئت
٩ ان السيوف لها مذ ارهفت خدم
قوم إذا خافوا عداوة حاسد
١٠ سفكوا الدماء بأسنة الأقلام
سحابٌ خطاني جوده وهو مُسبلٌ
٢٢ وبحرٌ عداني فيضه وهو منعم
إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً
٦٩ مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم
حتى إذا طاح عنها المرط من دهش
٨٢ وانحلّ بالضمّ سلك العقد بالظلم
لا تحمد الدهر في بأساء يكشفها
٨٦ فلو طلبت دوام البؤس لم يدم
عبسن من شعر في الرأس مبتسم
٨٦ مانقر البيض مثل البيض في اللهم
يروى بكالفرصاد في كل غارة
٨٨ يتامى من الإغماد بيضاً ويؤتم
أعطيتني دية القتل وليس لي
٩٢ عقل ولا حقٌ عليك قديم
وما البذل بالشيء الذي يستطيعه
١٢٠ من القوم إلاّ الأروع المتهجم
٢٤١

بالشذميات العتاق كأنما

١٢٧ اشباحها بين الإكام لإكام

ذلّ من يغبط الذليل بعيش

١٣٠ ربّ عيش ، اخفّ منه الحمام

تفدّى أتمّ الطير عمرأ سلاحه

١٣١ فسور الملا احداثها والقشاعم

ليس القباب على الركاب وإنما

١٣٥ هنّ الحياة ترحلّت بسلام

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

١٣٦ حتى يُراق على جوانبه الدم

حواليه بحرّ للتجافيف مائج

١٣٧ يسير به طودّ من الخيل أيّهم

وذي لجب لا ذو الجناح أمامه

١٣٧ بناج ولا الوحش المثار بسالم

إذا سيفه اضحى على الهام حاكماً

١٦٠ غدا العفو منه وهو في السيف حاكم

ينال الفتى من دهره وهو جاهل

١٩١ ويكادى الفتى في دهره وهو عالم

دقّة في الحياة تُدعى جلالاً

١٦٢ مثل ما سُمّي اللديغ سليما

فالذي تنبت البلاد سرور

٢١٠ والذي تمطر السماء مدام

- ن -

- جُعِلَتْ فداك لم اسألك
 ٢٢ لك ذاك الثوب للكفن
 ولو أنني بُليتُ بهاشمِي
 ٧٣ خؤولته بنو عبد المدان
 إذا بلّغتنني وحملتِ رحلى
 ١٧٣ عرابة فاشرقي بدم الوتين
 لا يمنعنك خفض العيش في دعة
 ١٩٧ نزوع نفسٍ الى أهلٍ وَأوطان

- ه -

- إن سلّ اقلامه يوماً ليعملها
 ١٠ أنساك كلّ كميّ هزّ عامله
 مثل العجوز التي ولّت بشاشتها
 ٢١ وبان عنها جمالٌ كان يحظيها
 وليلة هوّمتنا على العيس ارسلت
 ٧٧ بطيف خيالٍ يشبه الحقّ باطله
 وكأنما لطم الصباح جبينه
 ٨٥ فاقتنص منه وخاض في احشائه
 ارى فضل مال المرء داءً لعرضه
 ٩٥ كما أنّ فضل الزاد داء لجسمه
 وقلقل نأي من خراسان جأشها
 ١٠١ فقلت اطمئني انضر الروض غاربه
 أضاءت لنا احسابنا وجدودنا
 ١٠١ دجى الليل حتى نظّم الجزع ثاقبه
 ٢٤٣

- إن السحاب لتستحيي إذا نظرتُ
 ١١٠ الى نداه فقاسته بما فيها
 برغمي أنْ اعنَّف فيك دهرأ
 ١١٤ قليلاً فكره بمعنَّفيه
 تضيقُ عن جيشه الدنيا ولو رحُبَتْ
 ١١٦ كصدره لم تبْنُ فيها عساكره
 ولم أر مثيأ اثنى على ذي
 ١٢١ فعال قطُّ افصح من فعاله
 فعلى الصَّبَا الآن السلام ولوعة
 ١٣٤ يشني عليها الدمع من مرفضه
 وظلَّت تحسب ربَّ المال مالكة
 ١٤٦ على الحقوق . وربُّ المال واهبه
 وفتيان صدقٍ لست مطلع بعضهم
 ١٤٢ على سرٍّ بعض غير أني جماعها
 وإن تجد علَّة نعمٌ بها
 ١٤٧ حتى كأننا نعاد من مرضه
 لستُ ادري من رقة وصفاء
 ١٦٢ هي في كأسها ام الكأس فيها
 اذا القصائد كانت من مدائحهم
 ١٦٤ يوماً فأنت لعمرى من مدائحها

— ي —

- ولما كان برك فوق شكري
 ٢٣ وكان الشكر من حقِّ الوليِّ



٦ - فهرس الكتب

- ابن الأثير وجهوده في النقد الأدبي : ٧٧
اساس البلاغة : ٤٧ ، ٨٠ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣١
الأعلام للزركلي : ١٥٣
الأغاني : ١٣٥ ، ١٤٢
انساب الخيل : ١٢٢
تأريخ الكامل : ١٨٤
تفسير الكشاف : ١٧٩
تيسير الوصول الى احاديث الرسول : ٤٥ ، ٢٠١
الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور : ٤ ، ٢٠٠
حماسة البحتري : ٥٥
حماسة ابن الشجري : ٥٥
حماسة الخالدين : ٥٥
كتاب الحيوان : ٤٧ ، ٩٦
كتاب الخريدة : ٥
خطب ابن نباتة : ٥٠
كتاب الخيل (لابن الأعرابي) : ١٠٠
دلائل الإعجاز : ٣
ديوان ابن الخياط : ١٦٥
ديوان ابن الرومي : ١٠٦
ديوان ابي تمام : ٤٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٩ ،
١٠٠ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ،
١٤٧ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،
١٧١ ، ١٨٠

ديوان ابي العتاهية : ١٢١ ، ١٥٨
ديوان ابي نواس : ١١٠ ، ١١٣ ، ١٤١
ديوان ديك الجن : ١٢٣
ديوان البحري : ٧٧ ، ٨٢ ، ١٠٣ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦
ديوان التهامي : ٨٦
ديوان الحماسة : ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٣٠ ،
١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٤٧
ديوان السري الرفاء : ١٤
ديوان الشريف الرضي : ١١٧
ديوان الشماخ بن ضرار : ١٧٣
ديوان القاضي الأرجاني : ١٠٨
ديوان المتنبي : ٥٩ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ،
١١٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٦٥ ،
١٧٠
ديوان امرئ القيس : ٧٣ ، ١١١
ديوان مسلم بن الوليد : ١٦ ، ١٤٩ ، ١٥٩
رسائل ابن الأثير : ١٤ ، ١٥ ، ٢٥ ، ٥٤ ، ١٤٤
السراقات الأدبية : ١٨
سنن ابي داود : ١٩٩
سنن الترمذي : ١٩٩ ، ٢٠٠
سيرة عمر بن الخطّاب : ٤٥
صحيح البخاري : ٢٠٠
كتاب الصناعتين : ٣ ، ٢٠ ، ٢١
طبقات الشعراء : ١٣
العقد الفريد : ٥٩

العمدة : ٢٠

القاموس : ٤٨ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ،

١٣٣ ، ١٤٣ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،

القرآن الكريم : ٣ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ،

٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،

١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،

الكامل في التأريخ : ٤٥ ، ١٥٣

الكشاف — الزمخشري — : ٤٧ ، ٧٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨

كشف الظنون : ٥٥

لسان العرب : ١٧٩ ، ١٩٩

المثل السائر : ١٠ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٧ ،

٣١ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ١٢٥ ، ٢٠٩

مرآة الزمان في تأريخ الأعيان : ٤ ، ٦ ، ١١ ، ١٢ ، ١٧ ،

مختار الصحاح : ٨٧

مسند الإمام احمد بن حنبل : ٥٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٠

معجم البلدان : ٤ ، ٦ ، ٥٥

معجم المرزباني : ١٤٦

مقامات الحريري : ١٣ ، ٥٠

نثر النظم وحلّ العقد : ١٠ ، ١١ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ،

نهاية الأرب : ١٤

كتاب الوزراء : ٩

الوساطة بين المتنبي وخصومه : ١٩

الوشى المرقوم في حلّ المنظوم : ٣ ، ٢٤ ، ٣٢ ، ٤٣ ، ٦٧ ، ٢١٥

الوصف في شعر العراق : ١٤

يتيمة الدهر : ٨٥ ، ١٤٥

★ ★ ★

٧ - فهرس القبائل

الصفحة

١٨١

١٠٠

٧٢

١٨١

١٢٢

٧٢ ، ٧٣

١٤٤

١٤٤

١٣

١٤٤

١٤٤

١٢٢

الآؤس .

بنو تميم .

بنو ثعل .

بنو خطمة .

بنو سليم .

بنو عبد المدان .

بنو العجلان .

بنو عقيل .

قريش .

بنو قشير .

بنو كلاب .

كنده .



٨ - فهرس المدن والأقاليم

- لاربيل : ٧
ارّجان : ١٥٩
الاسكندرية : ١٨ ، ٥٤ ، ٨٦
بيت جبرين : ٥٥
بيت المقدس : ١٨٦
بيروت : ٤ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٦ ، ٤٧ ، ٩١ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٥ ، ١٤٨ ،
١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١
بيسان : ٥٤
بغداد : ٤ ، ٧ ، ١٤ ، ٢٩ ، ٨٠ ، ١١٤
حرّان : ٨٩
حلب : ٧ ، ٥٠
جرجان : ٧٦
جزيرة ابن عمر : ٤
خراسان : ٨٠ ، ١٠١
الخرميّة : ٣ ، ١٤
دمشق : ٦ ، ١٢ ، ٥٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٨٤
ديار بكر : ٥٠
الرياض : ٣٠
سامراء : ٤٧ ، ٨٠
سُميساط : ٦
سنجار :
صرخد : ٦
الطائف : ١٣

العراق : ٣٠
عسقلان : ٥٤ ، ٥٥
عُمان : ١٣ ، ٨٠
عموريّة : ٨
غَزَنَة : ١٥٣
غَزَة : ٥٥
فلسطين : ٥٤ ، ٥٥
القادسية : ١٧٢
القاهرة : ٣ ، ٧ ، ١٣ ، ١٩ ، ٥٤ ، ٧٣ ، ١٢٦
كربلاء : ٢٠٤
الكوفة : ٨٠
ليدن : ١٤٩
المدينة المنورة : ٣٠ ، ٩٠ ، ١٧٩
مصر : ٦ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٩٣ ، ١٢٦
مكة المكرمة : ٤٥ ، ١٨١ ، ٢١٠
مَلَطِيَّة : ١٥٤
مؤتة : ١٧٢
الموصل : ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٥٧
مياقارقين : ٥٠
نيسابور : ١٥٣
الهند : ٦ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٥٣
يثرب (انظر المدينة المنورة)
اليمن : ٨٧

★ ★ ★

٩ - فهرس الأعلام

(أ)

ابراهيم (عليه السلام) : ٤٦ ، ١٦٠

ابراهيم بن الحسن بن سهل : ١٠٣

ابن الأثير (ضياء الدين مؤلف الكتاب) : ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ،

١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٧ ،

٤٣ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ، ١٤٤ ، ١٦١

ابن الأثير (عز الدين : صاحب الكامل) : ٤ ، ١٥٥ ، ١٨٤

ابن الأعرابي : ١٠٠

ابن بابك : ١٤٥

ابن الجوزي : ٤٥

ابن حيوس (الأمير الشاعر) : ١٦٥

ابن الخلّال : ٥٥

ابن خلّكان : ٥٠

ابن الخياط (الدمشقي الشاعر) : ١٦٥

ابن رائق : ٨٩

ابن رشيق : ٢٠

ابن الرومي : ٩ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧

ابن الزبير (عبدالله بن الزبير) : ٩٠

ابن سعدان بن يحيى : ١١٦

ابن سلام : ١٣

ابن عباس : ٤٥

ابن العميد (ابو الفضل محمد) : ٦٩

ابن الكلبي : ١٢٢

ابن كيغلف : ١٣٦

ابن المعتز : ١٠ ، ١٤

ابن المقفّع : ٨

ابن نباتة الخطيب (عبدالرحيم بن محمد) : ١٣ ، ٥٠

ابن نباتة السعدي (الشاعر) : ٨٥

ابو اسحاق الصابي : ١٠

ابو بكر بن ايوب (الملك العادل) : ١٨٦

ابو بكر الصديق : ٤٥ ، ٧٩ ، ٢٠٩

ابو تمام : ٨ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٦ ،

٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ،

١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ،

١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧١

ابو جعفر (محمد بن احمد الطائي) : ٨٠

ابو دلف العجلي : ١٠

ابو ذر : ٤٥

ابو سعيد الثغري : (محمد بن يوسف) : ٥٨ ، ٦٧ ، ٧٥ ، ٨١ ، ١٠٠ ،

١٦٣ ، ١٦٩

ابو شجاع (فنا خسرو بن قوام الدين) : ١٥٩

ابو الطيّب (المتنبي) : ١٣ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ،

٥٩ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٦ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ،

٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ،

١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ،

١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٦٤ ، ١٧٠ ،

ابو عبادة (البحتري) : ١٣ ، ١٥ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٩ ، ٧١ ،

٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١١٩ ،

١٢٠ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٥٥ ، ١٥٦

- ابو العباس (خوارزمشاه) : ٢٢
ابو العباس (ممدوح ابي نواس) : ١٥٠
ابو العتاهية : ١٢١ ، ١٥٨
ابو العشائر ... الحسين ؛ ممدوح المتنبي (: ٩٣
ابو الفتح البُستي : ١٠
ابو الفضل (محمد بن العميد) : ٦٩
ابو القاسم (بن عيسى العجلي) : ١٥٦
ابو قطيفة : ٩٠
ابو محمد (الحسين بن عبدالله بن طنج) : ١٣٧
ابو مسلم الخراساني : ٨
ابو المغيث الرافقي : ٦٩
ابو نواس : ١٤ ، ٥٧ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١٤١ ، ١٥٠
ابو نوح (عيسى بن ابراهيم) : ٩٠
ابو هلال العسكري : ١٩ ، ٢٠ ، ٢١
احمد امين (الاستاذ) : ٥٩
احمد بن ابي دؤاد (القاضي) : ١٦٠
احمد بن خنبل (الإمام) : ٥٩ ، ١٩٨
احمد بن علي بن احمد المرّي : ١٣٠
احمد بن المعتصم : ١٤٧ ، ١٨١
احمد عارف حكمة الله الحسيني : ٣٠
احمد محمد الضبيب (الاستاذ الدكتور) : ٣٠
احمد مطلوب (الاستاذ الدكتور) : ١٢٣

الأعلام

الأخطل (الشاعر) : ١٥

أروية : ٩٩

اسحاق بن ابراهيم بن مصعب : ٩٩

اسحاق بن اسماعيل بن نبيخت : ١١٨

الأفضل (الملك الأفضل بن صلاح الدين) : ١٢ ، ٨٨

الأمين (الخليفة) : ١١٣

امرؤ القيس : ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٤ ، ٨٥

انيس المقدسي : ٥٤ ، ١٤٤

أوس بن حجر : ٩٦ ، ٩٧

(ب)

بابك الخرّمي : ١٤٣

البحثري (ينظر ابو عبادة)

البخاري (صاحب الحديث) : ٥٩

بدر الدين لؤلؤ : ٧

بدر بن عمّار : ١٢٣ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٥٧

بدوي طبانة (الاستاذ الدكتور) : ١٨

بشّار بن برد : ١٤٠

بلال (مؤذن الرسول الكريم (ص)) : ٤٥ ، ٢١٤

بهاء الدولة : ١١٧

بهرام جوبين : ١٢٢

(ت)

التبريزي (شارح الحماسة ، وديوان ابي تمام) : ٤٧ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٦٨ ،

١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٦٩

التهامي : ٨٦

(ث)

الثعالبي (صاحب اليتيمة) : ١٠ ، ١١ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ١٤٥

(ج)

الجاحظ : ٤٧ ، ٩٦

الجرجاني (عليّ بن عبدالعزيز) : ١٩

جرير : ١٥ ، ١٩

الجزري (انظر ابن الأثير مؤلف الكتاب)

الجزري (والد ابن الأثير مؤلف الكتاب) : ٤

جمال الدين (الوزير) : ٤

جميل سعيد (الاستاذ الدكتور) : ١٤ ، ٣٢

(ح)

الحادث (من اصدق الأسماء الى الله) : ٢١٤

حبيب بن اوس (انظر ابو تمام)

حذام : ١٠٠

الحريري : ١٣

حسان بن ثابت : ٤٥

حسان بن حنظلة الطائي : ١٢٢

الحسن بن رجاء : ١١٧

الحسن بن سهل : ٩٥

حسن السندوبي : ١١١

الحسن بن علي الهمداني : ١٥٤

الحسن بن هاني (انظر ابو نواس)

حمزة (قارئ القرآن) : ١٢٠

حويّ بن عمر بن نوح : ١١٢

(خ)

خالد بن يزيد الشيباني : ٨٧ ، ٩٥

خزيمة بن ثابت : ١٨١

خليل مردم بك : ١٦٥

(د)

الدجال : ٢٠٧

ديك الجن (عبدالسلام بن رغبان) : ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٧٢

(ر)

ربيعة بن ائيف الدارمي (مسكين الدارمي) : ١٤٢

الرسول الكريم (انظر محمد صلى الله عليه وسلم)

الرشيد (هارون الرشيد الخليفة) : ٩٠ ، ١٣٥ ، ١٥٩

رقية بنت رسول الله (ص) وزوجة الخليفة عثمان : ٤٥

(ز)

الزمرخشري : ٤٧ ، ١٧٩ ، ١٨٧ ، ١٨٨

(س)

سامي الدهان (الاستاذ الدكتور) : ١٥٩

سبط ابن الجوزي : ٦ ، ١١ ، ١٢

السري الرفاء : ١٤

سعد النوشري : ١١١

سليمان بن وهب : ٧٨ ، ١٤٨ ، ١٦٣

سيف الدولة الحمداني : ٥٠ ، ٥٩ ، ٦٩ ، ٨٣

٨٥ ، ٨٧ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٣١ ،

١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٤

سيف الدين : ٤

(ش)

شبل الفزاري : ١٣٠

الشريف الرضي : ٨٢ ، ١١٨ ، ١٥٨

الشعبي (عامر الشعبي الفقيه) : ٤٥

الشمّاخ بن ضرار : ١٧٢

(ص)

الصاحب بن عباد : ٢١ ، ١٤٥

الصاوي (محمد اسماعيل عبدالله) : ٧٣

صريع الغواني (انظر مسلم بن الوليد) : ١٥٩

صلاح الدين الأيوبي : ٥ ، ٦ ، ١١ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، ٥٤ ، ٥٥ ،

٨٨ ، ٨٩ ، ١٨٤

الصولي ، ٩١

(ض)

ضياء الدين نصرالله ابن الأثير (انظر ابن الأثير)

(ط)

طالوت : (النبي) : ١٧٥

طاهر بن الحسن العلوي : ١٥٠

الطائيين (انظر ابو تمام والبحثري)

(ع)

العبّاس بن الفضل بن الربيع : ١١٠

عبد الحميد الكاتب : ٨

عبدالرحيم بن علي البيسانى المعروف بالقاضي الفاضل : ٥ ، ١١ ، ١٢ ،

٥٤ ، ٥٧

عبدالسلام بن رغبان (انظر ديك الجن)
عبدالسلام هارون : ٤٧
عبدالصمد (انظر ابن بابك)
عبدالله بن طاهر (ابو العباس) : ١٠٠
عبدالله الجبوري : ١٢٣
عبدالله عمّ المنصور الخليفة : ٨
عبدالله بن معن بن زائدة : ١٥٨
عبيد بن الأبرص : ٩٦
عبيدالله بن يحيى : ١١١
عبيدة بن ربيعة : ١٠٠
عثمان بن عفان (الخليفة) : ٤٥
عثمان (الملك العزيز) : ٦ ، ١٨٤
عرابة بن اوس : ١٧٣
عز الدين (ابو الحسن علي) ابن الأثير : انظر ابن الأثير
عزّ الدين (الملك القاهر مسعود الثاني) : ٧
العسكري (مؤلف كتاب الصناعتين) : ٣
عقبة بن ابي معيط : ٩٠
العكبري : ٦٩ ، ١٤٩ ، ١٦٥
علي بن ابراهيم التنوخي : ١٠٩
علي بن ابي طالب (الخليفة) : ٢٠ ، ٢٥ ، ٤٥ ، ٢١١ ، ٢١٣
علي بن احمد بن عامر الأنطاكي : ٧٦ ، ٩٥
علي بن يوسف (الملك الأفضل) : ٨٨ ، ١٨٤
عماد الدين زنكي : ٤
عماد الدين (الملك العزيز) : ٦
العماد الكاتب : ٥

عمر بن الخطّاب (الخليفة) : ٤٥

عمر بن سليمان الشرايبي : ٨٨

عمر بن طوق التغلبي : ١٢٧ ، ١٦٧

عمير بن الحمام : ٢٠٤ ، ٢٠٥

العنصري (الشاعر) : ١٥٣

عيّاش بن الهيرة : ١٠٩ ، ١١٢

عيسى بن ابراهيم (انظر ابو نوح)

عيسى ابن مريم : ٢٠٧

(غ)

غازي (الملك الظاهر) : ٦ ، ١٣

الغزي (الشاعر) : ٨٢

(ف)

الفاروق (انظر عمر بن الخطاب) : ٤٥

الفتح بن خاقان : ٧٧ ، ٩٠ ، ١٢٠

القرزدق : ١٥ ، ١٩ ، ٧٢

فرعون : ١٨٥

الفضل بن سهل : ٧٦

الفضل بن صالح الهاشمي : ١٦٤

(ق)

القاسم بن عبيدالله : ١٠

القاضي ابن شدّاد : ١٧

القاضي (ابو الفضل احمد بن عبدالله) : ١٢٨

القاضي الأرجاني : ١٠٨

القاضي الفاضل (انظر عبدالرحيم بن علي البيساني)

قطب الدين : ٤

قيصر : ١٩٤

(ك)

كسرى : ١٢٢ ، ١٩٤

كافور الإخشيدي : ١٤٠

كامل كيلاني : ١٠٦

الكسائي : ١٢٠

كلثوم بن عمرو العتّابي : ١٣٥

(م)

المأمون (الخليفة) : ١٢٧

مالك بن طوق التغلبي : ١٢١ ، ١٣٩

المتنبي (انظر ابو الطيب)

مجد الدين المبارك (ابن الأثير) : ٤

محمد (صلى الله عليه وسلم) : ٤٤ ، ٦١ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٧٩ ، ١٨٧ ،

١٩٤ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،

٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥

محمد بن ابي شحاذ الضبيّ : ١٣٩

محمد بن الهيثم بن شبانة : ٩٢

محمد بن بدر : ١٣٦

محمد بن حسّان الضبيّ : ٧٤

محمد زغالول سلام (الاستاذ الدكتور) : ٧

محمد بن عبدالملك الزيات : ٩٩

محمد بن منصور بن زياد : ٧٦

- محمد بن يزيد الأموي : ١٠٤
محمود بن سبكتكين : ١٥٣
المرزوقي (شارح الحماسة) : ٥٥ ، ١٠٠ ، ١٤٢ ، ١٤٧
مروان بن محمد : ٨
مساور بن محمد الرومي : ١١٠
مسكين الدارمي : ١٤٢
مسلم بن الوليد : ٧٦ ، ٩٤ ، ١١٦ ، ١٤٩ ، ١٥٦
معبد (المغنّي) : ٩٠
المعتصم : ٨ ، ١١٥ ، ١٣٣ ، ١٤٣
المقرئزي : ١٨٤
المنصور : ٨
منصور النمري : ١٣٥
مؤنس المظفر : ٩
موسى (عليه السلام) : ٤٨ ، ١٦٢ ، ١٨٥ ، ١٨٨
موسى بن ابي بكر (الملك الأشرف) : ٨٨

(ن)

- ناصر الدين (محمود بن عز الدين مسعود الثاني) : ١٦
النبيّ (انظر محمد صلى الله عليه وسلم)
نصر الدولة (الأمير) : ٨٦ ، ١٥٣
نصر الله بن محمد (انظر ابن الأثير)
نور الدين (ابن صلاح الدين) : ٥
النويري (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب) : ١٤

(هـ)

هارون الرشيد (انظر الرشيد الخليفة)
هلال بن امية ؛ ٢٠١

(ي)

ياقوت الحموي : ٤ ، ٥٥
يحيى بن ثابت : ٧٤
يزيد الحارثي : ١٤٦
يزيد بن مزيد : ٧٦
يوسف (عليه السلام) : ٦١ ، ١٨٨ ، ١٩٠
يوسف بن ايوب (انظر صلاح الدين)

★ ★ ★

Thanks to
assayyad@maktoob.com

To: www.al-mostafa.com